خمسون مقالة عن بوشكين

أ.د. ضياء نافع

دار نوّار للنشر
بغداد – موسكو
2023

Пятьдесят статей о Пушкине

Проф. д-р. Диа Нафи ХАСАН

Издательство "НАУАР"
Москва-Багдад
2023

خمسون مقالة عن بوشكين

طبعة ثانية مزيدة لكتاب –

38 مقالة عن بوشكين - 2020

أ.د. ضياء نافع

دار نوّار للنشر

بغداد – موسكو

2023

Пятьдесят статей о Пушкине

Издание второе,дополненное
к книге 38 статей о Пушкине, 2020г.

Проф. д-р. Диа Нафи ХАСАН

Издательство "НАУАР"
Москва-Багдад
2023

دار نوّار للنشر

رئيس مجلس الادارة

أ.د. ضياء نافع

dnh1941@yahoo.com

مساعد رئيس مجلس الادارة للشؤون العلمية

أ.م.د. هديل اسماعيل نيازي

hadeelismaeel@yahoo.com

مساعد رئيس مجلس الادارة للشؤون الادارية

السيدة كفاح السوداني

مدير الحسابات

علي عصام عبد الكريم

هيئة المستشارين

د. بسام البزاز

د. تحسين رزاق عزيز

أ.د. زهير مجيد مغامس

أ.د. سعيد عدنان

أ.د. موفق جواد المصلح

الـفـهـرس

=======

1- قصة تمثال بوشكين في جامعة بغداد

2- رأيت بوشكين وادباء آخرين في منامي

3- كيف احتفلنا بالذكرى 200 لميلاد بوشكين في جامعة بغداد

4- بوشكين في العراق

5- بوشكين واليونسكو وجواد الحطاب

6- بوشكين بين الترجمة والاقتباس

7- خطاب دستويفسكي عن بوشكين

8- بعض كلمات غوغول عن بوشكين

9- مسرحية بوشكين الشعرية موتسارت وساليري

10- بوشكين وتشيخوف

11- ندوة في موسكو عن بوشكين بكل اللغات

12- اصدقاء بوشكين

13- تسفيتايفا وبوشكينها

14- قصيدة بوشكين (احببتك) بسبع ترجمات عربية

15- حياة شرارة والادب الروسي في العراق

16- الشعر اعلى من السياسة

17- هل بوشكين أعلى من ستالين

18- تماثيل بوشكين في موسكو

19- تماثيل بوشكين في العالم

20- قصيدة النبي لبوشكين بثلاث ترجمات

21- بوشكين صحافيا

22- اطاريح الماجستير التي اشرفت عليها

23- بوشكين وغوغول في وصية ايزنشتين

24- بوشكين كاتبا مسرحيا

25- قصيدة بوشكين على تلال جورجيا بترجمتين عربيتين

26- بوشكين روائيا

27- جلست مع زوجة بوشكين على مصطبة واحدة

28- عن سرفانتس وعن بوشكين وعن الجواهري أيضا

29- بوشكين وتولستوي

30- هل (شبعنا!) من بوشكين فعلا؟

31- بوشكين وغوغول

32- دستويفسكي وبوشكين

33- بوشكين وغريبويديف

34- كيف احتفلت روسيا هذا العام بميلاد بوشكين

35- مایاكوفسكي وبوشكين

36- تورغينيف وبوشكين

37- سينيافسكي وكتابه نزهه مع بوشكين

38- بوشكين وليرمنتوف وغوغول وبيلينسكي في ندوة تلفزيونية

39- بوشكين واللغة الروسية

40- ذكرى ميلاد بوشكين في مترو موسكو

41- بوشكين داخل روسيا وخارجها
42- تأملات حول حكاية بوشكين عن الصياد والسمكة
43- هل اختفت تتيانا بوشكين ومفاهيمها؟
44- بوشكين والنقد الادبي
45- بوشكين وزوجته والقيصر وبزيع
46- رسالة بوشكينية الى الشاعر شوقي بزيع
47- بيت بوشكين في اكاديمية العلوم الروسية
48- بوشكين والجواهري
49- الطريق نحو بوشكين
50- شئ عن (القصائد الشرقية) لبوشكين

1- قصة تمثال بوشكين في جامعة بغداد

تم تدشين تمثال نصفي للشاعر الروسي الكبير بوشكين في حدائق كلية اللغات بجامعة بغداد بتاريخ 2011/10/25، وهو أول تمثال له في العراق واول تمثال لاديب او شخصية روسية بشكل عام في العراق وفي تاريخ العلاقات العراقية - الروسية، وتم تغطية هذا الحدث غير الاعتيادي بشكل واسع جدا في وسائل الاعلام الروسية والعراقية والعربية، وقد أشارت وسائل الاعلام الروسية بالذات الى هذا الخبر بدهشة واعجاب لدرجة ان احدى قنوات التلفاز الروسي قد كررت بث هذا الخبر على مدى يومين كاملين وقد شاهدت ذلك شخصيا، وقالت معظم وسائل الاعلام الروسية، ان الاخبار التي تأتي من العراق تحمل انباء عن الانفجارات والاقتتال والصراعات الدموية عادة، وانه وسط كل تلك التوترات الشديدة نرى خبرا ثقافيا مدهشا عن افتتاح تمثال لبوشكين في كلية اللغات بجامعة بغداد، حيث يتجمع مثقفو العراق من طلبة واساتذة وادباء وبحضور مندوبين من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية ورئاسة جامعة بغداد ليشاركوا في هذه العملية الثقافية الفريدة من نوعها في العراق وفي تاريخ العلاقات العراقية - الروسية، وبحضور ممثلي السفارة الروسية في بغداد ومندوبي اتحاد ادباء روسيا، الذين وصلوا الى بغداد خصيصا للمشاركة بهذه الفعالية الثقافية المتميزة. وعلى الرغم من كل تلك الاخبار والتعليقات المتنوعة عن هذا الحدث الغريب والجميل وغير الاعتيادي في وسائل الاعلام المختلفة، لم يتناول احد كيف تم الاعداد لهذا التمثال او كيف ولدت فكرته وكيف وجدت طريقها للتنفيذ وسط هذه الاجواء المعروفة للعراق عام 2011، وهذا ما سنحاول فيما يأتي التحدث عنه للتاريخ وبشكل وجيز ونحن نتصفح ملف اوليات هذا الحدث الثقافي الفريد في تاريخ العراق المعاصر.

تم تدشين التمثال النصفي للجواهري في جامعة فارونش الروسية الحكومية بتاريخ 2009، وذلك بمبادرة وتخطيط وتنفيذ من قبل مركز الدراسات العراقية - الروسية في تلك الجامعة وبالتنسيق الكلي والتام مع الجمعية العراقية لخريجي الجامعات السوفيتية والروسية، والذي حضره سفير العراق في موسكو آنذاك (وهو الذي قام رسميا بافتتاحه باسم العراق) والملحق الثقافي ومساعد رئيس

جامعة بغداد والوفد المرافق له عن الجانب العراقي والذي وصل خصيصا من بغداد للمشاركة بذلك، ورئيس جامعة فارونش وعمداء بعض كلياتها ومندوب وزارة الثقافة الروسية واساتذة الجامعة عن الجانب الروسي، وجمهور غفير طبعا من الطلبة الروس والاجانب والعرب، وقد القيت انا باعتباري مدير مركز الدراسات العراقية - الروسية المذكور كلمة بالمناسبة، وأشرت فيها، الى ان الجواهري هو رمز العراق الثقافي، وان بوشكين هو رمز روسيا الثقافي، وبما اننا استطعنا ان نحقق اقامة هذا التمثال النصفي للجواهري في جامعة فارونش ولاول مرة في تاريخ روسيا، هدية من رئيس جمهورية العراق، فاننا نتمنى ان نرى رمز روسيا الثقافي، اي تمثال بوشكين، على ارض جامعة بغداد هدية جوابية من رئيس روسيا الاتحادية، وان ذلك التمثال - في حالة تنفيذ المقترح - سيكون موازيا لاهمية وقيمة ذلك الحدث ولاول مرة في تاريخ العراق ايضا، وقد استقبل الحاضرون هذا المقترح بارتياح وسرور وموافقة جماعية مطلقة، واعلن مساعد رئيس جامعة بغداد رأسا عن ترحيبه بذلك واستعداد جامعة بغداد لتنفيذ هذا المقترح. وهكذا بدأنا في اوساط مركز الدراسات العراقية - الروسية في جامعة فارونش باتخاذ الخطوات اللازمة من اجل تحقيق وانجاز التمثال النصفي لبوشكين في بغداد، وقد اعددنا رسالة الى الرئيس الروسي آنذاك دميتري مدفيديف نرجو فيها الموافقة على تنفيذ ذلك المقترح، وكان من الطبيعي ان تكون هذه الرسالة الى الرئيس الروسي بتوقيع رئيس جامعة فارونش، وناقش المسؤولون في الجامعة المذكورة هذه الرسالة غير الاعتيادية في سياقات العمل الجامعي الاكاديمي بتفصيل وتحليل موضوعي عميق، وعلى الرغم من موافقتهم المبدئية على مضمون تلك الرسالة واهميتها في تعزيز العلاقات بين البلدين، الا انهم اعتبروا ان ارسال هذه الرسالة الى الرئيس الروسي باسم رئيس جامعة روسية (حتى ولو كان فيها مركز دراسات عراقية - روسية) امر غير مناسب ولا يتناغم مع تقاليد ومستلزمات مخاطبة رئيس الدولة الروسية، وان مثل هذه الرسالة يجب ان تنطلق من العراق نفسه وعبر سفارة روسيا الاتحادية في بغداد، كي تأخذ ابعادها الرسمية وتكون منسجمة مع صيغة العلاقات الدولية المتعارف عليها، وكان هذا الكلام منطقيا بالطبع وقد وافقنا عليه في اوساط مركزنا في جامعة فارونش، وهكذا، وبعد مناقشات واسعة وتنسيق تفصيلي

طويل ومباحثات متشعبة ومعمقة جدا بين مركزنا في جامعة فارونش والهيئة الادارية لجمعيتنا في بغداد، تم تحويل تلك الرسالة التي اعددناها باللغة الروسية الى الرئيس الروسي مع تحوير مناسب طبعا الى الجمعية العراقية لخريجي الجامعات السوفيتية والروسية في بغداد وبتوقيع رئيس الجمعية لكي يقوم بتسليمها الى السفير الروسي في بغداد. وهذا ما تم فعلا. ومضت ايام وشهورطويلة على ذلك ولكننا لم نستلم اي جواب بشأن تلك الرسالة، رغم استفساراتنا العديدة هنا وهناك، وفجأة اخبرني أحد مسؤولي جامعة فارونش يوما، ان لجنة من مكتب الرئيس الروسي وصلت الى جامعة فارونش واطلعت على التمثال النصفي للجواهري وعلى الملف الخاص به والمحفوظ طبعا في ارشيف جامعة فارونش، بما فيها الرسالة التي وجهها مكتب رئيس جمهورية العراق الى جامعة فارونش حول اهداء تمثال الجواهري لهم، وكان من الواضح ان مهمة هذه اللجنة هو تدقيق المعلومات التي ذكرناها في رسالتنا الى الرئيس الروسي، وبالتالي تنفيذ الطلب الذي توجهنا به الى الرئيس، اذ اننا أشرنا في تلك الرسالة الى التمثال النصفي للجواهري وانه هدية من رئيس جمهورية العراق وعليه نتوجه الى الرئيس الروسي بجواب مماثل، وقد اعلمت رأسا جمعيتنا في بغداد بهذه الاخبار الجيدة، ثم أعلن الجانب الروسي بعد فترة قصيرة عن موافقته الرسمية على اقامة التمثال النصفي لبوشكين في بغداد، وتقدم ممثلو اتحاد ادباء روسيا بطلب سمة الدخول الى السفارة العراقية في موسكو لغرض الاعداد لتلك الاحتفالية والمشاركة بافتتاح التمثال، والذي شحنوه معهم في الطائرة حاجزين له مقعدا خاصا بين الركاب حرصا على سلامته والحفاظ التام عليه (وقد نشرت جريدة ليتيراتورنايا غازيتا الروسية خبر تدشين تمثال بوشكين في بغداد مع صورة التمثال النصفي هذا وهو مثبّت على المقعد المخصص له بين الركاب في الطائرة المتوجه الى بغداد وقد ربطوا حزام الامان حوله حفاظا عليه من اي ضرر محتمل). لقد حاولت بعض العناصر آنذاك - ومع الاسف الشديد جدا - ان تطرح الموضوع وتصوّره وكأنها هي التي بادرت بهذه الخطوة وخططت لها وفاتحت الجهات الروسية بشأنها وتابعت ذلك بالتفصيل وكتبت الرسائل والمذكرات واقترحت خطوات محددة وعملت على تنفيذ نصب تمثال بوشكين في العراق، شاطبة ولاغية تماما وكليا وبشكل مطلق دور مركز الدراسات

العراقية - الروسية في جامعة فارونش والجمعية العراقية لخريجي الجامعات السوفيتية والروسية وكل الوقائع الاخرى المرتبطة بالموضوع ابتداءا من اقامة تمثال الجواهري في روسيا وحتى رسالتنا الى الرئيس الروسي حول ذلك وما رافقها من اجراءات، وطرحوا كل هذا حتى على اعضاء مجلس جامعة بغداد في جلسة خاصة اقامها المجلس المذكور خصيصا للاحتفاء بالوفد الروسي بهذه المناسبة المرتبطة بتدشين التمثال النصفي لبوشكين في كلية اللغات، وأثار هذا الموقف الساذج جدا جدا لهؤلاء الباحثين عن المجد الشخصي الزائف والمصطنع بالطبع ردود فعل مستهجنة وشاجبة وغاضبة لدرجة ان رئيس الجمعية العراقية لخريجي الجامعات السوفيتية والروسية في بغداد قد اضطر ان يهدد برفع شكوى رسمية في المحاكم العراقية حول ذلك ضد تلك العناصر، ولكن الوفد الروسي - والحمد لله - حسم الموضوع هذا عندما اعلن في اللقاء مع وزير التعليم العالي العراقي انهم وصلوا الى بغداد بناء على الرسالة الرسمية الموجهة من قبل رئيس الجمعية العراقية لخريجي الجامعات السوفيتية والروسية الى الرئيس الروسي مدفيديف والتي أشرنا اليها اعلاه والتي تسلمتها روسيا عن طريق سفارتها في بغداد حول اقامة هذا التمثال، وقد عرض الوفد تلك الرسالة التي كانت نسخة منها بحوزته وموافقة الرئيس الروسي عليها، وهكذا انتهت تلك العاصفة المفتعلة والمضحكة فعلا لتلك العناصر في اللحظة الاخيرة (والتي لم تأخذ بنظر الاعتبار ابدا سمعة العراق الدولية مع الاسف الشديد) بفضل الموقف الشجاع والحاسم والدقيق لرئيس جمعيتنا امام هؤلاء اولا وموقف الوفد الروسي الموضوعي والمستند الى الوقائع الثابتة والمحددة تحريريا ثانيا وموقف المترجم العراقي في ترجمته الامينة اثناء اللقاء المذكورمع وزير التعليم العالي ثالثا. وهكذا تم تدشين التمثال النصفي لبوشكين في كلية اللغات بجامعة بغداد وبحضور رسمي وطلابي كبير، وقد القى رئيس جمعيتنا آنذاك في حفل الافتتاح كلمة اشار فيها الى كل هذه الجهود الكبيرة والحثيثة التي بذلها مركزنا في جامعة فارونش الروسية والجمعية العراقية لخريجي الجامعات السوفيتية والروسية من اجل اقامة هذا التمثال في العراق ابتداءا وانطلاقا من تمثال الجواهري في روسيا وارتباطا به، وكذلك اشار الاخرون في كلماتهم اثناء حفل الافتتاح هذا الى تلك الوقائع.

2- رأيت بوشكين وادباء آخرين في منامي!!

الى زميلتي العزيزة الدكتورة سوسن فيصل السامر - عميدة كلية اللغات / جامعة بغداد، مع اعتزازي وتقديري واعتذاري ايضا، لاني اعرف مسبقا، ان الزمن الصعب والمتشابك والرهيب الذي يمر به بلدنا الجريح لا يتحمل تحقيق مثل هذه الاحلام او - ربما - حتى الكلام عنها، ولكن تبقى للاحلام - مع ذلك وبالرغم من كل ما يحدث الان في عراقنا الحبيب من مآسي - قوة دفع عظيمة الى الامام، وذلك لأن الاحلام مثل البذور التي نزرعها ونرعاها وننتظر طويلا لجني ثمارها.

ضياء نافع / عميد كلية اللغات الاسبق

.....

رأيت كلية اللغات بجامعة بغداد في منامي. كنت اتنزه في حدائقها المليئة بالنخيل (سيد الشجر!)، وتوقفت عند التمثال النصفي للشاعر الروسي بوشكين، وحييته بالروسية وسألته عن احواله واخباره، فقال لي انه قد تعوَّد على الطقس العراقي الان، وان لديه علاقات طيبة جدا مع العراقيين والعراقيات بشكل عام وانهم يتجمعون حوله بعض الاحيان وهم يرتدون الملابس الروسية، وينشدون الاغاني الروسية، وحتى يحملون العلم الروسي تحية له، بل وان لديه ايضا معجبات عراقيات، فابتسمت انا وقلت له باللهجة العراقية - دير بالك يمعُود، اذ انك يا الكساندر سرغيفيتش تعيش في بغداد الان وليس في بطرسبورغ او موسكو، فهزَّ رأسه موافقا، ثم سألته وانا اودعه، هل لديه رغبة - ما اقدر ان اوصلها الى العمادة، فقال رأسا، نعم اتمنى ان أرى بعض زملائي يقفون جنبي، فسألته من هم؟ فقال دستويفسكي وتولستوي وتشيخوف مثلا، فقلت له أليس هذا كثير على حدائق كلية عراقية في بغداد؟ فقال لا ابدا، فانا الان بوشكين العراقي وهم سيكونون كذلك - دستويفسكي العراقي وتولستوي العراقي وتشيخوف العراقي، وسيكون ذلك كله نواة متحف الادب العالمي في حدائق كلية اللغات، وهو متحف وحيد وفريد ومتميز في العالم كله، ويمكن ان يتوسع ويتطور، وسيكون مفخرة لبغداد وجامعتها وللعراق ككل، فاجبته بانني اقتنعت فعلا بفكرته

الجميلة والمبتكرة حقا، وساحاول ايصالها للعمادة مع موقفي المؤيد جدا لها. ابتعدت عنه قليلا واذا بي اقف امام تمثال نصفي للكاتب الفرنسي الشهير فيكتور هيغو. تعجبت من هذا التمثال النصفي واقتربت منه وحييته بالفرنسية وسألته - متى وصلت الى بغداد وكيف حصلت على سمة الدخول اليها؟ فأجابني مستغربا من سؤالي - الم تسمع بذلك؟ فقلت له - كلا، لم اسمع، فقال لي، لقد قام قسم اللغة الفرنسية وبالتنسيق مع الملحقية الثقافية في سفارة فرنسا في بغداد بذلك، وانه يقيم الان في حدائق كلية اللغات منذ فترة طويلة، وان طلبة القسم واساتذته يزورونه غالبا ويتحدثون معه حول ابطال رواياته، بل وحتى يزوره ادباء عراقيون من خارج القسم ويتناقشون معه حول نتاجاته الابداعية، ثم اضاف مبتسما وباعتذار - لقد سمعت مقترح بوشكين حول متحف الادب العالمي وانا اؤيده كليا، واضيف الى انني ايضا اتمنى ان ارى جنبي تماثيل موليير وفولتير وبلزاك وروسو و... و... و... و...، فاجبته مبتسما باني سانقل اقتراحه الى العمادة حتما، اذ كيف يمكن لمتحف الادب العالمي ان يكتمل فعلا دون تلك الاسماء الفرنسية العظيمة. تركته وانا معجب جدا باقواله، وسرت لاحقا في الحديقة واذا بي أرى تمثالا نصفيا للشاعر الالماني الكبير غوته، وهو يقف عند جذع نخلة باسقة مليئة بالتمور اللذيذة، وتوقفت عنده وحييته بالالمانية ولم اسأله طبعا كيف وصل الى بغداد وكيف حصل على سمة الدخول اليها، بل اني تظاهرت باني اعرف كل ذلك، وان قسم اللغة الالمانية قد حصل على كل ذلك بالتنسيق مع الملحقية الثقافية في سفارة المانيا ببغداد، اذ لا يلدغ المؤمن (بعد هيغووالحديث معه!) مرتين. سألت غوته عن اوضاعه، فقال انه سعيد جدا باقامته هنا، وان طلبة قسم اللغة الالمانية واساتذته غالبا ما يزوروه ويقرأون اشعاره باللغة الالمانية. تركته مسرعا لاني على ثقة من تأييده لفكرة بوشكين حول متحف الادب العالمي، ومن المؤكد انه سيقترح اسماء اعلام آخرين من الادب الالماني، وقد تأسفت - بعد اللقاء به - لأني لم أسأل بوشكين وهيغو فيما اذا كان طلبة واساتذة قسمي اللغة الروسية والفرنسية يزورونهما ويقرأون اشعارهما عند تمثاليهما كما يفعل طلبة واساتذة اللغة الالمانية. وانا في تأملي هذا، شاهدت تمثالا نصفيا لسرفانتيس الاسباني في حدائق كلية اللغات، فتوقفت عنده بالطبع، وحييته بحرارة، اذ اني احبه فعلا من اعماق قلبي وعقلي، ولم

أسأله طبعا متى وكيف وصل الى حدائق الكلية، اذ اني استنتجت رأسا انه جاء الى هنا نتيجة جهود قسم اللغة الاسبانية والملحقية الثقافية في سفارة اسبانيا ببغداد. ابتسمت وسألته عن أخبار دون كيشوته، او دون كيخوته كما يقول البعض، فقال ان بطله لا زال يسبب له مشاكل كثيرة لحد الان، وخصوصا في العراق، وانه لو كان يعرف مسبقا بذلك لما وافق ان يحل ضيفا في حدائق كلية اللغات في بغداد. حاولت انا ان أخفف من ردود فعله هذه، وقلت له ان تلك الظاهرة الاجتماعية الخطيرة فعلا ستنتهي قريبا جدا، وان الامور ستعود الى نصابها حتما ولا يمكن ان تستمر هكذا ابدا في بلاد مابين النهرين العريقة، ولكنه لم يقتنع بما قلته له، وقال انه طيلة مدة اقامته هنا لا يمكن ان يتقبل او يقتنع ان الامور ستعود الى نصابها كما اقول له، وان دون كيشوت لا زال في بغداد يعمل ويزاول نشاطاته وخططه بحيوية وقوة وهمّة ونجاحات. لم استطع مع الاسف ان اقنع سرفانتس بافكاري، وقلت له مبتسما اننا سنعاود النقاش لاحقا حول ذلك، خصوصا وانني اود ان اتحدث معه حول فكرة جميلة بشأن متحف الادب العالمي في كلية اللغات، وان رأي سرفانتس مهم جدا جدا حول هذا المقترح، فوافق على ذلك بكل سرور، وقال انه ينتظر قدومي، اذ اني اخبرته باني أسرع للقاء شكسبير، الذي كان ينتظرني عند مدخل قسم اللغة الانكليزية، فقال لي ان شكسبير استاذنا، وانه يحترم موعدي معه ورجاني ان ابلغه تحياتي، وهكذا تركته وذهبت الى التمثال النصفي لشكسبير، الذي يقف مبتسما بهدوء وهيبة وشموخ، ويحاول طلبة واساتذة قسم اللغة الانكليزية ان يحيطوه دائما، وان يجسدوا ابطال مسرحياته، وخصوصا هاملت وروميو وجوليت!، وقد حييته بالانكليزية وسألته عن انطباعاته حول اجواء كلية اللغات، فأجابني انه مرتاح من تلك الاجواء التي تحيطه، وانه يشعر في العراق انهم يفهمونه جيدا ويحبونه، ثم ابتسم واضاف قائلا - (رغم ان البعض اطلقوا عليّ اسم شيخ زبير، وحولوا اوتللو الى عطيل، وتعاملوا مع هاملت كما يحلوا لهم) فقلت له ان ذلك نتيجة المحبة له والاعتزاز به ليس الا، فوافق على التبرير هذا مجاملة على ما يبدو، (كان غير مسرورا بذلك)، فحاولت ان أغيّر موضوع الحديث، فسألته هل توجد عنده رغبة - ما اقدر ان اوصلها الى عمادة الكلية او من يشاء، فقال رأسا - نعم، انني اتمنى ان أرى في كلية اللغات مسرحا دائما يقدم عروضا مسرحية باللغات

الاجنبية للعراقيين وللاجانب المقيمين في بغداد على حد سواء، وان الكلية مؤهلة لذلك، وانني مستعد - وبكل سرور - للتنازل عن كل حقوق التأليف لمسرحياتي لادارة هذا المسرح، ويمكن للطلبة والاساتذة في قسم اللغة الانكليزية وبالتعاون مع مسرحيين عراقيين كبار (وهم موجودون فعلا)، ان ينظموا هذا العمل الفني الجميل، وقد فرحت انا فرحا كبيرا وعظيما بهذا المقترح وقلت له انني اؤيد ذلك بحرارة وسأعرض مقترحك حتما امام العمادة وادافع عنه، خصوصا وانه سبق لي ان حاولت تحقيقه قبل فترة من الزمن ويشهد على ذلك الصحفي العراقي المعروف الاستاذ حسب الله يحيى وابنه المسرحي خريج كلية الفنون الجميلة في حديثنا المشترك قرب برج جامعة بغداد في الجادرية عام 2004، ولم احاول ان اتكلم مع شكسبير حول متحف الادب العالمي، لانني كنت متأكدا من موافقته اولا، ومن اقتراحاته ثانيا باضافة اسماء ادباء انكليز مثل ديكنز و... و... و...، وتركته مبتعدا، وفجأة صحوت من النوم، وهكذا لم استطع (في منامي) ان ازور اماكن اخرى في الكلية ترتبط باقسام اللغات الايطالية والتركية والفارسية والعبرية والكردية والارامية، وكم تأسفت لذلك، اذ من المؤكد ان لديهم مقترحات اخرى جديدة، او ربما اضافات معمقة لتلك الافكار التي تحدثنا حولها وتطويرها.

3- كيف احتفلنا بالذكرى 200 لميلاد بوشكين في جامعة بغداد

احتفلت روسيا ومنظمة اليونسكو العالمية والكثير من بلدان العالم عام 1999 بالذكرى المئوية الثانية لميلاد الشاعر الروسي الكبير ألكساندر سرغيفيتش بوشكين (1799 - 1837)، وكنت آنذاك معاون عميد كلية اللغات للشؤون العلمية في جامعة بغداد، واقترحت ان نساهم باحتفالات العالم هذه ونقيم حفلا في كلية اللغات بهذه المناسبة، وقد أيدني مجموعة من الزملاء وبحماس، وهكذا ذهبت الى عميد الكلية وطرحت عليه هذه الفكرة، فتقبلها العميد أ.د. مخلف الدليمي بالترحاب باعتبار ان هذه الفعالية تعني (كسرا للحصار)، وهو التعبير السائد في ذلك الوقت لكل نشاط خارج النطاق التقليدي والاعتيادي. بعد ان حصلت موافقة العمادة على المقترح كان يجب مفاتحة رئاسة جامعة بغداد لاستحصال الموافقات الاصولية حسب مقتضيات التعليمات السائدة آنذاك، اذ ستجري دعوة سفير روسيا الاتحادية في بغداد للمشاركة في تلك الاحتفالية، وهكذا تم توجيه كتاب رسمي من عمادة كلية اللغات الى رئاسة جامعة بغداد بهذا الشأن، الا ان رئيس جامعة بغداد أ. د. عبد الاله الخشاب لم يحسم رأسا الموضوع. لقد كان الدكتور الخشاب اداريا حاذقا وحذرا جدا، وبالتالي كان يتجنب الوقوع في اي خطأ اداري محتمل، وبالطبع كان يعرف ويفهم ان موضوع بوشكين وروسيا والسفير الروسي ترتبط بالسياسة قبل كل شئ، وان هذا يقتضي عدم اتخاذ قرار نهائي دون الرجوع الى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي واستحصال موافقتها، وهكذا حسم الموضوع وأحال طلب كلية اللغات الى الوزارة لبيان الرأي بشأن ذلك، ولم تستطع الوزارة المذكورة من المديرية الفلانية الى المديرية الفستانية ان تحسم الموضوع ايضا ولنفس الاسباب طبعا، وهكذا تم احالة الامربرمته الى الوزير نفسه، وكان آنذاك أ. د. عبد الجبار توفيق، ولم يستطع الوزير ايضا حسم هذا الموضوع الدقيق والذي كان يفهم انه يمتلك طبعا ابعادا سياسية بالنسبة لذلك الزمان، وهكذا قرر ولنفس الاسباب، ومن اجل التخلص من تبعات المسؤولية ان يرفع طلب كليتنا الى رئاسة الجمهورية لاستحصال رأيها وموقفها حول ذلك. كنا نحن في كلية اللغات بالطبع نتابع تفاصيل هذه الاخبار

بقلق وحذر شديدين، بل اني بدأت اسمع بعض التأنيبات تجاهي شخصيا وبعض الاشارات والتلميحات والملاحظات بشأن اقتراحي هذا، ولكننا لم نستطع - بعد كل هذه الاخبار وتطور الاحداث - القيام باي خطوة للتسريع باستحصال الموافقات او حسم القضية بخصوص ذلك الحفل لحساسية الموضوع والابعاد التي دخل في متاهاتها، وفي يوم من الايام رنَّ جرس الهاتف في مكتب السيد عميد كلية اللغات، واذا بالمتكلم وزير التعليم العالي والبحث العلمي أ.د. عبد الجبار توفيق نفسه، والذي قال للعميد ان رئاسة الجمهورية تطلب الاجابة عن سؤالين بشأن الاحتفالية المذكورة لتقرر حسم الموضوع، وهما - اولا هل بوشكين يهودي؟ والسؤال الثاني - ما هو موقف بوشكين من الحزب والثورة؟ (وهو السؤال التقليدي والسائد آنذاك بالنسبة للجميع)، واستدعاني العميد فورا وطلب مني الاجابة عن هذين السؤالين (المهمين!!) بدقة ووضوح، لان رئاسة الجمهورية ستحدد على اساس تلك الاجابة - السماح او عدم السماح باقامة تلك الاحتفالية، وقد اجبت رأسا بشأن السؤالين المذكورين وقلت له، ان بوشكين ليس يهوديا وانه روسي مسيحي (ارثذوكسي) ومن ابوين روسيين بالولادة (مستخدما طبعا المصطلحات التي كانت سائدة في حينها)، وانه ولد عام 1799 في موسكو وتوفي عام 1837 في بطرسبورغ، اي قبل تأسيس الدولة العراقية بعشرات السنين، ولهذا لا يمكن ان يكون له اي موقف تجاه الدولة العراقية، وبالتالي لا يمكن ان تكون له علاقة بتاتا بالحزب والثورة في العراق، وهكذا وبناء على تلك الاجابة تمت موافقة رئاسة الجمهورية على تنظيم الاحتفالية، والتي حضرها وزير التعليم العالي والبحث العلمي نفسه والسفير الروسي والجالية الروسية في بغداد ورئيس الجامعة وممثلو وزارة الاعلام والصحافة واساتذة جامعة بغداد وطلبتها، وقد كنت عريف الحفل فيها لأني صاحب المقترح اولا، ولانه يجب التحدث باللغتين العربية والروسية في ذلك الحفل ثانيا، وكانت تلك الاحتفالية بحق نموذجا ابداعيا رائعا لقسم اللغة الروسية في كلية اللغات والتي أشادت بها في حينها وسائل الاعلام العراقية والروسية. لقد ساهمت الفنانة التشكيلية نادية محسن السوداني برسم عدة لوحات خاصة بتلك الاحتفالية لبوشكين وزوجته ورسومات مستوحاة من قصائده، وقد وضعنا تلك اللوحات الفنية العديدة في مدخل القاعة، وافتتح المعرض التشكيلي هذا السفير الروسي وابدى اعجابه الشديد بكل تلك اللوحات، ويمكن القول ان السفير الروسي

لم يكن ابدا يتوقع ذلك، وقد أهدينا له في نهاية الحفل باسم كلية اللغات لوحة جميلة جدا من هذا المعرض تمثُّل زوجة بوشكين - ناتاليا غونجروفا، وقد كان ممتنا جدا لذلك لدرجة انه رفع تلك اللوحة بكلتا يديه امام القاعة لغرض عرضها على الجمهور وذلك وسط تصفيق حاد من الجميع. هذا وقد تضمن منهاج الحفلة المذكورة فقرات عديدة ساهم في تقديمها طلبة قسم اللغة الروسية واساتذة كلية اللغات، حيث كان هناك عرض لاطاريح الماجستير التي انجزها القسم المذكور باللغة الروسية حول اللغة الروسية وآدابها، والذي أثار انتباه الجالية الروسية واندهاشها، ومن الطريف ان نذكر هنا ان المرحوم الاستاذ الدكتور حسين محفوظ من قسم اللغة الفارسية في كلية اللغات كان من اشد المتحمسين لتلك الحفلة وانه أصرٌ ان يشارك في تلك الاحتفالية بكلمة حول بوشكين ومكانته واهميته الكبيرة (باعتباره احد التدريسسين سابقا في الكلية الشرقية في جامعة بطرسبورغ - لينينغراد آنذاك)، والتي قدمها ارتجالا كعادته وبلغته العربية الفخمة، وقد قدُم لنا المرحوم محفوظ ايضا لوحة صغيرة جدا لبوشكين رسمها بنفسه للشاعر الروسي، ولم تكن في الواقع سوى تخطيط بالقلم الجاف وعلى ورقة مستلة من دفتراعتيادي لوجه الشاعر، والذي لم يكن يوحي لا من قريب ولا من بعيد به، والذي قال انه قام به اثناء عمله في لينينغراد آنذاك، ولكننا تقبلنا منه ذلك رغم كل هذا وعرضنا التخطيط في مدخل القاعة بشكل بارز احتراما وتقديرا لشخص بمستوى ومكانة الاستاذ الدكتورحسين محفوظ واحتراما لحماسه بالمشاركة في تلك الاحتفالية.

لقد تضمن هذا الحفل كلمة لرئيس جامعة بغداد وكلمة للسفير الروسي والتي ألقاها باللغة العربية والتي استقبلها الحضور بتصفيق حاد وقصيدة للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد حول بوشكين والتي القاها في مهرجان بوشكين عام 1974 في روسيا وحاز على جائزة في حينها، وساهم طلبة قسم اللغة الروسية بتقديم فعاليات مختلفة من القاء قصائد وعرض مقاطع من مسرحيات بوشكين باللغة الروسية، وقد سبق لي ان كتبت عن القاء الطلبة الروس من جامعة موسكو والذين كانوا يدرسون عندنا لبعض قصائد بوشكين في تلك الاحتفالية بترجمة المرحومة الاستاذة الدكتورة حياة شرارة (انظر مقالتي المنشورة في عدة مواقع الكترونية بعنوان - حياة شرارة والادب الروسي في العراق - لقطات).

4- بوشكين في العراق

استلمت رسالة اليكترونية بالروسية من أحد الزملاء الروس بعنوان - بوشكين في العراق، وقد أثارت هذه الرسالة اهتمامي طبعا، اذ اني اتابع موضوعة الادب الروسي في العراق منذ عشرات السنين، وسارعت بفتح تلك الرسالة والاطلاع عليها، وقد تبيّن، انه يطلب منّي ان اقدّم له استشارة (او رأيّا) في مسألة مطروحة امامه الان حول موضوعة - (بوشكين في العراق)، ويقول في رسالته، انه وجد بعض المصادر الروسية حول هذا الموضوع، ولكنها - كما يرى - غير كافية كما يجب - بشكل عام - لتغطية هذا الموضوع الكبير، المرتبط بشاعر روسيا الاول وعبر كل عصورها. وهكذا بدأنا الحوار.

قلت له، ان من الضروري ان نحدد - قبل كل شئ - ماذا يعني مفهوم (بوشكين في العراق)، وهل يعني ذلك حصر بوشكين في الحدود الجغرافية للدولة العراقية بمعزل عن العالم العربي الذي يحيطها، اذ ان ثقافة العراق متداخلة بثقافة البلدان العربية الاخرى، والكتاب الذي يصدر في دمشق مثلا عن بوشكين يصل الى القارئ العراقي بعد أيام، وقلت له باني (وبعض الزملاء الذين أذكرهم لحد الان من جيلي) طالعنا بالعراق في خمسينات القرن العشرين مثلا ترجمة د. سامي الدروبي لرواية بوشكين القصيرة - (ابنة الضابط) ضمن منشورات (دار اليقظة) السورية المشهورة، واعاد غائب طعمه فرمان ترجمة هذا الكتاب بعد اكثر من ربع قرن، وهكذا صدرت رواية (ابنة الآمر) لبوشكين في موسكو، فهل نعتبر، ان المترجم العراقي غائب طعمه فرمان هو الذي قدّم للعراقيين رواية بوشكين تلك (عن طريق موسكو!)، وبالتالي، فان ترجمته تدخل ضمن موضوعة (بوشكين في العراق)، بينما تدخل ترجمة الدروبي لنفس الرواية ضمن موضوعة (بوشكين في سوريا)؟ ويمكن التوقف عند كتب اخرى حول الادب الروسي صدرت في القاهرة مثلا، واطلع عليها القارئ العراقي، بما فيها كتاب الباحث والكاتب الفلسطيني الكبير نجاتي صدقي الموسوم - (بوشكين)، الذي صدر ضمن سلسلة (اقرأ) المصرية الشهيرة في اربعينات القرن

الماضي، وذكّرته بقول طريف كان سائدا في عالمنا العربي يوما ما وهو - القاهرة تكتب وبيروت تطبع وبغداد تقرأ. وبعد (التي واللتيّا)، كما يقولون، اقتربنا من نقطة مشتركة بيننا في هذا الشأن، اذ توقف زميلي عند التمثال النصفي لبوشكين في حدائق كليّة اللغات بجامعة بغداد، وقال انه واحد من الشواهد المادية والتي لا يمكن تجاهلها في موضوعة (بوشكين في العراق)، اذ ان مثل هذا التمثال موجود بمصر والمغرب فقط في العالم العربي، وأشار الى ان المصادر الروسية حول هذا الحدث المتميّز وغير الاعتيادي مرتبكة وغير متناسقة وحتى متناقضة بعض الشئ، وان مقالتي بعنوان - (قصة تمثال بوشكين في جامعة بغداد) توضّح كل هذا الارتباك وتجيب عن كل التساؤلات المرتبطة بهذا الموضوع، الا ان هذه المقالة غير مترجمة الى اللغة الروسية، وبالتالي، بقيت مجهولة للقارئ الروسي المهتم بهذا الحدث، واقترح عليّ ان اترجمها وانشرها بالروسية، فقلت له انني متفق معه بشأن ذلك، اذ ان التمثال النصفي لبوشكين في جامعة بغداد دخل في دوّامة الصراع السياسي العراقي المعاصر واساليبه الملتوية و(غير النظيفة!) مع الاسف، الا ان ترجمة المقالة هذه من قبلي خطوة غير متواضعة، اذ تبدو وكأنني اريد ان امدح نفسي، او، ان افرض رأيّ، وهذه مسألة حساسة ومحرجة احاول طوال حياتي ان اتجنبها، فضحك صاحبي وذكّرني، ان امثال الشعوب كافة تقف ضد المبالغة في المواقف، وان تلك المبالغة تؤدي الى نتائج مضادة وعكّسية في كثير من الاحيان، وان عدم ترجمة هذه المقالة الى الروسية، بسبب هذا التواضع المبالغ فيه من قبلي، هو مثل واضح وصارخ لذلك، وقال انه ينتظر.

قلت لصاحبي بعدئذ، ان أحد العراقيين، وهو طالبي سابقا وزميلي في العمل بجامعة بغداد لاحقا، واسمه صفاء محمود علوان الجنابي قد أنجز في ثمانينات القرن الماضي اطروحة دكتوراه في كليّة الاداب بجامعة فارونش الروسية عنوانها - (بوشكين في العراق)، وانه جمع هناك المصادر الاساسية التي ظهرت في العراق آنذاك حول بوشكين وأشار اليها، وناقش افكارها واهدافها، وقلت له انها اطروحة متميّزة جدا في مضمونها، واقترحت عليه ان يجدها، او، في الاقل ان يجد موجزها الموجود حتما في

الارشيف الروسي للاطاريح، ويطلع عليه، وسيجد هناك اجابات عن كل اسئلته، فشكرني على هذا المصدر المهم والجديد بالنسبة له، ووعدني ان يحاول ايجاد هذا المصدر. وبالمناسبة، فانني أتوجه الى د. صفاء في ختام هذه المقالة، واقترح عليه ان يفكر بشكل جدّي بتنقيح اطروحته تلك، وان يضيف اليها بعض المصادر التي استجدّت بشأن موضوعة بوشكين في العراق، ويقوم بنشرها بالعربية، وانا على ثقة تامة، ان مثل هذا الكتاب سيكون ناجحا ومفيدا وطريفا للقارئ العربي اولا، ولتعميق الموضوعة الروسية وبلورتها في مسيرة الادب المقارن ودراساته في العراق والعالم العربي ايضا.

5- بوشكين واليونسكو وجواد الحطاب

تحتفل روسيا سنويا بعيد ميلاد شاعرها الكبير الكساندر بوشكين، الذي ولد في السادس من حزيران / يونيو عام 1799، وخصصت روسيا هذا التاريخ ايضا للاحتفال بيوم اللغة الروسية، لأن بوشكين واللغة الروسية يرتبطان عضويا، اذ وضع بوشكين اسس اللغة الروسية المعاصرة، وبالتالي فان بوشكين بشعره ونثره يمثِّل اللغة الروسية احسن تمثيل، واللغة الروسية تتجسد في ابداعه بابهى صورها، وتجري هذه الاحتفالات سنويا في وسائل الاعلام كافة.

وقد ذكرتني هذه الاحتفالات الان بما حدث لي عام 1999 في بغداد، عندما احتفلت روسيا والاوساط الادبية العالمية بذكرى مرور قرنين على ميلاد هذا الشاعر، اذ هاتفني احد الاصدقاء وقال لي ان ممثلية روسيا في منظمة اليونسكو في باريس قد اعلنت بهذه المناسبة مسابقة عالمية لترجمة قصيدة بوشكين الشهيرة (النبي) الى 8 لغات من بينها لغتنا العربية، وان الجائزة هي 1000 دولار، واخبرني ان اتحاد الادباء رشحني لترجمة القصيدة والمشاركة في هذه الفعالية، وحاولت ان اثبت له ان هذه القصيدة مترجمة ولعدة مرات الى العربية، ولكنه قال انهم يريدون ترجمة جديدة غير منشورة، وانه يجب ارسالها بالبريد بعد 3 ايام. وافقت على خوض هذه التجربة غير الاعتيادية والجديدة بكل معنى الكلمة بالنسبة لي، واعلنت (حالة الطوارئ) في بيتي، وانجزت الترجمة الجديدة بعد مراجعتي التحليلية والدقيقة جدا لترجمات زملائي المنشورة وهم كل من المرحومة الدكتورة حياة شرارة والدكتور جميل نصيف التكريتي والاستاذ حسب الشيخ جعفر، واعطيتها لمندوب اتحاد الادباء كي يرسلها الى باريس بالبريد المسجل، وارسلت انا ايضا نسخة اخرى الى هناك (من باب الاحتياط)، وبدأت انتظر، والانتظار في مثل هذه الحالات (اشد من القتل)، ولم يأت اي جواب، وكدت انسى الموضوع، وفجأة وصلت لي رسالة من باريس وعليها عنوان اليونسكو، وكنت أظن انهم يعلموني بالفوز، وفتحت الرسالة على عجل وبقلق شديد، ووجدت انها تتضمن شكرهم على مساهمتي ليس الا، وانهم يعلمونني بان الذي فاز هي مترجمة من تونس مقيمة في باريس، وكان عضو لجنة التحكيم بالنسبة للترجمة العربية من تونس ايضا، والحليم تكفيه الاشارة كما يقول المثل

المعروف. تقبلت الامر طبعا وقررت ان ارسل لهم جوابا اشكرهم فيه على رسالتهم وطلبت منهم الاطلاع على الترجمة الفائزة، وارسلت الرسالة فعلا وانتظرت طويلا، لكني لم استلم جوابا.

بعد مرور فترة من ذلك قررت ان اكتب تفاصيل هذه الحادثة وارفقها بترجمتي لقصيدة بوشكين ونشرها في بغداد، اذ كنت ارى ان تلك الترجمة تستحق - من وجهة نظري - النشر، اضافة الى ان الحوادث التي رافقتها كانت طريفة وغير اعتيادية، وفعلا كتبت كل ذلك وتناولت بالتفصيل معاناتي عند الترجمة ومقارناتي بنصوص الترجمات السابقة لزملائي واحلامي بـ (الجائزة) والتي كانت في ايام الحصار آنذاك تعني ثروة باكملها مقارنة مع رواتبنا المضحكة والمبكية في آن واحد، وتحدثت عن قلق الانتظار وفرح استلام الرسالة الجوابية وفحوى طلبي بالاطلاع على الترجمة الفائزة...الخ، وقررت ان انشر تلك المادة في مجلة (الف باء) الاسبوعية المعروفة باعتبارها اكثر المجلات العراقية آنذاك شيوعا وانتشارا، وان طبيعة تلك المجلة تتقبل نشر مثل هذه المقالات في صفحاتها الثقافية، وذهبت الى مقر المجلة لتسليمهم المقالة، وعندما دخلت الى القسم الثقافي وجدت الشاعر المبدع جواد الحطاب جالسا هناك، والذي استقبلني بكل ترحاب وحفاوة، اذ اننا نعرف بعضنا البعض منذ فترة طويلة، واخبرته بالمقالة فرحب بذلك واستلمها مني، وكان عنوانها - (بوشكين واليونسكو وانا)، وتركت المجلة عائدا الى مكان عملي في كلية اللغات.

مرت الايام، واطلعت على عدة اعداد من المجلة ولم اجد تلك المادة، وظننت ان المجلة مزدحمة بالمواد الادبية والثقافية، وانهم لا يستطيعون نشر كل المواد بسرعة، وهذه امر طبيعي، خصوصا ان تلك المادة لا ترتبط بتاريخ محدد ولا بمناسبة - ما، والتقيت مرة - وبمحض الصدفة - مع صديقي سعيد نفطجي، المترجم في دار المأمون بوزارة الاعلام آنذاك وزميلي منذ ايام الدراسة في موسكو، وبعد التحية والسلام اخبرني (وهو الذي يعرف اهتماماتي) انه قرأ اليوم مقالة طريفة جدا حول بوشكين وتذكرني، وبدأ يحدثني بمضمونها، واذا به يتكلم عن مقالتي تلك بحذافيرها، وتعجبت انا وقلت له انني من كتب هذه المقالة

واعطيتها الى مجلة (الف باء) لنشرها وانني اطلعت على العدد الاخير للمجلة ولم اجدها، فقال لي انه قرأ المقالة في جريدة جديدة ظهرت هذه الايام واسمها (الزمن) وفي عددها الاول بالذات، ولم ينتبه من هو كاتبها. طلبت منه الرجوع الى هذه الجريدة للتأكد، وفعلا رجعنا اليها ووجدت المقالة منشورة ولكن دون اشارة الى اي اسم كاتبها. اتصلت بالشاعر جواد الحطاب وقلت له ذلك، فاخبرني انه الان محرر لهذه الجريدة الجديدة وانه قرر ان ينشر مقالتي فيها لاهميتها وطرافتها وللدعاية لهذه الجريدة الجديدة (دون اعلامي بذلك او طلب موافقتي طبعا)، واعتذر لسقوط اسمي سهوا من المقالة، وقال لي انه مستعد لنشرها مرة اخرى وباسمي اذا كنت ارغب بذلك، فقلت له لا ضرورة لنشرها مرة اخرى.

هكذا انتهت هذه المشاركة بمسابقة اليونسكو في باريس، وضاعت مني حتى امكانية نشر قصتها في بغداد، نتيجة تصرف صديقي الشاعر جواد الحطاب، وقد تذكرت كل ذلك الان اثناء احتفالات روسيا بميلاد شاعرها الكبير بوشكين وقررت ان اكتب هذه السطور، لاني اظن (وبعض الظن اثم طبعا) انها قد تساهم برسم الواقع الذي كنا نحيا به في تلك الفترة، رغم ان تلك الاحداث تبدو صغيرة جدا الان، ولا تمتلك تلك الاهمية الكبيرة في مسيرة حياتنا العاصفة في الوقت الحاضر.

6- بوشكين بين الترجمة والاقتباس

لا توجد بالعربية دراسات او حتى اشارات الى هذا الموضوع حسب معلوماتنا، ونحاول هنا ان نطرحه في خطوطه العامة ليس الا، على أمل العودة اليه لاحقا بشكل أوسع، اذ انه موضوع يستحق التأمل والدراسة المعمقة في مسيرة الادب الروسي وتاريخه اولا، وفي مجال دراسة الادب المقارن ثانيا، رغم ان معظم القراء الروس - بشكل عام - لا يتقبلون بتاتا، بل ويرفضون رفضا قاطعا القول، بأن بوشكين قد (ترجم!) بعض نتاجاته عن لغات اجنبية، وهم يعتبرون نتاجاته روسيّة بحتة شكلا ومضمونا حتى لو كانت مقتبسة او جاءت على وفق المحاكاة. سنحاول في مقالتنا هذه ان نتوقف عند حكاية واحدة من حكايات بوشكين وهي - (حكاية الصياد والسمكة) باعتبارها انموذجا بين نتاجات بوشكين المرتبطة بموضوع الترجمة والاقتباس، اذ لا يسمح المجال في اطار مقالتنا بالتوسع اكثر.

كان بوشكين - مثل كل النبلاء الروس آنذاك - يعرف اللغة الفرنسية بشكل جيد جدا منذ طفولته، بل ان بعض الباحثين يشيرون الى ان بوشكين كتب اول قصيدة له بالفرنسية، وعدا اللغة الفرنسية كان يعرف عدة لغات اخرى. هناك ايضا لغات اجنبية عديدة حاول بوشكين اثناء مسيرة حياته ان يتعرّف عليها ويدرسها - بشكل او بآخر - لاغراض ابداعية، بما فيها العربية، وقد تم طبع الاوراق والمسودات التي كانت موجودة لدى بوشكين، ويرى القارئ فيها كل محاولات بوشكين للتعرف على تلك اللغات، وتوجد هناك بعض الحروف العربية ولفظها بالروسية بخط يده. لقد بلغ مجموع هذه اللغات التي يتقنها بوشكين او التي تعرّف على خصائصها العامة (16) لغة وهي - الفرنسية / والفرنسية القديمة / والايطالية / والانكليزية / والالمانية / واليونانية القديمة / واللاتينية / والروسية القديمة / والسلافية الكنسية / والصربية / والبولونية / والاوكرانية / والعبرية القديمة / والعربية / والتركية. الا ان بوشكين كان يتقن اللغة الفرنسية بشكل متميّز قبل كل اللغات الاجنبية الاخرى، ثم تاتي الانكليزية ثانيا، اما الالمانية فقد أشار نفسه الى انه كان يتعلمها ثم ينساها وقد حدث ذلك عدة مرات في حياته.

لم يذكر بوشكين في كتاباته انه قام بترجمة نصوص من لغات اجنبية الى الروسية كما يفعل المترجمون عادة، ولكنه اقتبس بعض المضامين والمواضيع

من النصوص الاجنبية وقام بصياغتها من جديد بلغة روسية مدهشة الجمال والوضوح (لدرجة ان القارئ الروسي ولحد الآن لا يمكن ان يتصور ان هذا النص قد اقتبس بوشكين مضمونه من لغة اجنبية، او كتبه نتيجة محاكاة لتلك النصوص الاجنبية). توجد نتاجات عديدة عند بوشكين اقتبسها من الادب العالمي، ولا يمكن في اطار هذه المقالة عرض كل تلك النتاجات، ولكننا نود الاشارة هنا، على سبيل المثال وليس الحصر الى مسرحيته الشعرية (وليمة في زمن الطاعون)، والتي جاءت ضمن كتابه الشهير - (تراجيديات صغيرة) او (مآس صغيرة كما وردت في بعض الترجمات العربية)، وهي مقتبسة من مسرحية ملحمية كتبها الكاتب الانكليزي جون ويلسون بعنوان - (مدينة الطاعون)، وهناك امثلة اخرى كثيرة طبعا، ولكننا - التزاما بما أشرنا اليه في مقدمة مقالتنا - سنتناول فقط حكاية مشهورة من حكايات بوشكين وهي - (حكاية عن الصياد والسمكة) ليس الا، وهي حكاية معروفة للروس، اذ انها تحولت حتى الى باليه، وهذه الحكاية معروفة ايضا للقارئ العربي، لأنها مترجمة الى العربية منذ زمن طويل، بل انها تحولت الى فلم سينمائي روسي بالرسوم المتحركة (كارتون) مترجم ايضا الى العربية.

لقد اطلع بوشكين حتما على حكاية الاخوين غريم بعنوان - (عن الصياد وزوجته)، او ربما حتى قرأ هذه الحكاية باللغة الالمانية، وأعاد صياغتها شعرا بالروسية، ومزج معها اجواء حكاية روسية اخرى وهي - (العجوزة البخيلة)، واطلق على تلك الحكاية تسمية اخرى وهي - (حكاية عن الصياد والسمكة)، اي انه قام بترجمة حرة لا ترتبط بتاتا بالنص الاصلي (ان صح هذا التعبير) دون ان يذكر ذلك، ولكنه صاغها شعرا في اطار اجواء روسية بحتة، حيث تجري الاحداث في بيت خشبي روسي وطريقة حياته، وتنتقل الى حياة الاغنياء الروس ثم الى حياة الحكام الروس، حيث يعرض بوشكين كل صفاتهم وعاداتهم وطباعهم من مأكل ومشرب وملابس...الخ. كان هذا الذي صاغه بوشكين في حكايته يعد شيئا ممكنا في ذلك الزمان البعيد، اذ قام به بعض الادباء الروس الكبار مثل كريلوف، الذي ترجم - بالاساس - اساطير وحكايات الكاتب الفرنسي لافونتين عن الفرنسية بصياغة روسية بحتة - انظر مقالتنا عنه بعنوان - كريلوف ابن المقفع الروسي). وهكذا اصبحت (حكاية عن الصياد والسمكة) الشعرية مرتبطة

باسم بوشكين في تاريخ الادب الروسي وفي الوعي الاجتماعي الروسي ايضا، وتعد هذه الحكاية لحد الان واحدة من اشهر الحكايات الشعبية في روسيا للقراء، سواء كانوا كبارا او صغارا، اذ يجد فيها كل واحد من هؤلاء ذلك الجانب الطريف والممتع الذي يستهويه شكلا ومضمونا. تتناول هذه الحكاية حياة صياد سمك يعيش مع زوجته عند ضفاف البحر، ويقتات على اصطياد السمك ليس الا، وقد اصطاد مرة سمكة ذهبية، ولكنها تكلمت معه وطلبت اعادتها الى الماء مقابل تحقيق امنياته ورغباته، فاطلقها واعادها الى الماء دون اي طلب، بل كان حتى متعاطفا معها، وعندما حكى كل ذلك لزوجته، طمعت تلك الزوجة وأخذت تطالبه بالعودة الى السمكة الذهبية كي يطلب منها تحقيق رغبات زوجته أكثر وأكثر، الى ان تصبح هذه الزوجة حاكمة بأمرها، ولكنها لم تكتف بذلك، بل طلبت ان تكون السمكة خادمة لها، وعندما يقول الزوج ذلك للسمكة، فان السمكة تغوص في اعماق المياه ليس الا، وهكذا يرجع الى زوجته فيراها وقد عادت الى كوخها العتيق، وتنتهي الحكاية باضاعة كل شئ نتيجة طمع هذه الزوجة، اي كما يقول المثل العربي المعروف - (طمعه قتله).

لقد صدرت هذه الحكاية في المانيا بقلم الاخوين غريم قبل ان ينشرها بوشكين بسنوات، وقد جاءت (عند بوشكين) متوافقة من حيث المضمون العام مع النص الالماني، ولا يمكن لمربيّة بوشكين ان تحكي له هذه الحكاية ثم يبدأ بوشكين بكتابتها كما تروي المصادر الروسية حول حكايات بوشكين بشكل عام. وتشير المصادر الروسية طبعا الى ان الحدث الاساسي لهذه الحكاية يرتبط بتلك الحكاية الالمانية، ولكنها تشير ايضا الى الاجواء الروسية التي تجري بها حكاية بوشكين. لكني اطلعت مرّة على حوارمنشور بالروسية مع مدير متحف الماني حول هذا الموضوع، وكان عنوان هذا الحوار قاسيا وحادّا جدا، وجاء كما يأتي - (لقد سرق بوشكين حكاية الاخوين غريم). ولا يمكن ان نتفق مع هذا الرأي بتاتا، اذ ان صياغة بوشكين الروسية شعرا لتلك الحكاية وفي اجواء روسية بحتة، جاءت بشكل يختلف اختلافا جذريا وجوهريا عن نثر الاخوين غريم، وبالتالي، فان بوشكين لم يأخذ سوى الفكرة العامة للحكاية، وهي بالطبع ليست (سرقة!) كما أشار مدير المتحف الالماني، فليس كل من يتحدث او يكتب عن روميو وجوليت او قيس وليلى مثلا هو (سارق!).

7- خطاب دستويفسكي عن بوشكين

تم افتتاح تمثال بوشكين بموسكو في 6 حزيران / يونيو 1880، وهو التمثال الذي لا يزال شاخصا في قلب موسكو لحد الان، وكان هذا الحدث كبيرا في تاريخ روسيا وادبها، خصوصا ان تنفيذه قد تعثر كثيرا في حينه، ولا مجال هنا للتوقف عند هذه النقطة. ومن الطبيعي جدا ان يحتفل الادباء الروس بتمثال بوشكين - رمز الادب في روسيا، وقد اقامت جمعية محبي الادب الروسي احتفالية كبرى بهذه المناسبة في 8 حزيران / يونيو، شارك فيها ادباء روسيا الكبار، والقى دستويفسكي في تلك الاحتفالية خطابا شهيرا دخل في تاريخ مسيرة الادب الروسي لما تضمنه من تحليل لنتاجات بوشكين ومكانته واهميته في الادب الروسي بشكل خاص، والفكر الروسي بشكل عام. ومن الغريب ان يصبح هذا الخطاب - واقعيا - آخر نشاط ادبي وفكري لدستويفسكي، اذ انه نشره في كتابه الدوري الشهري الموسوم (يوميات كاتب) للسنة الثالثة، والذي صدر في شهر آب / اوغسطس عام 1880، وقد وعد دستويفسكي القراء ان يصدر الجزء اللاحق لهذه اليوميات عام 1881 (اذا سمحت صحتي بذلك)، ولكن المنية عاجلته، اذ انه توفي في شباط / فبراير من عام 1881. هذا وقد ضمت المؤلفات الكاملة لاعمال دستويفسكي هذا الخطاب في الجزء السادس والعشرين (لينينغراد 1984) من صفحة 129 الى صفحة 149. يشير معظم المتخصصين في ادب دستويفسكي الى ان هذا الخطاب هو في الواقع وصية دستويفسكي الادبية والفكرية، اذ انه لخُّص فيه جوهر مفاهيمه الفلسفية بشأن الادب والتاريخ وحدد موقفه تجاه التيارات الفلسفية والفكرية التي كانت سائدة في روسيا آنذاك. وقد كتب دستويفسكي في (يوميات كاتب) مقدمة توضيحية للخطاب، اسهب فيها بالحديث عن بوشكين ومكانته في تاريخ الادب والفكر الروسي، وتوقف تفصيلا عند اربع نقاط. النقطة الاولى، وهي الاساسية، تشير الى ان بوشكين هو اول من حدد الظواهر المريضة للمجتمع الروسي ومثقفيه بالذات (المنعزلين تاريخيا عن تربة المجتمع والمتعالين على الشعب) كما اسماهم دستويفسكي، ويؤكد ان

بوشكين هو اول من اشار الى هذا الجانب السلبي، ويعتبر بطل رواية بوشكين الشعرية المشهورة (يفغيني اونيغين) اي يفغيني نفسه نموذجا لهذا الطراز من المثقفين، الذي خلق من بعده ابطالا يشبهونه في هذا الاتجاه، مثل بيجورين عند ليرمنتوف (بطل من هذا الزمان) وجيجيكوف عند غوغول (الارواح الميتة) ورودين عند تورغينيف (رودين) وبولكونسكي عند تولستوي (الحرب والسلم). ويتناول دستويفسكي في النقطة الثانية بمقدمته تلك عبقرية بوشكين الذي حدد مرض مجتمعه، ولكنه حدد في الوقت نفسه طريقة الخلاص والتعافي من هذا المرض، وذلك برسمه وتصويره للبطل النموذجي للجمال الروسي المنطلق من الروح الروسية، ويتمثل هذا البطل ويتجسد في تتيانا لارنا - بطلة رواية يفغيني اونيغين نفسها، هذه المرأة الروسية البسيطة التي حافظت على نفسها من الكذب والرياء، فهي التي قالت لاونيغين الحقيقة عندما احبته، وهي التي رفضت حبه في نهاية الرواية ليس لانها لم تعد تحبه وانما انطلاقا من الحفاظ على النقاء الروحي لها، لانها تريد ان تبقى مخلصة لزوجها. ان دستويفسكي يرى في هذه الشخصية تجسيدا للجمال بمعناه الفلسفي، تجسيدا يعبر خير تعبير عن الانسان الروسي وروحه. لقد كان دستويفسكي يؤكد دائما على مفهوم الجمال الفلسفي، وهناك قول معروف له في هذا المجال وهو - (الجمال ينقذ العالم). وينتقل الكاتب في مقدمته تلك الى النقطة الثالثة، حيث يتوقف طويلا عند صفة يتميز بها بوشكين - في رأيه - الا وهي التعاطف الانساني مع الاخرين بغض النظر عن الانتماء القومي لهم، ويعتقد دستويفسكي ان هذه الخاصية يتميز بها بوشكين بمفرده فقط ليس في الادب الروسي وحسب بل وحتى في الادب العالمي، ويؤكد بانه يعكس بذلك روح الشعب الروسي عموما. ومن هنا ينطلق بالحديث عن الشعب الروسي ويكرس النقطة الرابعة والاخيرة لخصائص هذا الشعب ومكانته بين الشعوب الاوربية الغربية، ويسهب بتحليل الصراع بين الفكرتين الكبيرتين اللتين كانتا سائدتين في روسيا وهما - النزعة السلافية والنزعة الغربية، ولا يخفي دستويفسكي عواطفه مع النزعة الاولى. ومن الطريف ان نشير هناالى ان هذه المقدمة قد جاءت تقريبا بحجم الخطاب عن بوشكين. ويبتدأ

الكاتب نص خطابه بالاستشهاد بما قاله غوغول عن بوشكين، وهي جملة شهيرة تقول - (ان بوشكين هو ظاهرة استثنائية ومن الممكن ايضا الوحيدة للروح الروسية)، ويضيف دستويفسكي الى هذه الجملة قائلا - (واضيف انا من عندي - وتنبؤية).

لا نعرف اذا كان هذا الخطاب مترجما الى لغتنا العربية، اذ اننا لم نعثر عليه عند بحثنا عنه، ولكن حتى لو كان مترجما فاننا نتمنى ان تسمح ظروفنا بترجمته، اذ ان كل ترجمة تعد اجتهادا ذاتيا لذلك المترجم، خصوصا ان هذا الخطاب يتضمن خلاصة مركّزة ورائعة لافكارالكاتب العملاق - دستويفسكي، والتي قد نتفق او لا نتفق معه، الا ان الاطلاع عليها ضروري جدا بلا شك.

8- بعض كلمات غوغول عن بوشكين

كتب نيقولاي غوغول (1809 - 1852) مقالة مهمة في تاريخ الادب الروسي حول الكساندر بوشكين (1799 - 1837) بعنوان - (بعض كلمات عن بوشكين) ونشرها اثناء حياة بوشكين نفسه، وهي ظاهرة نادرة جدا في تاريخ هذا الادب. لقد ظهرت هذه المقالة في الجزء الاول من كتاب اصدره غوغول عام 1835 في مدينة بطرسبورغ بعنوان - (آرابيسكي)، وهي كلمة فرنسية الاصل دخلت الى اللغة الروسية وتمتلك عدة معاني، اهمها طراز خاص من النقوش والزخارف المتناسقة ذات الالوان المختلفة على وفق الاسلوب العربي في فن الزخرفة والنقوش، وهذا العنوان يتناغم مع روحية غوغول الغرائبية بالطبع، ولهذا فان ترجمة عنوان الكتاب الى العربية مسألة غير محسومة لحد الآن، فقسم من المترجمين العرب يترجمونه - (آرابيسك) او (آرابيسكي)، اي كما جاء في النص الروسي وكما ترجمه الاوربيون الى لغاتهم، ولكن الاوربيين على حق لان تلك المفردة موجودة في لغاتهم اصلا ومفهومة بالتالي من قبل القراء، اما بالعربية فانها غير مفهومة بتاتا، ولهذا فان البعض قد حاول ان يترجم هذه التسمية كما يأتي - (زخرفة عربية) او حتى - (زخرفة شرقية) وهذه الترجمة غير دقيقة بالطبع، اذ انها لا تعبر عن معنى الكلمة بشمولية ووضوح، ولا توحي للقارئ العربي بمضمون هذا الكتاب كما اراد له غوغول نفسه، فهذه التسمية - قبل كل شئ - تعني التنوع، اي ان الكتاب لا يدور حول موضوع واحد فقط، وانما يشمل عدة مواضيع لا ترتبط بعضها بالبعض الاخر، وهكذا نجد في هذا الكتاب مقالات متنوعة مثل - (النحت والرسم والموسيقى) و(عن القرون الوسطى) و(عن تدريس التاريخ العالمي) و(حول الفن المعماري للعصر الحالي) و(المأمون) الخ... وفي هذا الكتاب كانت مقالة غوغول عن بوشكين ايضا بعنوان (بعض كلمات عن بوشكين) كما أشرنا الى ذلك اعلاه، علما ان غوغول أصدر بعدئذ الجزء الثاني من هذا الكتاب الفريد وضم كذلك مقالات متنوعة في التاريخ والجغرافيا والادب وغيرها، ولا مجال للتوقف عندها او الحديث عنها في اطار هذه المقالة بالطبع، وباختصار فان مسألة ترجمة عنوان هذا الكتاب

الى العربية لا زالت معلقة رغم شبه استقرارها تقريبا في كلمة - (آرابيسكي)، ونعود بعد هذه الاستطراد الضروري الى موضوع مقالتنا.

لا نعرف بالضبط متى كتب غوغول مقالته تلك عن بوشكين، لكن بعض المصادر وبعض مؤرخي الادب الروسي يشيرون الى انه كتبها عام 1832، الا ان المهم هنا انها ظهرت لاول مرة مطبوعة في ذلك الكتاب عام 1835، رغم ان موافقة الرقابة على هذا الكتاب كانت بتاريخ 1834/11/10، وتشغل هذه المقالة عدة صفحات من الكتاب المذكور، وقد كتبها غوغول باسلوبه الفخم والجزل والمعمق والجميل، وحدد فيها مكانة بوشكين الحقيقية في دنيا الادب الروسي واطلق عليه تسمية - (الشاعر الروسي الوطني الاعظم)، وهي تسمية جديدة ومبتكرة في تاريخ النقد والفكر الروسي لا زالت تقترن باسم غوغول لحد الآن، اذ لم يسبق ان استخدمها اي ناقد او باحث روسي قبل غوغول، ويرى بعض مؤرخي الادب الروسي (وهم من وجهة نظري على حق) ان الناقد الادبي الروسي الكبير بيلينسكي (1811 - 1848) قد التقط هذه التسمية التي اطلقها غوغول بالذات واستوعبها بعمق وانطلق منها بكتاباته النقدية التحليلية المشهورة عن بوشكين، والتي بلغت (11) مقالة طويلة وتفصيلية تناولت الادب الروسي قبل ظهور بوشكين ومن ثمٌ توقف عند دور بوشكين الكبير والمتميز في مسيرة هذا الادب، ولا زالت هذه المقالات تعد واحدة من اهم مصادر دراسة بوشكين واهميته في الادب الروسي سواء داخل روسيا او خارجها. لقد أكٌد غوغول ان بوشكين يجسٌد الروح الروسية في نتاجاته لدرجة ان أحد النقاد اعتبرها حدثا كبيرا في تاريخ الادب الروسي بشكل عام لانها عكست واثبتت الرؤية العبقرية لغوغول، الذي تنبأ واقعيا بمصير بوشكين (الذي وصل اليه في الوقت الحاضر) اثناء حياة بوشكين نفسه، اي ان غوغول اعطانا نبوءة مستقبلية في مقالته تلك اثبت الزمان فيما بعد صحتها، اذ اصبح اسم بوشكين رمزا لروسيا، وقد بث التلفزيون الروسي الرسمي قبل عدة سنوات برنامجا خاصا ساهم فيه كبار السياسيين والمثقفين وممثل الكنيسة الارثذوكسية الروسية آنذاك الاب كيريل (الذي اصبح الآن على رأس الكنيسة الروسية الارثذوكسية لعموم روسيا) وطرح كل واحد منهم اسما يمثل روسيا عبر تاريخها كله واصبح مجموع الاسماء المطروحة حوالي 100 اسم، وبعد مناقشات واسعة في عدة حلقات

وتصويت المشاهدين جاء اسم بوشكين ضمن الاسماء العشرة الاوائل، وبعد تصفية تلك الاسماء عبر مناقشات حامية الوطيس ايضا وبتصويت المشاهدين جاء بوشكين رابعا بعد نيفسكي وستالين وستاليبين، وهذا يعني ان بوشكين هو الاديب الروسي الوحيد الذي استطاع ان يتنافس مع ثلاثة سياسيين كبار في تاريخ روسيا عبر كل تاريخها الطويل، والذين لعبوا ادوارا مهمة وخطيرة جدا في مسيرتها الحافلة، علما ان نتائج التصويت كانت متقاربة الى حد ما.

لا يمكن بالطبع عرض مقالة غوغول هذه عن بوشكين ضمن عدة كلمات اوبضعة سطور، وهي تقتضي - في رأي - ان نترجمها باكملها الى العربية، اذ انها تعد ولحد الآن مقالة اساسية لفهم واستيعاب نتاجات بوشكين واهميته في تاريخ الادب الروسي ومسيرته، وقد حاولت ان ابحث عنها بالعربية في مصادر عديدة ولكني لم أجدها، ومن الممكن باني لم أعثر على ترجمتها ليس الا، ولكني في كل الاحوال اتمنى ان تكون مقالة غوغول هذه في متناول القارئ العربي المهتم بالادب الروسي عموما وبادب بوشكين خصوصا. ان هدف هذه المقالة يكمن بالذات في هذا الاستنتاج الذي أشرت اليه لتوي الآن بالذات، اي الى ضرورة ان يتعرف القارئ العربي على آراء غوغول حول بوشكين، والتي لخُّصها غوغول في مقالته تلك، وبالطبع فاني اود ان اعلن هنا عن استعدادي التام لترجمة (او اعادة ترجمة) هذه المقالة وكتابة الهوامش اللازمة لها، او للتعاون مع الاخرين لتنفيذ هذه المهمة العلمية الضرورية والرائعة في آن واحد.

9- مسرحية بوشكين الشعرية - (موتسارت وساليري)

مسرحية بوشكين الشعرية - (موتسارت وساليري) تتمحور حول موضوعة الحسد باعتبارها ظاهرة اجتماعية يمكن ان تؤدي ادوارا خطيرة وهائلة وكبيرة ورهيبة في مسيرة العلاقات بين البشر، وفي تفاصيل الحياة الانسانية اليومية بشكل عام، وكم توجد في التراث العربي من قصص وحكايات تتناول موضوعة الحسد هذه وانعكاساتها وتأثيرها ونتائجها المرعبة، وكان عنوان مسرحية بوشكين هذه عندما كتبها اول مرة هو - (الحسد) الا انه تخلّى عن هذا العنوان لاحقا ووضع بدلا عنه عنوان - (موتسارت وساليري) كي يكون اكثر شمولية، وعندما اطلعت على مسرحية بوشكين هذه لاول مرة وكنت آنذاك طالبا في كلية الاداب بجامعة موسكو قبل خمسين سنة، تذكرت رأسا سورة الفلق، وخصوصا الآية الاخيرة فيها - (ومن شر حاسد اذا حسد)، وبقيت اردده بيني وبين نفسي، اذ يقول ساليري في سياق هذه المسرحية بصراحة الجملة الآتية - (أنا حسود. شعور بالحسد المضني ينهشني)، وهذا اعتراف خطير للانسان وهو يتحدث مع نفسه، وفي هذه الجملة بالذات يكمن جوهر المسرحية الفكري والفلسفي، ويشير بعض النقاد والباحثين الروس الى ان بوشكين كان يميل الى الاعتقاد بظاهرة الحسد في العلاقات الانسانية بشكل عام، بل ان بعض الاصدقاء قالوا لي صراحة انهم اتخذوا بعض الاجراءات (الوقائية!!!) الدقيقة والمحددة حول ذلك، واخذوا هذا بعين الاعتبار في علاقاتهم بمن حولهم ممن يبدون بشكل او بآخر حسدهم تجاههم بعد اطلاعهم على نهاية هذه المسرحية بالذات!!! وقد قلت لهم ضاحكا ان في هذا تكمن عظمة الفن ووظيفته الاجتماعية واهميته في حياة الانسان، وفي هذا ايضا تنعكس عبقرية بوشكين وخلوده، ويتناول الكاتب في مسرحيته موضوعة اخرى عدا الحسد وهي - العلاقة المتبادلة بين العبقرية والشر، اذ يطرح موتسارت هذه الفكرة في حواره مع ساليري ويقول، ان العبقرية والشر - (ضدان لا يجتمعان)، اما ساليري فانه يشك في ذلك، وهذا موضوع فلسفي كبير في مسيرة الفكر... ولكن من الضروري ان نبدأ ولو بشكل وجيز - قبل ذلك كله - بالكلام عن هذه المسرحية وتاريخها وسماتها وموقعها في نتاجات بوشكين الابداعية اولا. كتب بوشكين هذه المسرحية في فترة نضوجه

الفكري وذلك عام 1830 وتم نشرها عام 1832 وهي واحدة من اربع مسرحيات شعرية اطلق بوشكين عليها تسمية - (التراجيديات الصغيرة) او (المآسي الصغيرة) كما جاءت في بعض الترجمات العربية، وتعد مسرحية - (موتسارت وساليري) (غالبا ما يكتب المترجمون العرب اسم الموسيقار النمساوي هكذا - موزارت، ولكننا ارتأينا الاحتفاظ باسمه كما جاء عند بوشكين في النص الروسي) احدى نتاجاته التي اعتمد فيها على الموضوعة العالمية في محاولاته للكتابة عن هموم الحياة الانسانية وتشعباتها المختلفة حيث تناول الانسان بشكل عام بغض النظر عن قوميته وجنسه ودينه...الخ، (لنتذكر مثلا قصيدة بوشكين الشهيرة - النبي) وقد أبدع الكاتب في ذلك بشكل رائع، وهي المسرحية الوحيدة التي تم عرضها على خشبة المسرح اثناء حياة بوشكين نفسه وذلك في نفس عام نشرها اي في 1832. اطلع بوشكين على قصة وفاة الموسيقار النمساوي العظيم موتسارت بعد ان دس صديقه الموسيقار الايطالي ساليري السم له لانه كان يحسده لنجاحاته الباهرة في عالم الموسيقى ولا يستطيع ان يجاريه، وقد نشرت هذه الاشاعات الصحف العالمية ومنها الروسية في اواسط عشرينيات القرن التاسع عشر، وكان بوشكين يميل الى الاعتقاد بمثل هذه الافكار المستندة الى صفة الحسد عند بعض البشر، وكيف ان هذه الصفة يمكن ان تؤدي بالانسان الى ارتكاب الجريمة، وقد أشارت تلك الاخبار في حينها الى ان ساليري قد اعترف بجريمته تلك وهو على فراش الموت. وهكذا كتب بوشكين مسرحيته الشعرية في اطار هذا المضمون واصفا حسد ساليري الشديد والرهيب تجاه موتسارت وموسيقاه الرائعة، والتي كان الناس يتقبلونها باعجاب ودهشة، بينما لم يحقق هو (اي ساليري) ذلك النجاح رغم انه اكثرخبرة منه وأقدم في مجال التأليف الموسيقي، ويتخذ القرار بقتله، وذلك عندما يدعوه لتناول الطعام ويدس له السم في قدحه، وهكذا يقضي عليه مسموما ويتخلص منه، انطلاقا من حسده المرعب له. لقد عاد الحديث عن هذه الاحداث مرة اخرى عندما قام المخرج التشيكي ميلوس فورمان عام 1984 باخراج فيلم على وفق مسرحية بيتر شافر حول جريمة ساليري ضد موتسارت، ولكن سكان المدينة الايطالية التي عاش فيها الموسيقار الايطالي ساليري وكذلك متحف موتسارت بدأوا بحملة لرد الاعتبار الى ساليري، مؤكدين ان الموسيقار الايطالي برئ من

هذه التهمة، وان الذين ألصقوها به هم الصحفيون، وجاء بعدهم بوشكين الذي اقتنع بصحة تلك الاتهامات وكتب مسرحيته حول ذلك، ثم جاءت مسرحية شافر ثم الفيلم...الخ، ومن اجل اثبات براءة ساليري اشاروا الى ان زوجة موتسارت نفسها قررت ان يكون ساليري معلما لطفل موتسارت في الموسيقى، وان هذا الواقع بحد ذاته ينفي هذه التهمة، اذ كيف يمكن للام ان تثق بقاتل زوجها وتمنحه امكانية تعليم ابن الشخص الذي قتله؟ ولكن كل هذه الوقائع والآراء التي تدور حولها لا يعني الغاء مسرحية بوشكين او حتى التقليل من اهميتها او التأثير على مكانتها في دنيا الثقافة والادب، أذ انها تبقى نتاجا فنيا وابداعيا باهرا يتمحور حول ظاهرة موجودة فعلا في المجتمع الانساني وتؤدي دورا في مسيرة حياة البشر، وقد استطاع بوشكين بعبقريته ان يصورهذه الفكرة ويستخدمها بغض النظر عن ابطال هذا الحدث وزمانه ومكانه. ختاما لهذه السطور الوجيزة، اود الاشارة الى ان هذه المسرحية الشعرية قد تم ترجمتها الى العربية من قبل مترجمين فطاحل هم المرحومة أ.د. حياة شرارة (في كتابها بعنوان - مسرحيات بوشكين، الذي صدر في بغداد نهاية الثمانينات وقد كتبت انا له المقدمة وراجعته)، والاستاذ عدنان جاموس، زميلي السوري في كلية الاداب بجامعة موسكو وصدر في دمشق بعنوان - المآسي الصغيرة عن الهيئة العامة السورية للكتاب، والاستاذ المصري المعروف بشعره وترجماته رفعت سلام في كتابه بعنوان - الغجر واعمال اخرى لبوشكين، والصادر في القاهرة ضمن سلسلة مشروع القراءة للجميع، وربما توجد ترجمات عربية اخرى لهذه المسرحية، ويمكن القول بلا شك ان هذه الترجمات تنتظر الباحث العربي الذي سيدرسها ويقارنها مع النص الروسي ويتحفنا بدراسة جميلة ومفيدة حول الترجمة واساليبها.

10- بوشكين وتشيخوف

ولد بوشكين في العام 1799، وهو من عائلة نبلاء، وبرز عندما كان في المدرسة، وتنبأ له الجميع بمستقبل ادبي زاهر، اما تشيخوف فقد ولد في العام 1860، وكان جده من الاقنان، الذين استطاعوا شراء حريتهم، وكان ابوه تاجرا صغيرا افلس واضطر ان يغادر مدينته تاغنروغ هربا من الدائنين، وترك ابنه انطون وحيدا هناك، واستطاع الابن ان ينهي المدرسة ويلتحق في كلية الطب في جامعة موسكو بجهوده الفردية وعمله وكفاحه، وبدأ انطون تشيخوف منذ عام 1880 بنشر قصصا فكاهية صغيرة في مجلات الدرجة الثانية الروسية كي يحصل على بعض النقود التي تعيله في الدراسة والمعيشة.

لم يحلم تشيخوف يوما - ما ان يكون اسمه جنب اسم بوشكين، اذ ان الاخير اصبح ومنذ ظهوره الاسم الاول والاكبر في مسيرة الادب الروسي وتاريخه، وقد اعترف كل ادباء روسيا الكبار بهذا ابتداء من ليرمنتوف وغوغول وتورغينيف ودستويفسكي وتولستوي و... و... و...، ولكن بعد وفاة تشيخوف في العام 1904، اطلق تولستوي جملة بسيطة وعميقة في آن واحد، قال فيها ان تشيخوف هو - بوشكين في النثر، واوضح تولستوي فكرته هذه كما جاء في شهادة الناقد لازاريفسكي في احدى مقالاته التي نشرها في موسكو عام 1909 تحت عنوان (عن تولستوي) هكذا - (كل شخص يقدر ان يجد في قصائد بوشكين شيئا - ما عاشه هو نفسه او عاناه، وفي قصص تشيخوف يجد القارئ حتما نفسه وافكاره). ان اقوال تولستوي لم تأت طبعا من فراغ، وانما جاءت مستندة الى خبرته وتجربته الغنية في الابداع الفكري.

لقد حاول النقاد والباحثون تطوير هذه الافكار، واخذوا يقارنون بين نتاجات تشيخوف وبوشكين، واكتشفوا ان الشئ الرئيسي والاساسي الذي يوحدهما هو مفهومهما للادب بشكل عام، فمن المعروف ان بوشكين لم يعلن نفسه معلما اخلاقيا للاخرين، ولم يوظف مؤلفاته لتوجيه القراء واقناعهم بافكاره ومثله العليا كي يحذوا حذوه، ولم يحول ادبه الى تعاليم

فلسفية واجتماعية كما فعل ذلك كبار الادباء الروس من بعده مثل غوغول وتورغينيف ودستويفسكي وتولستوي. ان هدف الشعر بالنسبة لبوشكين - هو الشعر نفسه، الذي ينطلق من (الدقة والايجاز)، كما عبر بوشكين نفسه مرة، وكل هذه الصفات تنطبق على تشيخوف ايضا، الذي كان يؤكد بانه يريد ان يكون (فنانا حرا فقط) ولم يرغب ابدا ان يحول مؤلفاته الى محكمة تصدر الاحكام على ابطاله، بل كان يصر على ان يكون شاهدا موضوعيا لما يجري حوله، ويترك الحكم للقارئ ليس الا.

يتميز بوشكين وتشيخوف ايضا في كونهما قد طرحا في ادبهما الحوادث البسيطة والاعتيادية دون اطار فلسفي معمق وحوارات فكرية مطولة بين الابطال، وهي الصفات التي تميُّز بها بقية كبار الادباء الروس كما هو معروف، ولعل التوقف قليلا عند رواية بوشكين - (يفغيني اونيغين) الشعرية، حيث البساطة في المضمون، والاسلوب الشفاف وتقنيته، ومقارنتها بقصة تشيخوف - (السيدة ذات الكلب الصغير)، والتي تتضمن نفس تلك الخصائص، يمكن ان توضح هذه التشابه والتناغم الفكري بين بوشكين وتشيخوف.

ان رواية (يفغيني اونيغين) هي العمل الفني المركزي عند بوشكين وهي قمة ابداعه الادبي، هذه الرواية التي اسماها الناقد الادبي الكبير بيلينسكي - (موسوعة الحياة الروسية)، والتي يمكن القول ان الشعب الروسي لحد الان يعرفها ويطالعها ويتغنى بها ويستشهد بابيات منها بغض النظر عن المستويات الثقافية والفكرية المختلفة. ان مجمل مضمون هذه الرواية يكمن في قصة حب فتاة شابة كتبت لحبيبها يفغيني اونيغين رسالة، تفصح فيها عن حبها له، ولكنه لم يتقبل ذلك، وتمضي السنوات ويلتقيان مرة اخرى، فيبدأ هو بملاحقتها، ولكنها تجيبه بشجاعة وامانة انها لا تزال تحبه لكنها متزوجة الان وبالتالي ترفضه. ولم يضع بوشكين لهذه الرواية اي نهاية، وابقاها هكذا (مفتوحة) ليس الا. وهذا كل شئ في تلك الرواية، والسؤال هو - لماذا اصبحت هذه الرواية (موسوعة) الحياة الروسية؟ والجواب - لأن بوشكين كتب فيها باسلوبه السهل الممتنع عن كل تفاصيل الحياة اليومية

الروسية، واذكر مرة اندهاشي، عندما كنت اتحدث مع امراة روسية مسنّة اعطتني نوعا من انواع المربى وقالت لي انها مذكورة في رواية يفغيني اونيغين، واذكر ايضا ما قاله لي احد المترجمين الروس مرة، مجيبا على اعتراضي لاستخدامه مفردة انكليزية في سياق الجملة الروسية قائلا، ان بوشكين استخدم كلمة انكليزية في سياق روايته تلك، وقرأ مقطعا من الرواية، حيث يخاطب بوشكين شخصا اسمه شيشكوف، كان لغويا روسيا متزمتا، ويعتذر منه بمرح لانه استخدم مفردة انكليزية لا يعرف كيف يترجمها، وقال لي المترجم الروسي - اذا كان بوشكين قد عمل ذلك فلماذا لا اعمل انا ذلك؟ ولا اريد الاستطراد اكثر في هذه المجال المتشعب والكبير، ولكني اود الانتقال الى الحديث عن القصة الطويلة (السيدة ذات الكلب الصغير) لتشيخوف. ان مضمون هذه القصة يتناول لقاء رجل متزوج بامرأة متزوجة، وقصة حبهما فيما بعد، وتنتهي القصة ببكاء مرير من البطلة التي لا تجد مخرجا لهذا الحب وكلمات باهتة للبطل ليس الا، اي ان تلك القصة (كما هو الحال في قصصه الكثيرة الاخرى) تبقى دون نهاية محددة، بل تمتلك نهاية مفتوحة لكل الاحتمالات (مثل نهاية يفغيني اونيغين)، ولكن هذا المضمون البسيط لهذه القصة لم يمنعها ان تصبح واحدة من اجمل نماذج الادب العالمي والتي تحولت الى فيلم سينمائي شهير وترجمت الى عشرات اللغات الاخرى ولا زالت واحدة من القصص التي تطبع وتنتشر بين القراء، ومن الطريف ان نشير هنا الى انها قد تحولت الى نصب في مدينة يالطا، التي تعارفا فيها البطل والبطلة اثناء عطلة الصيف، ويقف هذا النصب الان على كورنيش المدينة واصبح معلما من معالم مدينة يالطا. ولا يمكن الاستطراد اكثر في هذا المجال، ولكن يمكن الاستنتاج، ان اسلوب البساطة المتناهية بالمضمون والشكل في الادب الروسي، الذي بدأه بوشكين قد انبعث واستمر - بعد انقطاع في مسيرة هذه الادب - عند تشيخوف بالذات، وان خطا فكريا وفنيا واضحا قد تبلورفي هذا الادب، ويمثله ويجسمه بحق بوشكين وتشيخوف.

هناك بالطبع صفات مشتركة اخرى بينهما، لعل اهمها هو التقارب في اسلوب الكتابة وتقنيتها، فكلاهما كانا يؤكدان على استخدام التفاصيل الدقيقة

والصغيرة لابطالهما، كي يوصلا للقارئ صفات هؤلاء الابطال، متجنبين الوصف التفصيلي والشرح الفائض للمزاج الروحي لهؤلاء الابطال، وكل ذلك كان يتطلب استخداما واسعا جدا للمفردات اللغوية واشتقاقاتها، لدرجة جعلت مكسيم غوركي يشير، الى ان مؤرخي الادب الروسي سيقولون، ان هذه اللغة قد وضع اسسها كل من بوشكين وتورغينيف وتشيخوف.

ان موضوعة بوشكين وتشيخوف متشعبة جدا في دنيا النقد الادبي الروسي، ومن الطريف ختاما ان نشير هنا الى مقالة كتبها اندريه بيتوف - رئيس نادي القلم في روسيا بعنوان مثير هو (جدي تشيخوف وجد جدي بوشكين)، يتناول فيها التناغم الجميل بين الاديبين، ويعتبر بوشكين ممثلا لظاهرة المستوى الثقافي العالمي في الانسان الروسي، اما تشيخوف فانه يجسد ظاهرة التحضُّر في المثقف الروسي، مؤكدا عدم وجود (افكارا عارية) لديهما، وان اسلوبهما هو رمز الحفاظ على نظافة البيئة الادبية واللغوية.

11- ندوة في موسكو عن بوشكين بكل اللغات

استلمت دعوة كريمة من اتحاد الشعراء العالمي والمكتبة الوطنية الروسية بموسكو (مكتبة لينين سابقا) للمشاركة في ندوة طاولة مستديرة حول بوشكين، والتي تنعقد في 6 حزيران 2017 (وهو يوم ميلاد بوشكين والذي اعلنته ايضا روسيا رسميّا - يوم اللغة الروسية العالمي) وذلك بمناسبة مرور 218 سنة على ميلاد الشاعر الروسي الكبير بعنوان - (بوشكين بكل اللغات) في قاعة الاجتماعات بالمكتبة المذكورة.

افتتح الندوة المدير العام للمكتبة الوطنية فلاديمر غنيزديلوف، مشيرا الى ان هذه الفعالية ليست عفوية في مكتبة تعد واحدة من اعظم وأكبر مكتبات العالم، اذ انها تحتوي على عدة ملايين من الدواوين والمجاميع الشعرية، وان نتاجات بوشكين وحدها تصل الى عشرات الاف الكتب وبمختلف اللغات. اعلن غنيزديلوف في ختام كلمته عن شكره لاتحاد الشعراء العالمي على مبادرته هذه، وكذلك عن استعداد المكتبة للتعاون العلمي اللاحق بينهما.

تحدثت بعده رئيسة اتحاد الشعراء العالمي السيدة أرايدا فينوغرادوفا، حيث توقفت عند أهمية الشعر، لانه - (يمكن ان يكون جوابا على القضايا الروحية الكبرى للانسان المعاصر)، وانه بالتالي (يمكن أن يوحّد البشر)، وأشارت الى انه ليس عبثا قرار اليونسكو باعلان (اليوم العالمي للشعر)، ولهذا فان الشعر يجب ان يبدأ الان وفورا (بتأجيج قلوب البشر!)، وتوقفت فينوغرادوفا عند موضوعة ترجمة الشعر وضرورتها واهميتها في تعريف القارئ بالشعر العالمي وتوسيع اطاره ومكانته، مؤكدة على ان الترجمة هي عملية ابداعية يقوم بها اما شاعر او مترجم يتحسس بعمق جمالية الشعر ويحافظ على تلك الصفة المدهشة فيه. اختتمت رئيسة الاتحاد كلمتها بقراءة قصيدة لها عن بوشكين.

تحدثت بعد ذلك استاذة الادب الانكليزي في جامعة اللغات بموسكو عن بوشكين باللغة الانكليزية بشكل وجيز وقرأت قصيدة (النبي) بترجمة أحد الشعراء الانكليز، وأجادت الاستاذة بالقاء تلك القصيدة، وصفق الحاضرون لها بشكل واضح.

عرضت عريفة الحفل السيدة عايدة سرغييفنا سوبوليفا بعد ذلك فيديو (على شاشتين كبيرتين مثبتين في أعلى بداية القاعة ونهايتها) يتضمن قراءة بالروسية لقصيدة (النبي) يلقيها الفنان الروسي الراحل سموكتونوفسكي بطريقة تعبيرية مدهشة الجمال مع ترجمتي لتلك القصيدة بالعربية في أسفل الشاشة، وبعد الانتهاء من هذا العرض أشارت عريفة الحفل، الى ان مترجم هذه القصيدة الى العربية حاضر في ندوتنا، وقدمتني لقراءة الترجمة والحديث عن تاريخها وسبب اختيار تلك القصيدة بالذات للترجمة الى العربية. قرأت النص العربي لقصيدة (النبي) وتحدثت عن تاريخ تلك الترجمة بايجاز، اذ اني شاركت عام 1999 بمسابقة اعلنتها منظمة اليونسكو لترجمة قصيدة (النبي) الى ثماني لغات، من بينها العربية، لمناسبة مرور قرنين على ميلاد بوشكين، ولم تحصل تلك الترجمة على جائزة المسابقة، ولكن منظمة اليونسكو رفضت الاجابة عن استفساري بشأن الترجمة الفائزة آنذاك، مما اضطرني لنشر مقالة بعنوان - (بوشكين واليونسكو وجواد الحطاب وأنا)، حيث تحدثت هناك عن كل تلك الملابسات التي ارتبطت بهذه المسألة، ونشرت في نهاية المقالة - النص العربي للترجمة، واكتشفت بعد فترة ان هذا النص قد تحول الى فديو منشور في الانترنيت لتلك القصيدة مع نصها الروسي بقراءة الفنان الروسي الراحل سموكتونوفسكي. عرضت عريفة الحفل بعد ذلك صورة التمثال النصفي لبوشكين في كليّة اللغات بجامعة بغداد، وتحدثت عن جهود الجمعية العراقية لخريجي الجامعات السوفيتية والروسية باقامته بعد تدشين التمثال النصفي للجواهري في جامعة فارونش الروسية بمبادرة من مركز الدراسات العراقية - الروسية في تلك الجامعة (انظر مقالتنا بعنوان - قصة تمثال بوشكين في جامعة بغداد).

تحدّث بعد ذلك الدكتور فريد منوروفيتش كارايف رئيس قسم العلوم الانسانية في المعهد الاسلامي في موسكو عن قصيدة بوشكين الشهيرة - (محاكاة القرآن)، وتاريخ ترجمتها الى اللغة التتارية، وأشار في نهاية كلمته، الى انه يعتبر بوشكين (أكبر وأعظم شاعر روسي اسلاميّة) لانه استطاع في قصيدته (محاكاة القرآن) ان يعكس عمق الاسلام وفلسفته.

توالى المتحدثون في هذه الندوة، واستمعنا الى قصائد بوشكين باللغة الكورية، والتي ألقتها عميدة كليّة الترجمة في جامعة اللغات بموسكو، وثم باللغات الفرنسية والصينية والفارسية والاوردو والاذربيجانية والطاجيكية (قارنت الاستاذة الطاجيكية قصيدة (التمثال) لبوشكين باحدى قصائد الفردوسي، وهي ملاحظة في غاية الطرافة والتي تثير الدهشة فعلا وتصلح ان تكون موضوعا متميّزا في علم الادب المقارن)، واستمعنا الى كلمة شائقة جدا لمندوبة مركز سولجينيتسن في موسكو عن دور بوشكين في توحيد اللاجئين الروس، الذين هاجروا بعد اكتوبر 1917 الى خارج روسيا، واستمعنا ايضا الى كلمة مهمة ألقاها البروفيسور بيللي من اكاديمية العلوم الروسية عن موقف بوشكين من حركة الديسمبريين، وتضمنت الكلمة افكارا جديدة جدا بشأن هذا الموضوع الكبير في تاريخ الادب الروسي، ولا يسمح المجال هنا للحديث عنها.

في نهاية الندوة زرنا معرض الكتب عن بوشكين بمختلف اللغات، والذي أعدته ادارة المكتبة، وكان كتاب (ابنة الضابط) لبوشكين بترجمة سامي الدروبي من ضمن معروضاته، وهو كتاب صادر في دمشق عام 1953 عن دار النهضة المشهورة.

ندوة - (بوشكين بكل اللغات) هي هدية روسيا الى بوشكين في ذكرى ميلاده، وهي كلمة جديدة تضاف الى مكانة بوشكين واهميته في تاريخ الادب الروسي، والادب العالمي ايضا.

12- أصدقاء بوشكين

استلمت هدية جميلة ورائعة من زملاء الدراسة بجامعة موسكو في ستينيات القرن الماضي، وهي عبارة عن كتاب روسي عنوانه - (اصدقاء بوشكين) من تأليف فيكتور فلاديميروفتش كونين (والذي كتب في الصفحة الرابعة داخل الكتاب اسمه وأشار الى ان الكتاب من اعداده وتهميشه ليس الا انطلاقا من تواضع العلماء طبعا). الجزء الاول من الكتاب يقع في 639 صفحة من القطع المتوسط، والجزء الثاني يقع في 639 صفحة ايضا من نفس القطع (ويا لها من مصادفة غريبة! اذ لا اظن انها جاءت متعمدة)، وكلاهما صادران في موسكو عام 1986 عن دار نشر(برافدا).

يتناول هذا الكتاب ثلاثين صديقا لبوشكين، ويتحدث عن علاقة الشاعرمعهم، ويستند الباحث الى الرسائل المتبادلة بينهم والى قصائد محددة كتبها بوشكين حولهم والى مصادر عديدة اخرى من كتب ومجلات وصحف ومذكرات اناس عاصروا تلك الفترة...الخ من المراجع المتنوعة الاخرى. انه كتاب فريد من نوعه فعلا، وهو - حسب فكرته وصياغته الفنية هذه ومضمونه - يجسِّد بحثا علميا محددا ودقيقا ومبتكرا واصيلا وجميلا بكل معنى هذه الكلمات، وذلك لأنه يعتمد على وثائق مدُونة - وليس خواطر وتأملات - حول بوشكين، شاعر روسيا الاول عبر كل العصور، ويستخلص الباحث منها استنتاجاته العلمية الدقيقة. كم اتمنى ان أجد يوما - ما بالعربية كتبا مماثلة لهذا الكتاب تحمل عناوين مثل - أصدقاء أحمد شوقي // أصدقاء الجواهري // أصدقاء السياب // أصدقاء نزار قباني... الخ، اذ ان ذلك سيعني اضافة نوعية ومعمقة لدراسة ادبنا وفكرنا.

يثبِّت المؤلف في الصفحة الاولى من كتابه مقطعا من قصيدة بوشكين وهو -

...أصدقائي وموهبتي...

هم سلوتي...

وهو اختيار دقيق وطريف حقا، اذ ان القارئ يكتشف - بعد الاطلاع على الكتاب طبعا - ذلك الدور الكبير لاصدقاء بوشكين في مسيرة حياته وانعكاس تلك العلاقات الواسعة على ابداعه.

لا يمكن بالطبع لهذه المقالة ان تعرض هذا العدد الكبير من اصدقاء بوشكين، ولكننا نود ان نتوقف عند البعض منهم ليس الا. يبتدأ الكتاب بعرض اصدقاء الصبا والمدرسة والاقارب طبعا، ويتوقف اولا عند عم بوشكين وهو فاسيلي لفوفيتش بوشكين (1766 - 1830) والذي كان شاعرا معروفا في زمانه، وعلى الرغم من الفارق الكبير في العمر بينهما (هو أكبر من بوشكين بثلاث وثلاثين سنة)، الا ان تأثيره على شاعرية بوشكين كانت كبيرة جدا بشهادة كل نقاد ومؤرخي الادب الروسي، لهذا يرى الباحث انه أوّل الاصدقاء. يتوقف الباحث بعدئذ عند اخت الشاعر التي كانت أكبر منه بسنتين واسمها اولغا، والتي كتب لها بوشكين قصيدة طويلة عندما كان عمره 15 سنة ليس الا بعنوان (الى اختي) يتناول فيها بشكل جميل كل ذكرياتهما، وقد بدأت واضحة في تلك القصيدة خصائص بوشكين الشعرية من بساطة التعبير ورشاقة الكلمات وصولا الى (السهل الممتنع)، هذا الاسلوب البوشكيني الجميل. هناك شخص آخر من عائلة بوشكين يدخل ضمن الاصدقاء وهو أخ بوشكين الاصغر منه واسمه ليف سيرغييفتش بوشكين، الذي ولد بعد ست سنوات من ولادة الشاعر. لقد كان بوشكين يكتب لأخيه رسائل صريحة وتفصيلية عن كل شئ يخطر في عقله وقلبه وروحه من افكار وأحداث لدرجة، ان بعض الباحثين في أدب بوشكين يؤكدون ان هذه الرسائل هي المصدر الاول في دراسة ابداع بوشكين وتحليله، وكان بوشكين يعرف بالطبع أهمية تلك المراسلات، لهذا أوصى زوجته ان تعطيها لابنه الاكبر عندما يبلغ عمره 18 سنة. يتوقف الباحث بعدئذ عند مربّية بوشكين واسمها ارينا روديونفنا ياكوفليفا (1758 - 1828)، ويعدّها ضمن الاصدقاء الذين تأثّر بهم بوشكين، اذ انه سمع منها الاغاني الروسية والحكايات الشعبية، وحتى ان بوشكين كتب عنها في احدى قصائده قائلا انها - (صديقة الايام الجهمة)، وذكرها عدة مرات في قصائد اخرى، بل توجد لوحة زيتية مشهورة في الفن التشكيلي الروسي تمثّل بوشكين ومربيته ياكوفليفا، وقد تكلّم مؤرخو الادب الروسي عن دورها في بلورة آراء بوشكين حول روسيا وابداعه، خصوصا في سلسلة حكاياته الشعبية الروسية. الاسم الآخر الذي يتوقف عنده الباحث في هذا الكتاب هو انطون انطونفيتش ديلفغ (1798 - 1831)، الذي أشار بوشكين في احدى رسائله الى انه (لم يكن احد قريب لي أكثر منه...)،

وربما توجد في هذه الكلمات مبالغة وعواطف، اذ ان بوشكين كتبها بعد موت ديلفغ مباشرة، ولكنها في كل الاحوال تعني شيئا - ما حتما، بل وانها تؤكد - بغض النظر عن كل شئ - ان علاقتهما كانت قوية فعلا. ينتقل الباحث بعد ذلك الى اسم كبير في تاريخ الادب الروسي وهو فاسيلي اندريفتش جوكوفسكي (1783 - 1852)، والذي يرتبط اسمه في تاريخ الادب الروسي بالرومانسية باعتبارها مدرسة ادبية متميزة في مسيرة ذلك الادب، اضافة الى انه يعد من أبرز المترجمين الروس، والذي ترجم ملاحم الادب العالمي الى الروسية مثل (الاوديسيه) لهوميروس و(الشاهنامه) للفردوسي وغيرها. لقد لاحظ جوكوفسكي عبقرية بوشكين منذ بداياتها، وأخذ يرعاه، وعندما كان شاعرا للبلاط القيصري ومعلما لابن القيصر دافع عن بوشكين دائما في تلك الاوساط، ومعروفة قصة اهداء صورته الى بوشكين، والتي كتب عليها (الى التلميذ المنتصر من المعلم المندحر). لقد خصص الباحث ستين صفحة باكملها لعلاقات الصداقة بين جوكوفسكي وبوشكين، ونشر الباحث هناك قصيدتين لبوشكين الاولى بعنوان (الى جوكوفسكي) والثانية بعنوان (نحو بورتريه جوكوفسكي)، ونشر كذلك قصيدة جوكوفسكي عن بوشكين وهي بلا عنوان، يصف فيها وقفته التأملية عند جثمان بوشكين، وهناك مقاطع عديدة من الرسائل المتبادلة بينهما، وكذلك من رسائل جوكوفسكي الى اصدقاء آخرين له يتحدث فيها عن بوشكين وجمالية قصائده ويسميه (عبقري مدهش...) ويطلب منه في رسالة عام 1825 ان يتفرغ كليا للشعر كي يمنح الادب الروسي (نتاجا خالدا). ينتقل الباحث بعدئذ الى عدة اسماء اخرى كبيرة في تاريخ الادب الروسي منها - فيازيمسكي وتشادايف وكارامزين وغيرهم. لا يمكن بالطبع ايجاز علاقات بوشكين بتلك الاسماء البارزة من الادباء وانعكاس كل ذلك في ابداع بوشكين او في النتاجات المتشعبة لهؤلاء الادباء والمفكرين الكبار، او في مسيرة الادب الروسي وتاريخه بشكل عام، وانا على قناعة تامة ان علاقة بوشكين بكل واحد من تلك الاسماء تتطلب مقالة خاصة منفصلة، واتمنى ان تسمح ظروفي لتحقيق ذلك لاحقا من اجل اغناء الدراسات العربية حول بوشكين واهميته في الادب الروسي.

13- مارينا تسفيتايفا وبوشكينها

أصدرت الشاعرة الروسية الكبيرة مارينا ايفانوفنا تسفيتايفا (1892 - 1941) كتيبا عنوانه (بوشكين...ي)، اي بوشكينها الذي يخصها، او الذي - كأنما - تعود ملكيته لها، وهو عنوان صعب بالنسبة للترجمة العربية، فاذا كتبناه هكذا - (بوشكيني) حسب قواعد الضمائر المتصلة (مثل كتابي او صديقي...) فانه سيعني بالعربية صفة من الاسم (بوشكين)، اي بوشكيني النزعة او الاتجاه...الخ، واذا كتبناه (بوشكيننا) فانه سيبتعد قليلا عن المعنى الذي قصدته الشاعرة تسفيتايفا نفسها، والتي ارادت ان تقول ان الشاعر الروسي الكبير بوشكين هو خاص بها فقط وليس (بنا نحن)، وعليه يجب على المترجم ان يجد البديل اللغوي الذي يمكن ان يعبر عن ذلك العنوان، وليست هذه بالمهمة السهلة، اذ تقتضي الاستطراد والشرح الاضافي مع ضرورة الحفاظ في نفس الوقت على بساطة وجمالية ورشاقة هذا العنوان المتفرد ودقته، ولهذا استعملت هنا الضمير الثالث (الغائب) في عنوان مقالتي هذه وجعلت من الشاعر الروسي بوشكين - بوشكينها، للتعبير عن عنوان كتيب تسفيتايفا ذاك، واذكر ان زميلي في جامعة بغداد الدكتور جميل نصيف التكريتي طلب مني مرة في بغداد اي كتاب روسي عن بوشكين من مكتبتي الشخصية لغرض ترجمته من الروسية الى العربية ضمن منشورات وزارة الاعلام العراقية لانه حصل على موافقتها لترجمة كتاب تسفيتايفا هذا ولكنه اصطدم بصعوبة ذلك وعدم استطاعته انجاز ترجمته واقعيا، فاعطيته كتاب الباحث الروسي بيتروف عن بوشكين والذي ترجمه فعلا الى العربية ونشرته وزارة الاعلام العراقية في حينها، وقد اطلعت شخصيا على كتيب تسفيتايفا هذا وفهمت ان الدكتور جميل نصيف التكريتي كان محقا بموقفه ذاك فعلا لانه لم يطلع في حينها على كتيب هذه الشاعرة بدقة وبالتفصيل - قبل اقتراحه ترجمة الكتاب -، ولم يقرأ بامعان كل سطوره الذاتية البحتة، والتي كتبتها تسفيتايفا في فترة هجرتها من روسيا، والتي عكست فيها كل حنينها الى طفولتها وايامها الخوالي في وطنها روسيا وهي في هذا البعد والحنين والغربة، وبالتالي فان هذا الكتيب لم يكن مناسبا فعلا لترجمته الى اللغة العربية لانه صعب ومعقد جدا بالنسبة لترجمته الى العربية، ولانه لا يرسم صورة شاملة

ومتكاملة لبوشكين - الشاعر والكاتب الروسي الكبير بالنسبة للقارئ العربي او حتى بالنسبة للقارئ الاجنبي بشكل عام.

ان كتيب تسفيتايفا عن بوشكين - قبل كل شئ - هو صورة قلمية ذاتية جدا لافكارها عن بوشكين وتصوراتها الشخصية البحتة عن هذا الشاعر العملاق ليس الا وقد كتبته للقارئ الروسي بالذات فقط والذي يفقه ويتفهم بعمق اهمية بوشكين وقيمته وروعته وتميُّزه منذ نعومة أظفار هذا القارئ كما يقال، وانه بالتالي لا يمكن ان يمثُّل للقارئ غير الروسي صورة متكاملة لبوشكين ابدا، او ان يرسم لوحة شاملة لكل ابعاد ادبه وشاعريته المتنوعة والعبقرية والتي كانت تستوعب كل جوانب الحياة الروسية آنذاك وتعكس كل تعقيداتها وتناقضاتها ومشاكلها الاجتماعية وتجسُّد كل ابعادها الانسانية في نفس الوقت طبعا.

يقع هذا الكتيب (الذي اصدرته تسفيتايفا عام 1937 خارج روسيا، اذ انها هاجرت منها في عام 1922 وعادت اليها عام 1939) في صفحات قليلة نسبيا ليس الا، وهو ليس عملا ادبيا متكاملا، او بحثا نقديا لنتاجات بوشكين الهائلة والمتنوعة جدا والمتميزة، وانما هو خواطر وذكريات كتبتها تسفيتايفا نثرا - ولكنه نثر بقلم شاعرة كبيرة ومتميزة طبعا -، والذي يمكن اعتباره دراسة ذاتية سايكولوجية لانطباعاتها - كشاعرة - اثناء طفولتها حول ابداع بوشكين، وانه كلمات شاعرة روسية في القرن العشرين عن شاعر روسي عملاق في القرن التاسع عشر، كلمات مصاغة بنثر شاعري نسائي رشيق وانيق وذاتي جدا.

لم يتقبل النقد الادبي الروسي في حينه هذا الكتيب بشكل ايجابي عموما واعتبره وكأنه محاولة (للاستحواذ الشخصي) من قبل تسفيتايفا على شاعرية بوشكين، مما اضطر الشاعرة ان تبدأ بالدفاع عن كتيبها هذا، مؤكدة ان لكل مبدع روسي يوجد رأي ذاتي بشأن بوشكين لانه عظيم ومهم وكبير في مسيرة الادب الروسي، وبالتالي فان هناك حق لكل مبدع روسي ان يعبُّر عن وجهة نظره تجاه بوشكين وأن يعتبره كاتبا خاصا به ويرتبط بشكل او بآخر مع مسيرته الابداعية الذاتية وان يسميه (بوشكينه)، وانها لم تقصد (الاستحواذ!) عليه وجعله ملكا لها كما يدعون، وانما ارادت ان تتحدث عنه من وجهة نظرها ومن الزاوية التي تنظر اليه منها وما الذي يمثُّله وما الذي يعنيه بالنسبة لها.

ومن الطريف ان نشير الى وجهة نظر الشاعرة الروسية الكبيرة آنا أخماتوفا حول ذلك الموضوع، اذ ان أخماتوفا كانت ترى ان تسفيتايفا (...بعيدة عن بوشكين اكثر من ثلاثة فراسخ...)، ولم تكن تعترف ابدا بتناسق تسفتايفا مع شعر بوشكين وتناغمه معه، وعلى الرغم من ان أخماتوفا كتبت كثيرا عن بوشكين، الا انها - حسب ما أشار اليه نقاد الادب الروسي وهم على حق - لم (تتجاسر!) ابدا ان تكتب عنه كما كتبت تسفيتايفا، ولم تعتبره (بوشكينها)، رغم انها كانت تؤكد دائما على كتاباتها حول بوشكين، بل انها أشارت الى ذلك حتى في رسائلها الى ستالين، عندما طلبت منه الافراج عن ابنها من المعتقلات آنذاك (انظر مقالتنا بعنوان - رسالتان من آنّا أخماتوفا الى ستالين - من وثائق الادب الروسي).

ختاما لهذا العرض السريع لكتيب تسفيايفا نقدم للقارئ بعض السطور منه، والتي يمكن ان تعكس طبيعة ذلك النص وذاتيته وحلاوته:-

(يبدأ فصل الرواية الموجودة على طاولة كل جداتنا وامهاتنا - وهي للروائية شارلوت برونتي الكاتبة الانكليزية في القرن التاسع عشر - عن سر الغرفة الحمراء... في الغرفة الحمراء كان هناك دولاب سريٌ... لكن قبل الدولاب السري كان هناك شئ آخر، كانت لوحة في غرفة نوم امي وعنوانها - المبارزة... هناك ثلج وغصينات سوداء لاشجار وشخصان بالاسود يقودان شخصا ثالثا من تحت ابطيه نحو الزلاقات، وشخص آخر بمفرده وهو يذهب وقد بدا ظهره فقط... الذي يحملونه - بوشكين، والذي يذهب - دانتيس. دانتيس دعا بوشكين للمبارزة، انه استدرجه الى حيث الثلج، وهناك، بين الاشجار السوداء الخالية من الاغصان، قتله.

اول شئ عرفته عن بوشكين - بانهم قتلوه، بعدئذ عرفت ان بوشكين - شاعر، وان دانتيس - فرنسي. دانتيس كان يكره بوشكين لانه لا يستطيع ان يكتب قصائد... واستدرجه الى حيث الثلج، وهناك قتله باطلاقة مسدس أصابت بطنه... وهكذا علمت وانا في السنة الثالثة من عمري وبصورة اكيدة بانه توجد لدى الشاعر بطن... وعندما استعرض كل الشعراء الذين التقيت بهم طوال حياتي - أتذكر بطونهم... التي غالبا ما كانت شبه جائعة...).

14- قصيدة بوشكين - (احببتك) بسبع ترجمات عربية

كتب بوشكين قصيدته القصيرة هذه عام 1829 وهي بدون عنوان، لهذا اخذوا يسمونها باول كلمة جاءت فيها وهي - (احببتك)، وتعد هذه القصيدة واحدة من اشهر قصائده بين القراء الروس والاجانب ايضا، اذ انها تدخل ضمن مناهج تدريس اللغة الروسية للاجانب لانها تجسّد - وبشكل مدهش - التركيب والبناء اللغوي النموذجي للجمل الروسية ودقتها وجماليتها ووضوحها، اضافة الى موضوعتها الجميلة وغير الاعتيادية، اذ ان بوشكين يتمنى لحبيبته في نهاية القصيدة ان يحبها شخص آخر، وهذه مسألة مثيرة لكل القراء، بغض النظر عن جنسيتهم وقوميتهم طبعا، وأذكر اني أجريت مرة استبيانا بين طلبتي في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد حول قصائد بوشكين التي درسناها ضمن منهجنا لمادة الشعر الروسي، وقد جاءت هذه القصيدة في المرتبة الاولى بين كل القصائد الاخرى للشاعر، رغم ان معظم الطلبة تقريبا أشاروا الى ان نهايتها غريبة ولا تنسجم مع الواقع بشكل عام، والواقع العراقي والشرقي بشكل خاص.

توجد الكثير من الترجمات العربية لهذه القصيدة، وقد استطعت الاطلاع على سبع ترجمات منها فقط، ولم استطع - مع الاسف - ان اجد نصوص الترجمات الاخرى، والتي أعرف انها موجودة فعلا، واظن ان عرض هذه الترجمات للقارئ - مسألة مثيرة وطريفة، اذ انها ترسم صورة لفوضى الترجمة في عالمنا العربي اولا، ولا تخلو من متعة القراءة ثانيا، حيث يحاول كل مترجم ان يعبُّر عن فهمه لنص قصيدة بوشكين حسب امكانياته الابداعية، ولنتوقف عند البيتين الاول والثاني، وقبل ان نبدأ بعرض الترجمات المختلفة والمتنوعة، نعطي الترجمة الحرفية للبيتين - (انا احببتك، والحب يمكن ان يكون / في روحي لم ينطفئ كليا)، واكرر ان هذه الترجمة حرفية ليس الا، وبالتالي فهي ليست لا من قريب ولا من بعيد الترجمة الشعرية النموذجية المطلوبة للتعبير عن جمالية الصياغة الرائعة الجمال كما جاءت في نص بوشكين. والآن لنقرأ ترجمة هذين البيتين كما جاءت عند المترجمين - (احببتك، ومازلت احبك، / فاللهب لم ينطفئ في قلبي،) - ترجمة نزار سرطاوي من موقع صدانا، الصالون الثقافي، (اجل لقد

احببتك، ولا يزال الحب ممكنا بعد / فلم تنطفئ شعلته تماما في روحي) - ترجمة أماني مغاوري من موقع منتديات وانا الحضارية، (أنا احببتك / وربما سأبقى / احبك او / لبرهة هذا / الشعور سيبقى / هكذا ولكن) - ترجمة سالم الياس مدالو من موقع الحوار المتمدن، (احببتك، وهذا الحب، اذ يرفض الموت، / قد يبقى - من يدري - مستكنا في صدري) - ترجمة رفعت سلام من كتاب الغجر واعمال اخرى / الكسندر بوشكين القاهرة 2010، (احببتك... وربما ما زال الحب / يتراقص في روحي كجذوة لم تنطفئ) - ترجمة نهاد عبود من موقع الادب الروسي، (احببتك ذات مرة... وربما لا يزال هذا الحب باقيا / لن يفنى ولن يموت الا عندما تفارقني الروح) - ترجمة حسام الدين مصطفى من موقع حسام الدين مصطفى صلوات كيوبيد - قصائد مختارة، (احببتك انت... ولا ازال احبك / فنار هواك تؤجج في داخلي... لم تنطفئ بعد) - ترجمة عثمان محمد ابو بكر من موقع الادب العربي. والان، وبعد عرض هذين البيتين بترجمة سبعة مترجمين يحق لنا ان نطرح الاسئلة الاتية:-

1- هل استطاع المترجمون ان يعبروا عن المعنى العام في قصيدة بوشكين المذكورة؟ والجواب - نعم.
2- هل استطاع المترجمون ان يحافظوا على شاعرية القصيدة وروحية بوشكين؟ والجواب - نجح بعضهم وفشل البعض الآخر.
3- هل يحق للمترجم الذي لم يستطع ان يعكس روحية بوشكين الشاعرية في بداية ترجمته ان نستمر بعرض ترجمته؟ والجواب - كلا بالطبع.

وبناء على جواب السؤال الثالث نقدم للقارئ ثلاث ترجمات كاملة فقط لهذه القصيدة:-

احببتك / بوشكين // نزار سرطاوي

احببتك، وما زلت احبك،

فاللهب لم ينطفئ في قلبي،

لكن لا تدعي حبي لك يزعجك بعد اليوم،

فلا اريد ان اسبب لك المزيد من الحزن.

لقد احببتك بصمت، بلا أمل،

بكل خجل، ومع ذلك مزقتني الغيرة،

احببتك بكل صدق، بكل حنان،

وادعو الله ان يهئ لك شخصا آخر ليحبك هكذا.

***

احببتك / بوشكين // أماني مغاوري

أجل لقد أحببتك،

ولا يزال الحب ممكنا بعد،

فلم تنطفئ شعلته تماما في روحي،

غير اني لن اقلقك بحبي ثانية،

ما أنا راغب ان أحزنك.

اجل احببتك صامتا يائسا،

أحببتك في خجل منك،

أو في غيرة مضنية،

وبرقة وصدق عظيمين،

وبمثل هذه القوة أدعو الله

أن يحبك آخر سواي.

***

أحببتك / بوشكين // نهاد عبود

أحببتك... وربما ما زال الحب،

يتراقص في روحي كجذوة لم تنطفئ،

ولكن لا تدعي ذلك يحزنك،

لا اريد ان تتكدري من أجلي بعد الآن.

لقد أحببتك بصمت... بلا أمل،

واكتويت من ناريٌ الخجل والغيرة،

لقد كنت أحبك بصدق... بصمت،

كم أصلٌي لله كي يمنحك من يحبك مثلي.

هل نصوٌت كي نختار أفضل ترجمة بين تلك الترجمات؟؟؟ والجواب - كلا بالطبع، فكل الاجتهادات الموضوعية ضرورية لنا في عملية الترجمة الابداعية، كما هي ضرورية في مسيرة الحياة الانسانية بشكل عام.

15- حياة شرارة والادب الروسي في العراق... لقطات

الى زينب سميسم ابنة حياة شرارة، التي لا اعرف اين هي الآن وهل ستقرأ هذه السطور.

ض.ن.

تعرفت اليها عام 1961 في كلية الاداب بجامعة موسكو، وافترقنا نهاية الستينيات قليلا ثم التقينا مرة اخرى في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد، وبقينا سوية الى عام رحيلها التراجيدي (1997)، ولا يمكن اختزال كل هذه السنوات الطوال بعدة اسطر، لهذا فاني اكتب الآن لقطات - ليس الا - من ذكريات اختزنها القلب، واتمنى ان تسنح لي الفرصة لاحقا لكتابة كل ما اعرفه عن هذه المرأة المتميزة والمتفردة.

اللقطة الاولى

القيت محاضرة عام 1988 في كلية اللغات حول الشعر الروسي بترجمة أ. د. حياة شرارة ضمن موسم (المنبر الثقافي)، الذي اقترحته واشرفت على مسيرته عندما كنت معاونا لعميد كلية اللغات آنذاك. حضر الكثير من زملائي الاساتذة وبعض المهتمين بالموضوع ومجموعة من الطلبة طبعا، وكان على رأس الحاضرين المرحوم أ. د. حسين محفوظ، الذي كان من أبرز اساتذة قسم اللغة الفارسية في كلية اللغات.تحدثت في تلك المحاضرة عن كتاب المرحومة حياة الموسوم - (من ديوان الشعر الروسي) الذي صدر في بيروت، والذي ضم اكثر من 200 قصيدة مختارة من الشعر الروسي منذ القرن الثاني عشر الى القرن العشرين مع مقدمة تحليلية معمقة عن الشعر الروسي ومراحله المختلفة، اضافة الى معلومات وجيزة عن كل شاعر من الشعراء الذين ترجمت مختارات من قصائده، والقيت مجموعة من افضل القصائد في ذلك الكتاب المهم جدا في تاريخ ترجمة الشعر الروسي في العراق والعالم العربي عموما (وهو الكتاب الذي اشادت به مجلة الادب الاجنبي السوفيتية عندما صدر في حينه)، واذكر باني قلت قبل القاء احدى القصائد الوجدانية - مازحا - انها قصيدة لشاعر روسي بترجمة أ.د. حياة شرارة وليست قصيدة من الشعر الوجداني العربي

المعاصر. بعد انتهاء المحاضرة والمناقشات حولها اقترب المرحوم أ.د. حسين محفوظ وقدم لي التهنئة على هذه المحاضرة حول (ابنتنا حياة شرارة) كما قال. تعجبت انا من ذلك التعبير الغريب وقلت له ان حياة شرارة هي ابنة قسم اللغة الروسية في كلية اللغات بجامعة بغداد، وانها رائدة كبيرة في مجال دراسات الادب الروسي في العراق، وانني رغبت التذكير باسمها بعد رحيلها، لأن هناك من يحاول نسيانها. ابتسم حسين محفوظ مؤيدا ولم يعلق.

اللقطة الثانية

احتفلنا عام 1999 لمناسبة مرور قرنين على ميلاد الشاعر الروسي الكبير بوشكين في كلية اللغات بجامعة بغداد، وكنت انا عريف الحفل، وادخلت اسم المرحومة حياة شرارة ضمن منهاج الحفل دون استشارة احد ودون الاعلان مسبقا حول ذلك، لان اسمها اصبح في تلك الفترة شبه ممنوع بعد الضجة الكبيرة حول انتحارها في الصحف ووسائل الاعلام المختلفة خارج العراق آنذاك، واخترت مجموعة من قصائد بوشكين بترجمتها وطلبت من احد الطلبة الروس الذين كانوا عندنا من معهد شعوب اسيا وافريقيا بجامعة موسكو ان يلقيها وقمت بتدريبه على الالقاء. حضر الحفل جمهور كبير ومهم، وكان من بينهم وزير التعليم العالي والبحث العلمي عبد الجبار توفيق، البعثي الكبير بملابسه العسكرية الخاصة بكبار البعثيين محاطا بحرسه والسفير الروسي ببغداد مع مجموعة كبيرة من موظفي السفارة والجالية الروسية ورئيس جامعة بغداد أ.د. عبد الاله الخشاب ومجموعة من عمداء الكليات والاساتذة والصحفيين والطلبة، وقدمت الطالب الروسي المذكور واعلنت انه سيلقي مجموعة من قصائد بوشكين بترجمة المرحومة الاستاذة الدكتورة حياة شرارة من قسم اللغة الروسية في كلية اللغات بجامعة بغداد. ألقى الطالب الروسي تلك القصائد بشكل رائع وبلغة عربية سليمة ذات نكهة روسية جميلة، وقد صفق له الجميع، واعتبرت انا هذا التصفيق لحياة شرارة - مترجمة تلك القصائد، وتكريما وتحية لها. بعد الحفل، تحدث بعض اصدقائي ومعارفي معي حول ذلك، وقالوا لي انهم انتبهوا الى ما كنت اقصده، فقلت لهم باني كنت سعيدا بذلك لاني اردت ان اقول ان حياة شرارة -

رغم رحيلها التراجيدي - لا زالت معنا في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد.

اللقطة الثالثة

قالت لي حياة مرة انها انجزت ترجمة مسرحيات بوشكين الى العربية وتخشى تقديم تلك الترجمة للنشر الى وزارة الاعلام والثقافة لان الوزارة يجب ان تقدم كل ترجمة الى مراجع، وغالبا ما يكون المراجع هذا محدودا او غير ملُم بالموضوع ويبدأ بالعرقلة واللف والدوران و... و... و...، وسألتني هل اوافق ان اكون انا هذا المراجع؟ قلت لها نعم وبكل سرور، وانني مستعد للموافقة على هذه الترجمة حتى دون التدقيق فيها لانها ترتبط باسم حياة شرارة اولا، وثانيا لاني اعتقد ان الترجمة اجتهاد شخصي للمترجم وانه هو المسؤو ل عنها وعن كل ما فيها بما في ذلك الاخطاء، وذكرت لها ان جبرا ابراهيم جبرا كان يشترط عدم مراجعة ترجماته، وقلت لها ان حياة شرارة يجب ان تشترط ذلك ايضا. وهكذا صدر كتاب (مسرحيات بوشكين) بترجمتها وبمقدمتي.

اللقطة الرابعة

جئت مرة الى القسم ورأيت حياة قد خرجت لتوها من غرفة رئيس القسم وهي متوترة جدا جدا. حييتها وسألتها - ما الامر يا ام مها؟ فاجابت بانفعال واضح، انها تحدثت لتوها مع رئيس القسم حول تدريس مواد الادب الروسي من رواية ومسرحية وشعر وتاريخ الادب، فقال لها رئيس القسم باستهزاء ان تلك المواد لا قيمة لها بتاتا في مناهج التدريس في القسم. ابتسمت انا وسألتها - وهل سمع بوشكين ودستويفسكي وتولستوي بذلك؟ ضحكت حياة وقالت - الحمد لله لم يسمع احد، وضحكنا كلانا من اعماق القلب، ولكنه كان - بالطبع - ضحك كالبكا...

16- الشعر أعلى من السياسة

هذا عنوان لمقالة كتبتها ناتاليا ميخايلوفا الحاصلة على شهادة دكتوراه علوم في الفيلولوجيا (اللغة وآدابها) ونشرتها جريدة (ليتيراتورنايا غازيتا) الروسية الاسبوعية بتاريخ 5-11 تموز عام 2017، وشغلت اكثر من ¾ الصفحة باكملها، وتصدرت تلك الصفحة صورة لبوشكين وفوقها اشارة الى سنوات (1837 - 1937) مأخوذة من عدد نفس تلك الجريدة الصادرة عام 1937، وصورة كبيرة اخرى لبوشكين معلقة على جدار احدى الكنائس في موسكو مع الاشارة الى نفس تلك السنين، ومن الواضح تماما، ان المقالة تتناول الذكرى المئوية الاولى لوفاة بوشكين، والتي صادفت عام 1937، وهو العام الذي شهد قمة حملة القمع الستالينية في تاريخ الاتحاد السوفيتي، حيث جرت المحاكمات الصورية والاعتقالات العشوائية واعدامات الكثير من القادة السياسيين والعسكريين ورجال الفكر، وقد حاولت الباحثة ان تربط بين تلك الاحداث والذكرى المئوية لوفاة بوشكين، وهو طرح متميّز ويمتلك نظرة فريدة الى حد ما في تاريخ الادب الروسي، لهذا فاننا نحاول هنا ان نقدم للقارئ العربي خلاصة وافية لهذة المقالة المهمة، والتي جاءت متزامنة بشكل او بآخر مع احتفالات روسيا بالذكرى ال (218) لميلاد بوشكين (انظر مقالتنا بعنوان - ندوة في موسكو عن بوشكين بكل اللغات).

تستهل الباحثة مقالتها بابيات لبوشكين يشير فيها الى ان جيله قد رأى (...دماء الامجاد... ودماء الحرية...)، وتستنتج - (ان ذلك يتطابق مع روحية الاحداث في روسيا منذ الحرب العالمية الاولى وثورة فبراير 17 واكتوبر 17 والحرب الاهلية والمجاعة والنيب (مختصر مصطلح السياسة الاقتصادية الجديدة) و... و... و... وصولا الى سياسة القمع الستالينية في النصف الثاني من الثلاثينات...)، بل ان الباحثة أشارت الى ان بوشكين في مسودات تلك القصيدة استخدم مصطلح (الدماء الحيّة)، ولهذا، فان بوشكين من وجهة نظر الباحثة (اصبح ضروريا لكل الفئات الروسية في تلك السنين لانه كان لسان حال جميع القوى السياسية والاجتماعية رغم كل خلافاتها.). تتوقف الباحثة بعدئذ عند موقف السلطة السوفيتية من بوشكين، وكيف انها

بدأت بالتعامل مع بوشكين رأسا، اذ قررت دار النشر الحكومية عام 1919 ان تطبع مختارات من مؤلفات بوشكين بواقع 750 الف نسخة وبسعر رمزي للنسخة الواحدة، رغم الحرب الاهلية والدمار والمجاعة وازمة الورق...الخ، وازداد طبع تلك النتاجات بمرور الزمن، اذ بدأت تظهر بلغات الشعوب السوفيتية الاخرى، وكذلك ازدادت الكتب التي تتناول نتاجات بوشكين وسيرة حياته، والتي خلقت الاساطير السياسية المتنوعة عنه في ذلك الوقت، فهو (صديق الديسمبريين... وثوري... وعدو القيصرية... وملحد... وهو الذي بشّر بثورة اكتوبرفي ثنايا قصائده... الخ... الخ...). تتوقف الباحثة بعدئذ عند الاسماء الكبيرة التي كتبت عن بوشكين في تلك الفترة وتذكر مایاكوفسكي وأخماتوفا وتسفيتايفا واسماء المتخصصين في ادب بوشكين مثل بوندي وفينوكور وتينيانوف وغيرهم، وتتحدث عن الرسامين الروس الذين ساهموا بلوحاتهم في كتب بوشكين او في ابداع بورتريتات جميلة له، وكذلك تتوقف عند تحويل روايته الشعرية (يفغيني اونيغن) الى اوبرا، ثم الى فلم سينمائي مشهور، وتحويل بعض نتاجاته الى عروض باليه، وتستعرض الباحثة العديد من الافلام السينمائية التي اعتمدت قصص بوشكين، وتشير الى حملة اطلاق اسم بوشكين على الشوارع والساحات والمكتبات العامة والمدارس في مختلف المدن السوفيتية، بل وحتى على الدفاتر المدرسية والطوابع البريدية واغلفة الشوكلاته والبسكويت!!! وتصل الباحثة الى استنتاجها الاساسي في مقالتها تلك وهو - (ان في عصر عبادة شخصية ستالين جرت عملية زرع عبادة شخصية بوشكين)، وهو استنتاج جديد وجرئ جدا في تاريخ الاتحاد السوفيتي وتاريخ الادب الروسي، ولكنه - من وجهة نظرنا - بحاجة الى مناقشات واسعة ومشاركة مختلف الخبراء من اجل بلورته والحكم بصحته، رغم ان هذا الرأي يستحق التأمّل فعلا.

تختتم الباحثة مقالتها بالتوقف عند نشاط اللاجئيين الروس في الخارج لمناسبة مئوية وفاة بوشكين عام 1937، وتشير الى هؤلاء أقاموا احتفالات في (42) دولة شملت (231) مدينة في العالم، وتتوقف عند لجنة الاحتفالات في باريس، وهي مركز تجمّع اللاجئين الروس كما هو

معروف، وتذكر أعضاء تلك اللجنة، ومن بينهم - بونين وكوبرين وميرشكوفسكي والموسيقار الروسي راخمانينوف وغيرهم، وتؤكد الباحثة، ان الشعب الروسي باكمله وبغض النظر عن اختلافاته ينظر الى بوشكين باحترام كبير، وان بوشكين بالذات هو الذي يوحدهم جميعا، وتقول في نهاية مقالتها - (يجب علينا ان نستنبط الدرس)، وتعيد مرة اخرى عنوان مقالتها وهو - الشعر أعلى من السياسة.

مقالة الدكتورة ناتاليا ميخايلوفا تستحق التصفيق فعلا، رغم ان استنتاجها الاساسي قد يثير مختلف الآراء حوله، وقد لا يتفق معه جميع القرّاء.

17- هل بوشكين أعلى من ستالين؟

ناقشني أحد أصدقائي حول مقالتي بعنوان: (الشعر أعلى من السياسة)، والتي نشرتها قبل مدة. لقد استعرضت في تلك المقالة بحثا متكاملا ومعمقا للباحثة الروسية أ.د. ميخايلوفا، والذي كان بعنوان: (الشعر أعلى من السياسة)، حيث تناول احتفال الاتحاد السوفيتي بالذكرى المئوية الاولى لوفاة بوشكين عام 1937، وكيف ان الباحثة وصلت الى استنتاجها ذاك، وهو ان الشعر أعلى من السياسة، اذ انها حاولت ان تثبت في بحثها، ان الشعوب السوفيتية آنذاك قاومت ظاهرة (عبادة ستالين) بشكل غير مباشر، وذلك عن طريق تأسيس ما يمكن ان نسميه - (عبادة بوشكين) كبديل عنها، وان المحصلة النهائية في عملية المقاومة غير المباشرة هذه كانت لصالح بوشكين، وعليه، فان الشعر أعلى من السياسة، ويمكن للقارئ الرجوع الى مقالتي تلك بشأن تفصيلات هذا الموضوع.

الملاحظة الاولى في ذلك النقاش، هو ان صديقي كان يتحدث معي وكأنني أنا الذي كتبت هذه المقالة، وان كل ما جاء فيها هي أفكاري وآرائي، وبالتالي، أتحمل مسؤوليتها بأكملها، وعبثا حاولت أن أبيّن له، اني عرضت الافكار التي جاءت بها الباحثة الروسية ليس الا، وان مقالتي ما هي الا قراءة في بحثها، واني قدمته للقارئ العربي، لانه يعكس نظرة جديدة ومبتكرة جدا في مسيرة الفكر الروسي الحديث، والتي لا يعرفها القارئ العربي بتاتا، وذلك من اجل اغناء معلوماته عن الفكر الروسي وما يجري في كواليسه، وان الباحثة الروسية هي التي تتحمل مسؤولية كل الافكار التي وردت فيها، الا ان صديقي لم يقتنع بذلك بتاتا، بل اني حتى ذكّرته بالقول المشهور في تراثنا وهو - (ناقل الكفر ليس بكافر)، ولكنه رفض ذلك رفضا نهائيا. الملاحظة الثانية في ذلك النقاش، وهي الاهم، والتي جعلتها عنوانا لهذه المقالة، تكمن في ان صديقي طرح عليّ سؤالا محددا استخلصه من مقالتي تلك، وهو - (هل هذا الطرح يعني، ان بوشكين أعلى من ستالين؟)، وكان يريد منيّ جوابا فوريا محددا ودقيقا لهذا السؤال. لقد حاولت ان اثبت لصديقي، ان النقاشات حول العلوم الانسانية اوسع من النقاشات حول العلوم البحتة مثل الرياضيات واخواتها، ولا يمكن اختزالها بكلمتي - نعم او لا، وان هناك اجابة ثالثة بينهما هي - (نعم ولكن)، او، (لا ولكن)، وان الاستطراد يأتي بعد هذه ال

(لكن) بالذات، وان الافكار الجديدة تظهر وتنبثق اثناء تلك الاستطرادات، ومن اجل كسب الوقت واضفاء الهدوء على نقاشنا هذا، حكيت اولا لصديقي، كيف ان القناة المركزية في التلفزيون الروسي أجرت قبل عدة سنوات ندوة حوارية في حلقات كثيرة من اجل تحديد شخصية في التاريخ الروسي تصلح ان تكون تجسّيدا ورمزا لكلمة - (روسيا)، وقد اشترك في تلك الندوة شخصيات كبيرة منها الباتريارخ كيريل (رأس الكنيسة الارثذوكسية في روسيا الان) والذي كان آنذاك مسؤول العلاقات الخارجية الكنسية، ورئيس الحزب الشيوعي الروسي زيوغانوف (الذي اقترح عندها اسم لينين)، ورئيس حزب (روسيا العادلة) ميرونوف، وفنانون وشعراء وصحافيون كبار، وكانت الندوة تعتمد على تصويت المشاهدين، والتي بلغت اعدادهم حوالي نصف مليون مشاهد، وبعد نقاشات حامية الوطيس جدا، اختارت الندوة أربعة أسماء من التاريخ الروسي هم (حسب تسلسل عدد الاصوات) كل من - نيفسكي وستاليبين وستالين وبوشكين، وكانت الا صوات متقاربة جدا بينهم، لدرجة انهم اعلنوا هذه الاسماء سوية، وكل هذه الاسماء لسياسيين عدا بوشكين، فنيفسكي هو بطل روسي في القرن الثالث عشر خاض حربا مع السويد وساهم في توطيد الدولة الروسية آنذاك، ويمكن القول ان دوره في التاريخ الروسي أصبح منسيا الان، أما ستاليبين فهو ابن القرن العشرين، ويعد من أبرز الشخصيات السياسية في الامبراطورية الروسية، وترتبط باسمه خطط عملاقة في مسيرة روسيا، وقد تم اغتياله عام 1911، واقيم له قبل عدة سنوات تمثالا في موسكو، افتتحه الرئيس الروسي بوتين، وجاء ستالين ثالثا، وهو الذي حكم الاتحاد السوفيتي من 1923 والى وفاته عام 1953 كما هو معروف، وجاء بوشكين رابعا، وهو ليس سياسيا طبعا، وقد أشار الكثير من المعلقين حينها، ان بوشكين هو الذي فاز في هذه الندوة واقعيا، اذ انه الشخص الوحيد الذي مارس الادب طوال حياته، ومع ذلك فقد اختاره الروس في هذه الندوة باعتباره يمكن ان يجسّد اسم روسيا.

بعد ان حكيت لصديقي هذه القصة، اصبحت اجواء المناقشة هادئة تماما، فقلت له - الان أنا الذي سوف أطرح عليك سؤالي، ولكني لن أطلب منك الاجابة الفورية عليه، فابتسم صديقي وقال - وماهو هذا السؤال؟ فقلت له، انني اريد ان انتقل الى الساحة العراقية، واود ان اسألك - هل ان معروف الرصافي أعلى من نوري السعيد؟ وجم صديقي، ثم قال - دعني افكر...

18- تماثيل بوشكين في موسكو

سألت بعض الاصدقاء الروس مرة عن عدد تماثيل الادباء الروس في موسكو، فقالوا لي ضاحكين، انها كثيرة جدا جدا، ولكنهم لا يعرفون احصائية دقيقة حول عددها. واقترحت مرة على طالبتين عراقيتين من طالباتي السابقات (واللتان كانتا تدرسان لاحقا في موسكو)، ان يقوما بجولات في العاصمة الروسية والتقاط صور شخصية عند تماثيل الادباء الروس، ومن ثم جمع تلك الصور والمعلومات حول تلك التماثيل والتعليق عليها ونشرها في كتاب خاص للقارئ العربي، وقلت لهما اني مستعد لكتابة مقدمة له، اذ ان هذا الكتاب سيكون مبتكرا وطريفا ومفيدا في عالمنا العربي باكمله، لانه سيتحدث - وبعيون عراقية بحتة - عن تاريخ ذلك التمثال وقيمته الفنية واهمية ذلك الكاتب في مسيرة الادب الروسي، وبقية المعلومات الاخرى حوله...الخ، وكل ذلك مفيد وجميل ومهم وشائق، وعلى الرغم من اقتناعهما بالفكرة في حينها الا انهما لم ينفذانها مع الاسف لصعوبة تحقيقها واقعيا، لانها تتطلب حركة واسعة وطويلة وعملا كبيرا وجهدا غير اعتيادي...

لا زالت هذه الفكرة الكبيرة والمهمة والجميلة (تدغدغ!) خيالي، ولازلت أبحث عن (متطوعين!) لتنفيذها، وبما انني لم أجد لحد الآن هؤلاء المتطوعين، فقد قررت ان احققها بنفسي، ولكن ب (الاقساط المريحة!) وباسلوب هاديء يعتمد طريقة التنفيذ (عن بعد!)، وهكذا قررت ان أبدأ ببوشكين - (بداية كل البدايات!) حسب تعبير مكسيم غوركي.

التمثال الرئيسي لبوشكين في موسكو هو طبعا ذاك الذي يقف - ولحد الان - بشاعرية وجمالية ورشاقة في شارع تفارسكايا التاريخي (شارع غوركي في الاتحاد السوفيتي ولكن روسيا الاتحادية اعادت اسمه السابق الان) وامام سينما (راسُيا) (روسيا). قصة هذا التمثال اصبحت جزءا من تاريخ الادب الروسي برمُته، اذ انها ترتبط بدستويفسكي وتورغينيف واكساكوف وجوكوفسكي وغيرهم من ادباء روسيا ومفكريها. ابتدأ الحديث عن تمثال بوشكين هذا عام 1860، عندما اقترح أحد خريجي المدرسة

التي تخرج بوشكين فيها ان يجمعوا نقودا لاقامة هذا التمثال، وقد استمرت هذه الحملة حوالي (20) سنة باكملها بعد تعثرات وثغرات هنا وهناك، وهكذا تم تدشين هذا التمثال الرائع عام 1880، وقد استمرت الاحتفالات هذه ثلاثة ايام باكملها، وقدم كل من تورغينيف ودستويفسكي وادباء آخرون كلمات (بل ودراسات معمقة) حول اهمية بوشكين ومكانته في مسيرة الادب الروسي بهذه المناسبة، وكلمة دستويفسكي تعد آخر عمل فكري عملاق قام به دستويفسكي، ويعتبرها النقاد وصيته للاجيال اللاحقة، اذ انها كانت فعلا خلاصة افكار دستويفسكي بشأن مكانة الادب الروسي ومستقبله وفلسفته وموقع بوشكين واهميته في مسيرة هذا الادب (انظر مقالتنا بعنوان - خطاب دستويفسكي حول بوشكين)، ومن الطريف ان نذكر هنا، ان الشاعرة الروسية الكبيرة آنّا أخماتوفا (والتي تعد واحدة من عشاق بوشكين واهميته الكبيرة والاستثنائية في الشعر الروسي) قالت مرة حول هذا التمثال، ان بوشكين لم يقف هكذا طوال حياته.

التمثال الآخر لبوشكين في موسكو يقف في شارع أربات القديم (الذي منعوا سير المركبات فيه منذ فترة طويلة وخصصوه للمشاة فقط، ويعد من أجمل شوارع موسكو، ونسميه نحن العراقيين همسا فيما بيننا ب - شارع المتنبي) وتقف مع بوشكين زوجته الحسناء نتاليا غانتشيروفا، وهو تمثال في غاية الطرافة، اذ ان منصة التمثال واطئة، اي ان بوشكين وزوجته يقفان تقريبا في الشارع ليس الا، وغالبا ما نرى الناس حولهما وهم يلتقطون الصور التذكارية معهما. تم تدشين هذا التمثال عام 1999 في الذكرى 155 لميلاد الشاعر، ويقع مقابل الشقة التي عاش بها بوشكين في موسكو عندما تزوج من نتاليا غانتشيروفا وقضيا هناك في تلك الشقة (شهر العسل!)، ويجسد التمثال لحظة مجئ العريس والعروس الى البيت بعد عقد القرآن في كنيسة ليست بعيدة عن ذلك المكان، وقد تحولت هذه الشقة التي عاش فيها بوشكين وزوجته (حوالي ثلاثة أشهر في موسكو) الى متحف خاص طبعا ببوشكين في الوقت الحاضر.

التمثال الثالث لبوشكين مع زوجته يقع قرب تلك الكنيسة التي عقدا فيها زواجهما، اذ توجد امام الكنيسة قبة مذهبة عالية نسبيا، وهناك قررت تلك الكنيسة وضع تمثال لبوشكين وقربه تمثال زوجته، في اشارة الى انهما عقدا الزواج هنا بالذات، اذ تفخر هذه الكنيسة بالحدث التاريخي هذا، وغالبا ما تزور المجاميع السياحية هذه الكنيسة لهذا السبب. تمثال بوشكين هذا يبدو صغيرا لانه يقف عاليا وتحت تلك القبة، واذكر اني عندما كنت اقف امامه متأملا، قالت لي امرأة روسية مسنة كانت تقف جنبي وتتأمل التمثال ايضا، ان بوشكين هنا صغير الحجم وشتان بينه هنا وبين التمثال في شارع تفارسكايا، فقلت لها ضاحكا هنا جاء يتزوج ليس الا، وهناك يقف بشموخ الشاعر العظيم امام روسيا كلها، وقد وافقتني في الرأي بشكل عام ولكنها كررت - ان حجمه - مع ذلك - اصغر مما يجب ان يكون.

التمثال الآخر (الرابع)، والذي غالبا ما كنت اشاهده عند زياراتي لموسكو يقف في مدخل معهد بوشكين للغة الروسية، ويقف على الارض مباشرة دون منصة تقريبا، وكم رأيت الطلبة الاجانب يلتقطون الصور له وهم يقفون حوله، بما فيهم طلبة من العراق والعالم العربي. لقد تم ارسال صورة هذا التمثال الى اكثر من عشرات البلدان، اي بعدد طلبة تلك البلدان التي يدرس طلبتها اللغة الروسية في معهد بوشكين المعروف عالميا باعتباره المركز العلمي الاول في العالم لدراسة لغة بوشكين (يدرس في المعهد المذكور طلبة من اكثر من مئة بلدا وهو المركز المسؤول عن اللغة الروسية في روسيا ورابطة الدول المستقلة ويصدر مجلتين عالميتين الاولى - اللغة الروسية في الخارج والثانية - اخبار المنظمة العالمية لمدرسي اللغة الروسية وآدابها، وهو المعهد الذي زاره الرئيس الروسي آنذاك مدفيديف واعلن فيه ان يوم 6 حزيران / يونيو من كل سنة هو يوم اللغة الروسية في روسيا والعالم، علما انه يوم ميلاد بوشكين نفسه، ويا لهذا التوحيد بين بوشكين واللغة الروسية من رمز مهيب وعظيم). لقد تم افتتاح معهد بوشكين عام 1974 ولم يكن هناك تمثال لبوشكين في مدخله آنذاك، ولكن هذا التمثال ظهر لاحقا وكان يجب ان يكون في مؤسسة علمية تحمل اسم بوشكين وتدرس لغته، ولكن تمثال نصفي آخر(الخامس) ظهر في ما بعد

لبوشكين امام المعهد وسط حديقة غنّاء، واصبح الان من التقاليد الجميلة ان يلتقط الخريجون صور التخرج وهم يجلسون حوله وامامه ويحيطون باساتذتهم.

لا يمكن الاسترسال بالحديث عن تماثيل بوشكين الاخرى في موسكو، اذ ان عددها 12 تمثالا، وهي تتوزع في شوارع موسكو وساحاتها، وكل منها يمتلك قصة وتاريخا يستحق ان نتوقف عنده، الا ان المجال هنا لا يسمح بالاستطراد، لهذا اختتم هذه السطور بالاشارة الى التمثال الذي يقف في شارع باومنسكايا، في مكان البيت الذي ولد فيه بوشكين بموسكو.

تحية لبوشكين وللامة التي تعرف كيف تمجّد رجالاتها.

19- تماثيل بوشكين في العالم

توجد تماثيل لبوشكين في الكثير من بلدان العالم خارج روسيا، ويقدرون عددها تقريبا بحوالي (200 تمثال)، وهذا رقم غير اعتيادي بتاتا بالنسبة لاديب روسي عاش ومات في روسيا طوال حياته ولم يسافر منها الى خارج بلده ابدا (وهذه ملاحظة مهمة جدا في هذا المجال، وتعني ما تعنيه بهذا الخصوص، اذ انها تشير وتؤكد - قبل كل شئ - ان هذا الشاعر قد اصبح واحدا من رموز روسيا)، ونتوقف في مقالتنا هنا قليلا عند هذه الظاهرة الغريبة جدا، والطريفة والمتميزة فعلا في آن واحد.

نود ان نشير - اولا- الى تلك البلدان الاجنبية التي يوجد فيها تمثال واحد لبوشكين (او أكثر من تمثال واحد له بعض الاحيان)، وحسب ترتيب حروف الهجاء العربية لتلك البلدان طبعا، وهي (48) بلدا وكما يأتي:-

ابخازيا // اذربيجان // ارمينيا // اريتريا // اسبانيا // استونيا // المانيا // اندنوسيا // اوزبكستان // اوكرانيا // ايطاليا // بلجيكا // بلغاريا // البوسنه والهرسك // بنما // بولندا // بيلاروس // تركيا // تركمانيا // تشيكيا // تشيلي // الجبل الاسود // جورجيا // الحبشة // رومانيا // سلوفاكيا // الصين // العراق // فرنسا // فنلندا // قبرص // قرغيزيا // كازخستان // كندا // كوبا // كوريا الجنوبية // المانيا // المغرب // مصر // المكسيك // منغوليا // مولدافيا // النرويج //النمسا // الهند // هنغاريا // الولايات المتحدة الامريكية // اليونان //.

توجد ثلاثة بلدان عربية - كما هو واضح اعلاه - وهي العراق والمغرب ومصر بين تلك البلدان. نتوقف قليلا عند بلداننا العربية قبل كل شئ.

تم تدشين التمثال النصفي لبوشكين في حدائق كلية اللغات بجامعة بغداد في عام 2011 باحتفال مهيب شاركت فيه وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وجامعة بغداد واتحاد الادباء والكتُّاب العراقيين وسفارة روسيا الاتحادية في بغداد. والتمثال هذا هو هدية من الرئيس الروسي مدفيديف جوابا على هدية الرئيس العراقي جلال طالباني لتمثال نصفي للشاعر العراقي الكبير الجواهري عام 2009 في جامعة فارونش الروسية، وقد خططنا (شخصيا) لاقامة هذين

التمثاليين عندئذ في مركز الدراسات العراقية - الروسية في تلك الجامعة (عندما كنت رئيسا له) بالتنسيق مع الجمعية العراقية لخريجي الجامعات الروسية، والتي كنت نائب الرئيس فيها (انظر تفصيلات ذلك العمل الرائد في مقالتنا بعنوان - قصة تمثال بوشكين في جامعة بغداد)، وكان من المفروض ان يتم تدشين تمثال بوشكين في جامعة بغداد عام 2010، ولكن الروتين عرقل ذلك مع الاسف، لهذا فانه يعد التمثال الثاني لبوشكين في عالمنا العربي، اما التمثال الاول فقد تم تدشينه بمصر في عام 2011 ايضا، ولكن قبل ثلاثة اشهر فقط من افتتاح التمثال في بغداد، ولم يكن هناك اي تنسيق بين الحدثين، والصدفة لعبت دورا في كل ذلك ليس الا. تم افتتاح تمثال بوشكين بمصر في مكتبة الاسكندرية الشهيرة، وذلك ضمن ايام الثقافة الروسية هناك، والتمثال كان هدية من فنان روسي ومؤسس ورئيس الاكاديمية الطبية الدولية، ويعد هذا التمثال تحفة فنية بكل معنى الكلمة ويجسُد بوشكين كاملا وواقفا وملتفتا الى جانبه الايمن، وقد تم افتتاحه في اجواء مهيبة ورائعة، وشارك بعض الطلبة المصريين بالقاء قصائد لبوشكين في اطار فني جميل ومتميِّز. التمثال الثالث لبوشكين في العالم العربي تم تدشينه في المغرب في احدى مدارس مدينة اكابر المغربية عام 2015، وقدم عضو مجلس الدوما الروسي ليخاتشوف هذه الهدية (محبة وتقديرا للمغاربة... كي يفتح آفاقا اخرى من الدبلوماسية الشعبية بين المغرب وروسيا) كما جاء في وسائل الاعلام المغربية آنذاك.

لا مجال طبعا للاسترسال هنا في الحديث عن تماثيل بوشكين في بقية بلدان العالم وقصصها بمثل هذه التفصيلات، التي تحدثنا عنها في بلداننا العربية، ولكننا نود ان نتوقف قليلا عند بعض الملاحظات البارزة في هذا الموضوع.

1-تم تدشين اول تمثال لبوشكين خارج روسيا عام 1837 (بعد وفاته مباشرة) في روما، وقد شارك الروس في روما حفل التدشين ومنهم مجموعة من الادباء والفنانين كما تشير المصادر، وان هذا التمثال قد تم نصبه بمبادرة من المثقفين الروس في روما آنذاك اعتزازا وتقديرا لبوشكين وللتعبير عن حبهم لشاعرهم الكبير، الا انه لم يبق الان اي أثر من هذا التمثال مع الاسف.

2- شارك الرئيس الروسي فلاديمر بوتين في حفل تدشين احد تماثيل بوشكين في ايطاليا (في الذكرى السنوية 201 لميلاد بوشكين)، وكانت رحلة بوتين تلك الاولى الى الخارج بعد تسنمه منصبه رئيسا لروسيا الاتحادية في ذلك الوقت، ويشير بعض المعلقين السياسيين الى هذه الحادثة ويرون فيها محاولة من قبل الرئيس الروسي الجديد آنذاك ربط اسمه باسم بوشكين، لأن بوشكين - رمز روسيا امام الشعب الروسي وامام العالم ايضا. وبغض النظر عن صحة او دقّة رأي المعلقين السياسيين هؤلاء ام لا، الا ان الموضوع - مع ذلك - يبقى مثيرا وطريفا، ومن المؤكد انه سيكون - في نهاية المطاف وفي كل الاحوال - لصالح بوشكين ومكانته الساطعة في تاريخ الادب الروسي والعالمي بلا ادنى شك.

3- يوجد تمثال لبوشكين في الحبشة (اثيوبيا) تم تدشينه عام 2002، وكذلك يوجد تمثال له في اريتريا تم تدشينه عام 2015، باعتبار ان بوشكين هو واحد من احفاد هانيبال، الافريقي (الذي ينحدر من تلك المناطق)، والذي قدموه هدية الى القيصر الروسي بطرس الاعظم في القرن الثامن عشر، والذي اصبح جنرالا بارزا في الجيش الروسي آنذاك، وكما هو معروف في تاريخ روسيا عموما وتاريخ الادب الروسي خصوصا.

4- بقيت تماثيل بوشكين العديدة جدا في الدول التي انفصلت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 دون تغيير، ولم تنظر هذه الدول الى تلك التماثيل بتاتا على انها رمزا لروسيا كما هو الحال بالنسبة لتماثيل كثيرة اخرى (تم نصبها اثناء الفترة السوفيتية)، وبالتالي بدأت بازالتها من اراضيها او اهمالها او حتى التقليل من قيمتها الحضارية، وكذلك الحال بالنسبة للدول الاشتراكية سابقا. لقد فرض بوشكين شخصيته الادبية وقيمته الفكرية على الجميع، واصبح أعلى من تناقضات السياسة والاعيبها وتغيراتها وتقلباتها، رغم انه يعد رمزا لروسيا منذ ذلك الحين والى حد يومنا هذا.

20- قصيدة النبي لبوشكين بثلاث ترجمات

ثلاث ترجمات عربية لقصيدة بوشكين

***

النبي

ترجمة - رفعت سلام

من كتاب - الغجر وأعمال اخرى / الكسندر بوشكين / القاهرة - 2010

ص. 72- 74

ظامئا قلبي الوحيد،
قطعت الاراضي البور القاحلة
حين وجدته أمامي، ساروفيم المجنّح،
صامتا، منتصبا،
وعلى مفترق الطرق انتظرني.
على عيوني الطينية العمياء
وضع أصابعه برفق،
وكعيني نسر عند الرعب،
فتحتا وراقبتا الارض والسماء،
لمس أذني، ثم الاخرى.
وواضحة متميزة تماما،
أتتني الرفرفة الرهيفة لاجنحة الملاك،
فسمعت الكرمة
وهي تغوص في الارض، وترتفع في السماء،
وهولات أعماق البحر
تنزلق في الماء كالاسماك...
اعتصر لساني الآثم البارع من فمي،

وانتزعه بيد دامية،
مال فوقي بلا شفقة
ودسٌ ناب أفعى بين شفتيٌ الهامدتين...
ثمٌ - غارسا سيفه أللامع ببطء -
شقٌ صدري،
واقتلع قلبي المرتعش المعتم الكالح،
وغرس بتثاقل في الفجوة المفتوحة
جمرة سرت مع اللهيب...
رقدت هناك، ميٌتا،
والهي، تكلٌم يا الهي،
وهذا ما قال -
انهض ايها الحكيم، يا من تسمع دعوتي
افعل كما اطلب، يا من يعوقك العدم،
تقدم على الارض، نبيًا، لافحا قلوب الرجال
بكلمة الحق.

***

النبي
ترجمة - د. طارق مردود
العديد من المواقع الالكترونية

مضنى بالظمأ الروحي
تعذٌبت في صحراء موحشة
وفجأة ظهر لي عند مفترق الطرق
الملاك (سيرافيم) السداسي الاجنحة
وبأصابع خفيفة كالحلم
لمس قرٌة عينيٌ

فانفرجت مقلتايٌ النبويتان
كأنهما عينيٌ نسر مذعور
ثم لمس أذنيٌ
وملأهما ضجة ورنينا
فسمعت رعدة السماء
وتحليق الملائكة في الاعالي
وسريان حركة أغوار البحار
ونمو الكرمة النائية
وانحنى الملاك على فمي
وانتزع لساني الآثم
الخامل والمراوغ
ووضع في فمي المشدوه
بيده اليمنى المضرجة
لسان الافعى الحكيم
وشق صدري بسيفه
واقتلع قلبي المرتجف
واقحم في صدري المشقوق
جذوة متأججة النيران
فانطرحت في الصحراء كجثة
وناداني صوت -
انهض، يا نبي، وابصر
ولب ارادتي
وجب البحار والاراضي
والهب بقولك قلوب الناس.

***

النبي

ترجمة - أ.د. ضياء نافع

ظمأ الروح اضناني
وانا في عتمة البيداء وحدي
أجرُّ بالكاد أقدامي،
وفي مفترق الطرق
الملاك سيرافيم - المعلُّى الاثير
ذو الاجنحة الستة
ظهر امامي،
وكالحلم، وبانامله الرقيقة
لمس مقلتيَّ،
فانفتحت المقلتان المتنبئتان،
كما تفعل انثى النسر المرتعبة.
لمس الملاك اذنيَّ
وملأهما بالضجيج والرنين،
واصغيت انا لارتعاش السماء،
وتحليق ملائكة الجنان،
ومسير الاحياء في عمق البحار،
وخمول الكروم في الوديان.
انحنى الملاك على شفتيَّ
واجتث لساني الآثم
والماكر والثرثار،
ووضع بيمناه التي يقطُّر منها الدم
لسان حيَّة حكيمة
في ثغري الاصم،
وشجَّ صدري بسيفه
وانتزع القلب المرتعب

وغمد في جوفه
جمرة تلتهب.
استلقيت كالجثة في البيداء
وصوت الرب ناداني -
"قم، ايها النبي، وابصر
وانصت،
ونفُذ ارادتي،
واجبٌ بالكلمات قلوب البشر
وانت تجوب البُر والبحر"

***

توجد عشرات الترجمات العربية لهذه القصيدة، وكم اتمنى ان أجمعها سوية واقدمها للقارئ العربي، اذ ان ذلك سيكون درسا رائعا في مجال ترجمة الشعر الروسي الى اللغة العربية بشكل خاص، وترجمة الشعر من لغة الى اخرى بشكل عام، ومع ذلك فقد حاولت هنا ان أختار ترجمة عبر لغة وسيطة لهذه القصيدة (ترجمة المصري سلام) واخرى عن اللغة الروسية مباشرة.

ولازال بوشكين يدعو المترجمين ان يدلوا بدلوهم منذ ان كتب هذه القصيدة عام 1826 ولحد الآن، ولا زال باب الاجتهاد مفتوحا على مصراعيه، ولكن رفقا بالقوارير...

21- بوشكين صحفيا

من الوقائع التي لا زلت مندهشا امامها - منذ ان عرفتها ولحد الان - في تاريخ الادب الروسي، هو ان بوشكين في يوم مبارزته مع خصمه الضابط الفرنسي دانتيس ذهب الى عمله الاعتيادي، وكان رئيس تحرير مجلة سوفريمينك (المعاصر)، وهناك مارس عمله اليومي الاعتيادي، اذ قام بتصحيح بعض المقالات كما يجب وكتب بعض الهوامش اللازمة عليها هنا وهناك، ثم ذهب بعد ذلك الى المبارزة، والتي - كما هو معروف - اصيب بها وتوفي على أثرها بعد يومين من المعاناة وكان عمره آنذاك 38 سنة. من الممكن - عند تأمُّل هذه الواقعة الحقيقية - ان نصل الى العديد من الخلاصات والاستنتاجات المرتبطة بها، منها مثلا شجاعة بوشكين وقوة اعصابه ورباطة جأشه والاصرار على حفظ كرامته الشخصية وايمانه القوي والعميق بحقه...الخ، ولكن يمكن ان نضيف الى كل ذلك ايضا حبه واحترامه لعمله الصحفي والتزاماته تجاهه وارتباطه الحيوي والروحي بهذا العمل وطبيعته.

بوشكين - ظاهرة ثقافية وفكرية كبيرة في تاريخ روسيا، فهو قبل كل شئ شاعرها الوطني الاول، وواضع اسس لغتها المعاصرة، ولا يمكن بالطبع ألكتابة باختصار عن مكانته الفكرية واهميته التاريخية لروسيا، وأظن ان كلمات الناقد الروسي ابولون غريغوريف حول بوشكين تختصر ذلك، اذ انه قال عن بوشكين كلمة اصبحت مشهورة جدا في تاريخ الادب الروسي وهي - (بوشكين - هو كل شئ)، وهذا ينطبق ايضا - وبلا شك - على تاريخ الصحافة الادبية الروسية طبعا. لقد بدأ بوشكين بنشر نتاجاته في تلك الصحف والمجلات التي كانت موجودة في روسيا بداية القرن التاسع عشر، وهناك احصائية طريفة في تاريخ هذه الصحافة تشير الى ان بوشكين نشر 50 نتاجا من نتاجاته في تلك الصحف، بما فيها في جريدة (ليتيراتورنايا غازيتا) (الصحيفة الادبية) التي كانت تصدر في ذلك الحين، والتي لازالت تصدر لحد الان في روسيا وهي تحمل في عنوانها صورتين لاديبين هما الكساندر بوشكين الذي ساندها بقوة ونشرنتاجاته الادبية فيها وساهم في دعمها، ومكسيم غوركي الذي أعاد اليها الحياة بعد ثورة اكتوبر 1917.

كان بوشكين يحلم ان تكون له جريدة او مجلة خاصة به، يستطيع من خلالها ان يطرح وجهة نظره الخاصة به في شؤون الادب والفكر بشكل عام، وهكذا استطاع الحصول على الموافقات الاصولية اللازمة باصدار مجلة فصلية تصدر اربع مرات بالسنة عنوانها - (سوفريمينك) اي (المعاصر) وذلك عام 1836، وقد أصدر فعلا في ذلك العام أربعة أعداد منها. لم تستطع مجلة بوشكين - كما هو الحال بالنسبة لمعظم الصحف والمجلات الروسية في ذلك العصر - ان تكسب المردود المالي اللازم لضمان استمرارية صدورها، اذ انها حصلت على 600 مشترك ليس الا، وهو رقم متواضع جدا لا يمكن ان يموِّل تكاليف الاصدار، مما اضطر بوشكين في العددين الثالث والرابع ان يكتب اكثر من نصف موادها وباسماء مستعارة ليخفف ويقلل من مصروفاتها المالية. لقد كانت مجلة المعاصر ذات مستوى ثقافي رفيع جدا، اذ انها نشرت العديد من نتاجات غوغول مثل قصتة الطويلة المشهورة - (الانف)، ومقالتة النقدية حول حركة المجلات الادبية، وساهمت اسماء لامعة في دنيا الادب الروسي فيها مثل الشعراء جوكوفسكي وتوتشيف وكولتسوف وغيرهم، وحاول بوشكين ان يجذب بيلينسكي للكتابة فيها، ونشرت المجلة موادا متنوعة من شعر ونثر ودراسات ومقالات نقدية وتاريخية واثنوغرافية متنوعة جدا، ونشر بوشكين نفسه نتاجاته فيها ايضا مثل - (التاجر البخيل) و(رحلة الى ارضروم) و(ابنة الآمر) وغيرها.

بعد المبارزة التراجيدية ووفاته، قرر اصدقاء بوشكين الاستمرار باصدار تلك المجلة، وهكذا صدرت المجلة عام 1837 باشراف مجموعة من اصدقاء بوشكين وبنفس الحجم والشكل وكتبوا على غلافها - (سوفريمينك / مجلة بوشكين الادبية / تصدر لدعم عائلة بوشكين / يحررها فيازيمسكي واسماء ادباء آخرين...)، وقد استمرت المجلة بنفس النهج السابق لها، ونشرت بعض نتاجات بوشكين التي لم يستطع نشرها في حينه، واستطاعت ان تتحول الى مجلة شهرية. توقفت هذه المجموعة من الادباء الروس عن اصدار هذه المجلة عام 1846 وباعتها الى الشاعر الروسي نكراسوف، الذي استمر باصدارها واستطاع ان يكسب اليها مساهمة ادباء روس كبار مثل تورغينيف وغانجروف وغيرتسن وتولستوي وأستروفسكي...الخ، ثم جاء الى المجلة الناقد والمفكر الروسي الثوري تشرنيشيفسكي وزميله الناقد الادبي دوبرالوبوف وتحولت

المجلة الى لسان حال الديمقراطيين - الثوريين، وحدث بسبب ذلك انشقاق في هيئة تحريرها وانسحب منها تولستوي وتورغينيف وغريغورفيتش، ثم تم غلقها من قبل السلطة القيصرية عام 1866. هذا هو التاريخ المختصر جدا والوجيز جدا لمجلة بوشكين سوفريمينك (المعاصر) منذ اصدارها من قبله عام 1836 حتى اغلاقها عام 1866.

لا توجد - حسب معلوماتي المتواضعة - دراسات تفصيلية شاملة حول تاريخ الصحافة الروسية باللغة العربية، واظن انه من الضروري جدا كتابة ذلك بلغتنا العربية كي ندرس هذا التاريخ الحيوي والمهم جدا لاستيعاب وفهم خصائص دولة كبرى مثل روسيا وتاريخها الفكري، والذي يقتضي - قبل كل شئ - ان يستعرض الوقائع التاريخية الخاصة بهذه المادة بشكل عام، والوقائع التاريخية بالصحافة الادبية بشكل خاص، اذ ان هذا التاريخ يعني - بالنسبة لنا - دراسة وتحليل المجتمع الروسي بمختلف جوانبه الفكرية بلا أدنى شك، وكم اتمنى ان يأخذ أحد الباحثين العرب الشباب هذه المهمة، ويدرس تاريخ الصحافة الادبية الروسية، ويقدمها للقارئ العربي، وفي مقدمتها مجلة بوشكين الادبية - سوفريمينك (المعاصر)، وذلك باشراف احد المتخصصين العرب في هذا المجال في احدى الجامعات العربية التي يوجد فيها قسم خاص بالادب الروسي وتاريخه، وهذا يقتضي بالطبع - وفي ألاقل - تقديم فهارس كاملة لتلك المجلات وخلاصات وافية لمحتوياتها وآراء تحليلية وموضوعية لتلك المحتويات، وهي مهمة ليست بسيطة في كل الاحوال.

دعونا نتمنى تحقيق ذلك.

22- اطاريح الماجستير التي أشرفت عليها

ابتدأت دراسة الماجستير في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد عام 1992. لقد فاتحتنا جامعة بغداد مرة في اواسط الثمانينات حول ذلك، ولكن اللجنة العلمية في القسم لم توافق على المقترح، واقترحنا نحن بدورنا تحقيق هذه الدراسة بالتعاون مع احدى الجامعات الروسية، حيث يدرس طالب الماجستير سنة في قسمنا وسنة في تلك الجامعة الروسية، وان يكون للطالب هذا مشرفان (عراقي وروسي) يتعاونان معا، وان يتم انجاز الاطروحة بالروسية وتتم مناقشتها من قبل لجنة عراقية - روسية مشتركة في بغداد. لم توافق الجامعة والوزارة على مقترحنا في حينها واغلق الموضوع. اما في عام 1992 فقد صدر امر بافتتاح دراسة الماجستير دون مفاتحة الاقسام العلمية في الجامعات (بعد حرب الكويت وبداية الحصار على العراق)، وقد جاء هذا الامر من أعلى السلطة العراقية آنذاك وبعد اجتماعات كان يعرضها تلفزيون بغداد برئاسة رئيس الجمهورية ومجموعة من الوزراء!!!

عندما استلمنا هذا الامر الاداري وبدأنا بتنفيذه، انقسمت الآراء في اللجنة العلمية الى قسمين. القسم الاول يؤيد كتابة الاطاريح حول مواضيع ترتبط بالاختصاص البحت (اي اللغة الروسية وآدابها)، ويؤيد القسم الثاني كتابة الاطاريح المرتبطة بعلوم اللغات والآداب المقارنة والترجمة. كنت انا ضمن القسم الثاني من تلك الآراء والمتحمسين لها ولعلميتها، ولا مجال هنا لعرض تفاصيل النقاشات التي جرت عندئذ في اللجنة العلمية، وربما تسنح الفرصة يوما لنشر تلك التفاصيل.

لقد أشرفت خلال مدة عملي في قسم اللغة الروسية على العديد من اطاريح الماجستير، وكانت كلها ترتبط بالادب الروسي مع واقعنا، وكيف كان يتقبله المجتمع العراقي خصوصا والعربي عموما، وما الذي تم انجازه في حياتنا الفكرية بشأن هذا الادب، والمشاكل المرتبطة بذلك...الخ.

الاطروحة الاولى التي بدأت بها مسيرتي العلمية آنذاك كانت بعنوان - (مسرح تشيخوف في العراق)، والتي انجزها طالب الماجستير خلف الموسوي (وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة استاذ)، وقد أشرت في مقالتي - (تشيخوف في العراق) الى ان وفد جامعة بغداد اهدى نسخة منها الى جامعة موسكو اثناء احدى زياراته الرسمية، وكيف تقبلها الجانب الروسي بترحاب، واسماها - (هدية كبيرة).

الاطروحة الثانية كانت بعنوان - (تشيخوف في النقد الادبي العربي)، والتي انجزتها طالبة الماجستير هديل اسماعيل خليل (وهي الان احدى تدريسيات القسم بدرجة ا.م.د. بعد ان حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة بطرسبورغ الروسية).

الاطروحة الثالثة كانت بعنوان - (قصص تشيخوف المبكرة في الترجمات العربية)، والتي انجزها طالب الماجستر تحسين رزاق عزيز (وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة ا.م.د. بعد ان حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة فارونش الروسية، ويعد الان واحدا من المترجمين العراقيين البارزين عن اللغة الروسية).

الاطروحة الرابعة كانت بعنوان - (المصطلحات الادبية في المعجمات الروسية - العربية والعربية الروسية)، والتي انجزتها طالبة الماجستير نهلة جواد هادي (وهي الان احدى تدريسيات القسم بدرجة ا.م.د. بعد ان حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة فارونش).

الاطروحة الخامسة كانت بعنوان - (دراسة تحليلية لبيبلوغرافيا الادب الروسي في المجلات العراقية)، والتي انجزها طالب الماجستير أثير زهير توفيق (ولا اعرف الان مصيره مع الاسف الشديد).

الاطروحة السادسة كانت بعنوان - (حكايات تولستوي في الترجمات العربية - ترجمة كاظم سعد الدين نموذجا)، والتي انجزتها طالبة الماجستير نعيمة ابراهيم محمد (ولا اعرف الان مصيرها مع الاسف الشديد).

الاطروحة السابعة كانت بعنوان - (الادب الروسي في مجلة الاقلام العراقية - دراسة تحليلية)، وقد انجزها طالب الماجستير هاشم صاحب الموسوي (وهو الان احد العاملين العراقيين البارزين في تلفزيون روسيا اليوم في موسكو).

الاطروحة الثامنة كانت بعنوان - (ترجمة شعر بوشكين في العراق - ترجمة أ.د. جميل نصيف التكريتي نموذجا)، وقد انجزتها طالبة الماجستير غادة طارق العاني (وهي الان احدى تدريسيات القسم بدرجة ا.م.د. بعد حصولها على شهادة الدكتوراه من الجامعة التربوية في مدينة فارونش).

الاطروحة التاسعة كانت بعنوان - (تدريس اللغة الروسية وآدابها في العراق. المشاكل والآفاق.)، وقد انجزها طالب الماجستير ياسين حمزة عباس (وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة ا.م.د. بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة بطرسبورغ).

الاطروحة العاشرة كانت بعنوان - (غوغول في العراق من السبعينات وحتى وقتنا الحاضر)، وقد انجزها طالب الماجستير منذر ملا كاظم (وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة ا.م.د. بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة فارونش).

لقد اعتمدت في مقالتي هذه على كتاب - (دليل الدراسات العليا) الذي اعدته الدكتورة أحلام حنش كاطع مديرة شعبة الدراسات العليا في كلية اللغات، والصادر عن مجلة كلية اللغات عام 2001 / 2002، ولكني لم أجد فيه الاطروحة التي انجزتها طالبة الماجستير ابتسام احمد حمزة بعنوان - (الادب الروسي في مجلة الثقافة الاجنبية العراقية)، وهي الان احدى تدريسيات القسم وطالبة دكتوراه في احدى الجامعات الروسية، وكذلك لم أجد في هذا الدليل الاطروحة التي انجزها طالب الماجستير ميثاق محمد وكانت حول ترجمة عبد الله حبه لمسرحيات استروفسكي، وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة ا.م.د. بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة فارونش، ولم اجد ايضا اطروحة طالبة الماجستير آيات يوسف حول ترجمة رواية تورغينيف (الاباء والبنون) في العراق، وهي الان م.د. في القسم بعد

حصولها على شهادة الدكتوراه من الجامعة التربوية في موسكو. واظن ان سبب ذلك كله هو ان الدليل قد تم طبعه قبل اكمال المناقشات اللازمة لتلك الاطاريح ليس الا.

واختتم هذه السطور بالاشارة الى اني لم استطع اكمال المشوار مع احدى طالبات الماجستير التي اخترت لها اطروحة بعنوان - (كتب عراقية حول الادب الروسي)، وعملت معها فترة من الزمن، وذلك نتيجة لظروف عملي آنذاك وسفري وتفرغي العلمي في روسيا، وقد أكمل الاشراف أحد زملائي التدريسيين في القسم.

اتمنى ان يحاول كل هؤلاء نشر اطاريحهم باللغة العربية، اذ انها لازالت تمتلك اهميتها لتدوين الحركة الفكرية في العراق والعالم العربي حول الادب الروسي بالنسبة للقراء العراقيين والعرب عموما، وبالنسبة للباحثين الروس ايضا الذين لا يعرفون - مع الاسف الشديد - مستوى الدراسات العراقية والعربية للادب الروسي وما استطاع باحثونا ومترجمونا ان يحققوه في هذا المجال.

23- بوشكين وغوغول في وصية المخرج ايزنشتين

ابسيرغي ميخايلوفيتش ايزنشتين (1898 - 1948) - مخرج سينمائي كبير، ساهم بشكل فعال قي تطوير فن السينما السوفيتية والعالمية، واخرج عدة افلام معروفة منها - المدرعة بوتمكين (1925) واكتوبر (1927) والكساندر نيفسكي (1938) وايفان الرهيب (الجزء الاول 1945 والجزء الثاني الذي ظهر بعد موته العام 1958). حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم الفن، وهو بروفيسور في معهد السينما منذ العام 1937، وحائز على عدة جوائز فنية. منعه الاطباء قبيل وفاته من العمل بسبب النوبات القلبية الحادة، الا انه رغم اجواء الموت التي كانت تحيط به، كان متحمسا لافكاره وخطط عمله.

الحديث، الذي نقدم هنا مقاطع منه (الخاصة ببوشكين وغوغول) جرى بينه وبين ي. فايسفلد في الامسية التي سبقت وفاته، وقد كتبه فايسفلد بشكل تسجيلي دقيق في اليوم التالي مباشرة بعد الوفاة، ويعد هذا الحديث وصيُّة المخرج السينمائي الكبير سيرغي ايزنشتين...

ض.ن.

.....

جرس الهاتف.

- اتستطيع ان تمرُّ علي الان؟

اذهب الى شقة ايزنشتين.

- اريد ان اتباهى. منحوني اليوم ميدالية. انخييف وانطونوف كانا هنا وشربا كأسا... كانت حفلة رائعة، كم انا آسف لاني لم استطع ان اشاركهما...

ننتقل للحديث عن امسية التكريم بمناسبة عيد ميلاده الخمسين، والتي اجُّلها ايزنشتين نفسه -

- اجلوا الاحتفال اليوبيلي اسبوعين... ستكون حفلة (في ذكرى) ايزنشتين... لقد حان وقت الموت، ان ذلك واضح من الفحص الاخير للقلب...

ويبتسم ايزنشتين ويقول -

لقد انتهيت من تحضير الوصية الادبية، واستطيع ن اقدمها الآن، خذ، تقبلها...

وينهض من الكرسي، ويقترب من الدولاب الموجود في الممر ويفتحه -

هذه هي رزم المخطوطات. هذه مثلا مشكلة اللون، هنا المذكرات، نظرية الاخراج، غوغول، بوشكين... واكثر الامور التي لا تقبل التأجيل - ايفان الرهيب. العمل في ايفان الرهيب جدي جدا، ولكنه ليس كثيرا، يجب اكمال بعض اللقطات وعمل المونتاج... ولكن كيف ساستطيع الخروج الى ساحة العمل؟ الشمس اللافحة - ليست لي... وهكذا، من اين أبدأ؟ من الفيلم؟ من اللون؟ الاخراج؟ غوغول؟ بوشكين؟... انظر مثلا بوشكين... اين يكمن موضوع كل الاشياء التي كتبها بوشكين؟ لنبسُّط الموضوع - هناك دائما عجوز يسد الطريق نحو السعادة. عشاق شباب وعجوز يعرقل حبهم. لنتذكر مؤلفات بوشكين - يفغيني اونيغين، الغجر، بوريس غودونوف، ابنة الآمر... في (الفارس البخيل) لا يوجد حب، لكن يوجد عجوز يغرق في الغنى والثروة ولا يعطي شيئا لاحد. لماذا لم يكتب اي شخص عن هذا الموضوع لحد الآن؟... ولكن اكثر الاشياء طرافة هنا، ان المواضيع التي تبدو متشابهة ورتيبة لا تقف حائلا دون انتقال بوشكين نفسه من العمل في مختلف المجالات الفنية... عند بوشكين توجد سعة عبقرية للافكار... ولكن خلال كل نتاجاته تمرُّ حالة واحدة - عجوز يعرقل الحب، حب لم يتحقق لانسان شاب، حلم عن حب لم يتحقق... من اين كل هذه؟ ان بوشكين، كما تعلم، احب زوجة كارامزين عندما كان تلميذا في المدرسة، وكتب لها رسالة يشرح فيها حبه لها ويرجوها ان تأتي لموعد. زوجة كارامزين عرضت رسالة التلميذ بوشكين لزوجها، وجاءت مع زوجها الى المكان الذي حدده بوشكين... ولم يستطع الشاعر ان يتخلص من هذه الصدمة العنيفة طوال حياته... وجاءت زوجته نتاليا غانجروفا، ومن اجلها سامح بوشكين الجميع... هل تذكر الحادث المشهور - ليلة زفاف بوشكين، في الصباح،عند نوافذ شقته يمر الامبراطور ويلوح لنتاليا غانجروفا بمنديله... كل الاشياء الاخرى معروفة بشهادة العشرات - فقدان الاحساس الكبير عند نتاليا ومعاناة بوشكين... لقد تحمل الشاعر كل شئ. لماذا؟ لان نتاليا غانجروفا كانت تذكر بحبه الاول - زوجة كارامزين. لاحظ، في الحادثة الاولى والثانية يوجد عجوز يعرقل الحب. ان هذه

الصدمة العنيفة في حياة بوشكين اخترقت كل نتاجه، انها نغم يتكرر باستمرار، وقد استطاع هذا النغم ان يصل الى الاعماق، ثم ينعكس باشكال مختلفة - اسطورة او رواية او مسرحية تاريخية... لكنه لم يختف، انه موجود في كل اعمال بوشكين الجدية... يمكن الظن - فرويد؟ كلا، ليس فرويد. ان فرويد هو مدينة صغيرة وغريبة وبعيدة جدا. العمل الوحيد لفرويد، والمكتوب بشكل واضح، كان عن اليوناردو، ولكن حتى هنا، فرويد ادخل الجنس، وعزل حياة الفنان عن الواقع. ان ادخال الجنس في كل شئ قضى على فرويد، اما تلاميذه فلا يستحقون شيئا. كلا، فرويد هنا لا علاقة له بالموضوع. ان حب بوشكين لا يحمل بصمات الجنس، انه تراجيديا الحياة، تراجيديا طبعت آثارها على كل نتاجه... ومن هنا ظهر الموضوع الرئيسي... صدقني، وسترى انك لا تستطيع التخلص من هذا الرأي. لقد حاولت من وجهة النظر هذه ان افسر شارلي شابلن، ولكن - يقول ايزنشتين ذلك بمرح - تذكر، لا تقل لاي انسان اية كلمة عن كل ما احدثك به الان، اذ انهم سيسرقون الافكار رأسا... شابلن طوال حياته كان يحب زوجة هيرست، وكل ارتباطاته وتغييره للنساء كان من اجل البحث عن تلك التي تشبه حبه الوحيد... وكما هو الحال بالنسبة لبوشكين الذي بحث بين العشرات ووجد نتاليا غانجروفا... شابلن ايضا مررن نساء كثيرات في حياته، ولكنه اراد ان ينساهن، يمسحهن، يحذفهن من تفكيره... وهكذا ولد مسيو فيردو، الذي يدمر النساء باسم واحدة فقط، ولكن انت تعرف، ان فيردو سقط ليس فقط عندهم، وانما عندنا ايضا. ان هذا الشئ مفهوم جدا، لان فيردو لم يستطع ان يخرج من حياة شابلن الخاصة ولم يمتلك قيمة اجتماعية واسعة كما عند بوشكين. ان فيردو لم يمس احاسيس الملايين، بل كان موجها للداخل، ويتكلم عن شئ قريب من شابلن ومن اصدقائه المقربين اليه فقط.

ويستمر ايزنشتين قائلا -

اني اقرأ واعيد قراءة غوغول... علاقة بوشكين بغوغول ليست مسألة جديدة... صداقتهم معروفة. بوشكين اعطى لغوغول موضوعي (الارواح الميتة) و(المفتش)... لم يكن بوشكين بحاجة اليهما، لانهما لم يكونا مرتبطين بموضوعه المركزي... هذه مسألة صغيرة، لكنها نموذجية. أليس كذلك؟ عند غوغول كان

يوجد موضوع آخر - استحالة الزواج. تشغل المرأة مكانا خاصا في حياة غوغول، الذي لم يتزوج ولم يعرف الحب. اول اصدار مطبوع لغوغول كان بعنوان - (المرأة)، وقد عاد غوغول مرات كثيرة الى موضوع استحالة الزواج.

أراد غوغول ان يخلق تراجيديا مثل (بوريس غودونوف) عند بوشكين واعلن في الصحف عن قرب صدور تراجيديا تاريخية، ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك. ان غوغول (حتى بدون وعي مباشر) كان يغار من بوشكين بشدة... الغيرة الشديدة من بوشكين عذبته دائما... لقد بدأت افكر، ماذا يعني (المفتش) وكيف ظهر؟ وتوصلت الى فكرة، تبدو للوهلة الاولى مضحكة. عندما يأس غوغول من كتابة تراجيديا، كتب محاكاة لبوريس غودونوف. ان المفتش هي تلك المحاكاة بالذات... انت تبتسم. وانا ابتسم معك ايضا، ولكن قارن بعض المسائل والايماءات الصغيرة - العرض في (غودونوف) هو خليستيكوف نفسه في (المفتش)، قبعة مونوماخ وقبعة حاكم المدينة، المشهد الصامت للمفتش والشعب الصامت في غودونوف، مارينا؟ مارينا توجد في المفتش، وحتى انها تحمل نفس الاسم- ماريا انطونفنا... انني ابحث واجد كثيرا من المسائل الصغيرة التي تبين ان غوغول اراد ان يكتب محاكاة ساخرة لتراجيديا بوشكين (بوريس غودونوف). انظر الى هذه المقارنات المتشابهة... انها مسالة مسلية حقا، ولكنها صحيحة. لم يكن باستطاعة غوغول ان يخلق تراجيديا، فكتب كوميديا عبقرية والتي تحاكي وتسخر من بوريس غودونوف.

قل لي، الا يستحق هذا الموضوع العمل؟ انه شئ ممتع، أليس كذلك؟ انني احصل على الكتب وأقرأ واقارن... ولكن ما الذي علي ان اعمله اولا؟ قل لي؟ سأموت في الربيع...

24- بوشكين كاتبا مسرحيا

بوشكين - قبل كل شئ - شاعر كبير، اي ان الشعر يأتي اولا عندما يجري الحديث عنه، اذ انه (شمس الشعر الروسي) بلا منازع، ولكن بوشكين ساهم - وبشكل كبير وهائل ورائع ايضا - في مجالات ابداعية اخرى، فما هو الجانب الثاني في ابداع بوشكين يا ترى؟ يعتقد بعض الباحثين، ان النثر يأتي (ثانيا)، اذ مازالت قصصه ورواياته القصيرة شاخصة في عالم الادب الروسي، ويشيرون مثلا الى ابنة الضابط (حسب ترجمة الدروبي والتي اختلف المترجمون العرب على ترجمة عنوانها لاحقا!)، وهناك من يرى، ان مسرح بوشكين اهم من نثره، ويذكرون مسرحيته التاريخية - (بوريس غودونوف) والتي لازالت تتفاعل مع الحياة الروسية المعاصرة ولحد الان، وذلك عندما يدور الكلام عن المسرح الروسي او التاريخ الروسي، ويظن آخرون، ان هناك جوانب ابداعية اخرى في نشاط هذا (المعلّم!) الكبير، وان تلك الجوانب هي التي تستحق ان تكون (ثانيا). وبغض النظر عن تحديد الموقع (الثاني!) في ابداع بوشكين (وكل ذلك يخضع للنظرة النسبية للباحثين طبعا، اذ يجد كل باحث تبرير موقفه تجاه بوشكين وابداعه)، فاننا نود ان نتوقف في مقالتنا هذه عند جانب مهم في مسيرته الابداعية، وهو بوشكين - الكاتب المسرحي في تاريخ الادب الروسي، وفي تاريخ المسرح الروسي.

هذا الموضوع يذكّرني رأسا بحدث محفور في اعماق روحي، وهو - كيف جاءت المرحومة أ.د. حياة شرارة مرة اليّ (عندما كنّا نعمل سويّة في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد)، وقالت لي انها ترجمت تراجيديات بوشكين الصغيرة عن الروسية، وتريد ان تقدمها الى وزارة الاعلام العراقية لنشرها في كتاب، ولكنها مترددة جدا، لانها تخشى ان يحيلون الترجمة الى شخص غير مؤهل لمراجعتها كما كانت الامور متبعة بشأن اي كتاب مترجم تنشره الوزارة، ويبدأ هذا الشخص (يتفلسف برآسي!) (هكذا قالت لي المرحومة حياة مازحة)، ولهذا سألتني، هل توافق ان تكون انت المراجع لتلك المسرحيات؟ فقلت لها، اني اوافق على ذلك دون اي تردد، وأضفت قائلا، انها يجب ان تكون مثل جبرا ابراهيم جبرا، الذي يشترط عدم مراجعة ترجماته من قبل

مراجعين، وانها جديرة ان تشغل مكانة جبرا في عالم الترجمة عن الروسية في العراق، (انظر مقالتنا بعنوان - حياة شرارة والادب الروسي في العراق / لقطات). وهكذا صدر كتاب المرحومة حياة عن وزارة الاعلام العراقية بعنوان - (مسرحيات بوشكين)، وهو اول كتاب عراقي متكامل عن مسرح بوشكين، اذ يضم نصوص المسرحيات تلك، التي أسماها بوشكين - (تراجيديات صغيرة) بترجمة د. حياة شرارة عن الروسية، وبمقدمة عن مسرح بوشكين بقلمي، والمقدمة تلك هي في الاصل بحث نشرته اولا في مجلة كلية الآداب / جامعة بغداد (وقدمته في حينها للترقية العلمية حسب تعليمات الترقيات العلمية في الجامعة)، واتفقنا (حياة وانا) انه يصلح ان يكون مقدمة لكتابها المترجم ذاك، وهذا ما تمّ فعلا. ولهذا، فان مسرح بوشكين - بالنسبة لي شخصيا - يرتبط بترقيتي العلمية في الجامعة، ويرتبط ايضا باول كتاب عن مسرح بوشكين في العراق اصدرته المرحومة المبدعة حياة شرارة.

تراجيديات بوشكين (الصغيرة!) تلك هي مسرحيات (كبيرة!) الاهمية في تاريخ الادب المسرحي الروسي، اذ انها تعدّ كلمة جديدة لم يسبق لاحد قبل بوشكين في روسيا ان قدّم شيئا مماثلا لها، وكتب بوشكين تلك المسرحيات عام 1830، اي عندما كان في قمّة (نضوجه الابداعي!) ان صحّ التعبير (توفي بوشكين عام 1837)، وليس عبثا، ان تلك المسرحيات كانت تعكس مواضيع انسانية شاملة، او (اميّة) كما أسماها باحث سوفيتي مرّة في محاولة لاستخدام المصطلح السياسي المعروف في سياق النقد الادبي. التراجيديات الصغيرة، او (مآس صغيرة) كما جاءت في بعض الترجمات العربية، كانت تدور حول صفات عامة توجد عند البشر كافة، صفات وردت الى ذهن بوشكين نتيجة قراءآت واسعة جدا في الادآب العالمية، (اي لا تتناول الخصائص القومية البحتة ولا الاحداث القومية)، كالحسد مثلا (انظر مقالتنا بعنوان - مسرحية بوشكين الشعرية موتسارت وساليري).

المسرحية المركزية لبوشكين هي (بوريس غودونوف) طبعا، والتي قرأ بوشكين مقاطع منها لقيصر روسيا الكساندر الاول عندما استقبله بعد الغاء عملية النفي وعودة الشاعر الى بطرسبورغ، وهي دراما تاريخية ضخمة

ومليئة بالاحداث والشخوص، بدأ بوشكين بكتابتها بعد ان اطّلع على نتاج كارامزين الشهير (تاريخ الدولة الروسية)، ويرى بعض النقاد، ان بوشكين اراد ان يكون (شكسبير روسيا) بواسطة هذا العمل المسرحي الكبير. استمر بوشكين بكتابة هذه المسرحية طوال سنوات، ونشرها عام 1830 فقط، ولم يستطع ان يراها على خشبة المسرح اثناء حياته نتيجة عوامل كثيرة، منها سياسية وفكرية، ومنها كذلك صعوبة تحقيق ذلك تقنيا. لقد تم تقديم تلك المسرحية على خشبة المسرح الروسي بعد اكثر من ثلاثين سنة على وفاة بوشكين، ولا زالت تعرض لحد الان، بل انها تحولت حتى الى اوبرا، والى عروض موسيقية غنائية متنوعة، وحولتها السينما الروسية منذ اواسط القرن العشرين الى افلام سينمائية عديدة، وكان آخرها فلم سينمائي تم انتاجه عام 2011 ليس الا...

شمس الشعر الروسي بوشكين استطاع ان يمنح لشعبه ايضا المسرح الشعري الروسي، وهو عمل ابداعي كبير وعنصر ضروري جدا في تاريخ كل شعب من شعوب العالم المتحضّر...

25- قصيدة بوشكين (على تلال جورجيا) بترجمتين عربيتين

الترجمة الاولى / رفعت سلام

من كتاب (الغجر) واعمال اخرى / الكسندر بوشكين

القاهرة 2010 الهيئة المصرية العامة للكتاب ص. 110

على تلال جورجيا يستلقي ضباب المساء...

في الاسفل، يزبد (أراجفا)

الكآبة التي تملأ فراغ الايام

مبهجة جزئيا، بصورة غريبة،

هي ألالم العذب والسعادة ألاعذب.

ولانك تحتلين قلبي، فلن تواتيه السكينة،

حتى وهو مرح، ولا مبال بالافكار الكئيبة...

فهو يحب...

يحب لأنه يجب قبل كل شئ،

ان يظلّ راضيا.

***

الترجمة الثانية

ترجمة ابراهيم استنبولي

الحوار المتمدن ومواقع اخرى عديدة

على تلال جورجيا يخيم ليل مظلم،

وامامي نهر (اراغفا) يهدر.

أشعر بالغم وبالراحة، حزني مشرق،

حزني بك مفعم،

بك، بك وحدك...

لاشئ يمضٌ شجني، لاشئ يقلق،

والقلب يشتعل من جديد ويعشق -

ان لا يعشق هو يعجز.

***

كتب بوشكين قصيدته هذه عام 1829، وهي قصيدة صغيرة تتكون من 8 ابيات فقط، وقد اتفق المترجمان على بدايتها كما جاءت عند بوشكين في النص الروسي - (على تلال جورجيا)، ولكنهما اختلفا بعد ذلك، فقد كتب رفعت سلام (يستلقي ضباب المساء) على تلك التلال، بينما اشار ابراهيم استنبولي انه - (يخيم ليل مظلم) هناك، اما عند بوشكين نفسه ف (ترقد، تضطجع، تستلقي / عتمة ليلية، ظلام ليليٌ، عتمة ليل، ظلام ليل)، لهذا فان فعل (يستلقي) عند سلام أقرب الى نص بوشكين من فعل (يخيم) عند استنبولي، لكن (ضباب المساء) لا وجود له بتاتا هنا ولا توجد علاقة بين الضباب الذي يحدث عادة في النهار وبين عتمة الليل التي اشار اليها بوشكين، وهذا يعني ان (ليل مظلم) هو التعبير الافضل كما عند استنبولي، والسطر الثاني عند بوشكين هو - (يضج، يهدر/

أراغفا امامي)، وحسنا فعل استنبولي عندما أضاف كلمة (نهر) هنا، اذ ان تسمية اراغفا غير معلومة بحد ذاتها للقارئ العربي، ولكني لم افهم لماذا كتب سلام (في الاسفل) بدلا من (امامي) كما عند بوشكين. ومن السطر الثالث في القصيدة الى نهايتها في السطر الثامن تتحول الاختلافات بين المترجمين الى تناقضات جذرية، وتصبح القصيدة ب10 اسطر عند سلام بدلا من 8 أسطر كما عند بوشكين والتي حافظ على عدد أسطرها استنبولي، ولا استطيع ان اقارن النص الذي ترجمه سلام مع النص الاصلي للقصيدة بتاتا لا من قريب ولا حتى من بعيد، وعلى الرغم من اقتناعي التام بعدم الالتزام الحرفي عند الترجمة الابداعية وضرورة تطويعها على وفق موسيقية ومتطلبات اللغة المترجم اليها (حتى ولو اضطر المترجم الى ترجمة المعنى ليس الا) ولكن ذلك يجب ان يجري ضمن ضوابط دقيقة وصارمة ومحددة كي لا يفقد النص الاجنبي للقصيدة خصائصه وسماته وجوهره، وهذا ما قام به فعلا ابراهيم استنبولي، رغم عدم اتفاقي معه في بعض اللمسات، اذ اني أرى مثلا ان يحل الفعل (يتوهج القلب) بدلا من الفعل (يشتعل)، وان تكون نهاية القصيدة ليست كما جاءت عنده - (ان لا يعشق هو يعجز)، بل (لانه لا يقدر ان لا يعشق)، اي ان نهاية القصيدة تكون كالآتي -

ويتوهج القلب من جديد ويعشق -

لانه لا يقدر ان لا يعشق.

ولكن كل هذه التفاصيل الصغيرة والبسيطة غير مهمة ولا تعني ابدا عدم تقبلي او عدم اعجابي بترجمة ابراهيم استنبولي ودقته وابداعه، اما ترجمة رفعت سلام فانها بعيدة جدا عن نص قصيدة بوشكين، ولا يمكن للمترجم - من وجهة نظري - ان يتصرف بهذا الشكل وان يذهب الى هذا الحد بالترجمة، اذ ان ذلك يعني، ان العمل يفقد عندها مقومات الترجمة وفنها وقواعدها واصولها، وبالتالي لا يمكن اعتباره عملا ترجميا.

26- بوشكين روائيا

قلت له، ان (ابنة الضابط) حسب ترجمة سامي الدروبي، او (ابنة الآمر) حسب ترجمة غائب طعمه فرمان، هي ليست رواية، والتي يسمونها بالروسية (رومان او رامان حسب قواعد التلفّظ الروسي)، وانما هي رواية قصيرة، ويسمونها بالروسية (بوفست / الباء بثلاث نقاط)، وان بوشكين كتب (يفغيني اونيغين)، وهي (رواية بالشعر) كما أسماها بوشكين، وتعد العمل الابداعي المركزي والكبير لبوشكين، لانه استطاع ان يقدّم هناك نفسه باعتباره روائيا وشاعرا في آن واحد، وان دور النشر الروسية لازالت تطبع هذه الرواية لحد الآن، لانها لازالت مطلوبة من القراء الروس، وحكيت له، كيف اني قمت مرة بالتدريس في مدرسة روسية عندما كنّا طلبة في الكلية (وذلك ضمن درس التطبيقات وبحضور واشراف الاستاذ الروسي)، وطلبت من التلاميذ ان يقرأوا عن ظهر قلب رسالة تاتيانا (بطلة تلك الرواية) الى اونيغين (بطل الرواية هذه)، فاذا بجميع التلاميذ يرفعون ايديهم لدرجة اني احترت ولم اعرف من اختار لقراءة ذلك المقطع الجميل، والذي يعرفه كل التلاميذ عن ظهر قلب. تعجب صاحبي من هذا القول الذي على ما يبدو انه يسمعه لاول مرة، وأجابني، ان ذلك يتعارض مع كل المعلومات التي يعرفها عن الادب الروسي، والتي اكتسبها من القراءة الواسعة للمصادر العربية عن هذا الادب، ثم سألني - وهل توجد ترجمة عربية لرواية بوشكين الشعرية هذه؟ فقلت له، اني سمعت مرة من أحدهم (ولست متأكدا من صحة هذه القصة)، ان الجواهري (والذي لم يكن يعرف اي لغة اجنبية) طرح هذا السؤال على مجموعة من المحيطين به، لانه اراد ان يتعرّف على عظمة بوشكين ومكانته في مسيرة الادب الروسي، والتي سمع عنها الكثير الكثير، وقد جلبوا له فعلا ترجمة عربية لتلك الرواية، وبعد ان اطلع عليها لم تعجبه بتاتا، بل واستخف بها، وقد قلت للشخص الذي حكى لي هذه القصة، ان الجواهري لم تعجبه الترجمة العربية لتلك الرواية، وليس عمل بوشكين الابداعي ذاك، وحكيت له، ما قاله أراغون مرة حول ذلك، اذ سأله أحد الصحفيين - لماذا لا يترجم الى الفرنسية رواية بوشكين هذه، خصوصا وان زوجته الكاتبة الفرنسية الزا

تريوليه هي روسية الاصل، وانهما معا يستطيعان ان يقدما ترجمة فرنسية جيدة لتلك الرواية؟ فقال أراغون - انه حاول ذلك طوال حياته ولكنه لم يستطع ان يترجم سوى فصلا واحدا من تلك الرواية. ومن الواضح تماما، ان اراغون اراد ان يقدم طبعا عملا ترجميا حقيقيا يليق ويتناسب مع مستوى بوشكين بالروسية واراغون بالفرنسية. سألني صاحبي - ولماذا لا تترجم انت هذه الرواية الى العربية؟ فضحكت وقلت له - اني احاول طوال حياتي ان اترجم قصائد بوشكين، وقد استطعت ان اترجم قصيدتين فقط - الاولى قصيدة (النبي) للمشاركة في جائزة اليونسكو بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد بوشكين العام 1999 (انظر مقالتنا بعنوان - بوشكين واليونسكو وجواد الحطاب)، والثانية قصيدة صغيرة بلا عنوان، ويطلقون عليها عنوان الشطر الاول منها وهي - كنت اظن ان القلب قد نسى، ونشرتها في مجلة جمعية المترجمين العراقيين في حينها، فقال - ومن سيترجم روايه بوشكين الشعرية اذن؟ فضحكت مرة اخرى وقلت له - اذا الشاعر الفرنسي الكبير اراغون لم يستطع ذلك، فكيف تريدني ان اترجمها انا؟ فأجابني - اريد جوابا محددا ودقيقا، فانا ارغب بقراءة هذه الرواية فعلا بعد حديثك الممتع عنها، فقلت له - تعلّم اللغة الروسية، وعندها يمكنك ان تقرأ تلك الرواية وغيرها من النتاجات الادبية الخالدة للادباء الروس، وعندها ستفهم من هو بوشكين - شاعر السهل الممتنع، وما سر عظمته وخلوده في مسيرة الادب الروسي والتاريخ الروسي ايضا، ولماذا يطلقون عليه في روسيا تسمية - (شمس الشعر الروسي!).

27- جلست مع زوجة بوشكين على مصطبة واحدة

نعم، جلست فعلا جنب ناتاليا غانجيروفا، زوجة بوشكين، على مصطبة واحدة، وكانت في أحلى واجمل حلّتها، وهي تنظر الى الارض وتصغي بتأمل وهدوء لقصيدة يلقيها عليها زوجها الشاعر الروسي بوشكين، الذي يقف امامها. جلست أنا جنبها بهدوء ايضا كي لا أزعجها وهي تستمع الى زوجها الذي كان يرفع يده اليسرى عاليا وهو يقرأ احدى قصائده لها خصيصا، جلست بهدوء وبدأت أنظر الى بوشكين وأصغي اليه، ولم التفت الى ناتاليا، كي لا يدعوني زوجها بوشكين للمبارزة، مثلما دعى دانتيس، فأنا لا أقدر (ولا اريد) أن ابارز بوشكين وأقتله مثلما فعل دانتيس، ولا أقدر (ولا اريد) ان ابارزه وادعه يقتلني، وهكذا بقيت جالسا على المصطبة في موقعي ومحافظا على الهدوء دون أن أنظر اليها، كي لا أثير ردود فعل زوجها المشهور بالغيرة...

لم يحدث كل ذلك في المنام، كما قد يظن بعض القراء، وانما حدث في مدينة بودغوريتسا، عاصمة جمهورية الجبل الاسود، او (مونتينيغرو) كما يسمّيها الاوربيون، وهي احدى الجمهوريات الصغيرة (سكانها 620 الف نسمة لا غير حسب آخر احصاء للسكان لديهم) التي انبثقت في البلقان بعد انهيار دولة يوغسلافيا الاتحادية كما هو معروف، وقد تم اعلان جمهورية الجبل الاسود في العام 2006 ليس الا، والتي تعدّ في الوقت الحاضر أقرب الجمهوريات روحيّا (مع صربيا) الى روسيا الاتحادية ثقافيا وعقائديا (اذ ان اكثرية سكانها هم من الارثذوكس)، بل انها حتى كانت - في مرحلة من مراحل تاريخها البعيد - جزءا من الامبراطورية الروسية قبل تأسيس الاتحاد السوفيتي بفترة طويلة جدا، وهناك وقائع ووشائج تاريخية كثيرة مشتركة بين روسيا والجبل الاسود، لا يمكن الحديث عنها هنا بتفصيل.

وفي تلك الجمهورية، وفي عاصمتها، شاهدت نصبا طريفا جدا لبوشكين من البرونز، وهو يقف ويرفع يده اليسرى ويقرأ شعرا لزوجته الجالسة امامه على مصطبة، ويأتي المشاهدون ويجلسون جنبها، ويلتقطون الصور التذكارية معها ومع بوشكين، الذي لا ينظر اليهم، ويستمر بالقاء القصيدة لها. وهكذا جلست أنا ايضا جنبها على تلك المصطبة، وحاولت الاستماع معها الى قصيدة بوشكين...

النصب الجميل هذا قدمته حكومة موسكو المحلية هدية الى عاصمة الجبل الاسود - بودغورستا عندما وقّعت المدينتان اتفاقا بينهما، وتم تدشين هذا النصب المدهش والرائع العام 2002، واصبح يمثّل معلما سياحيا وثقافيا متميّزا من معالم تلك المدينة، ويقع في مركزها، وقد تم نصبه بمستوى الشارع تقريبا، بحيث يقدر المشاهد ان يختلط مع بوشكين وزوجته ببساطة، بعد ان يصعد درجتين عن الشارع ليس الا، والنصب يقف على منصة دائرية، ويتكون من تمثال كامل لبوشكين وهو يقف امام مصطبة، حيث تجلس زوجته ناتاليا غانجيروفا، وفوقها يوجد قنديل بنكهة القرن التاسع عشر. والنصب هذا محاط باشجار باسقة وخلفية خضراء تضفي على النصب جمالا خاصا، وامام النصب توجد لوحتان حجريتان، الاولى مكتوب عليها بالروسية، ان هذا التمثال هو هدية من مدينة موسكو الى مدينة بودغوريتسا، ومكتوب على اللوحة الثانية مقطع من قصيدة بوشكين عن سكان الجبل الاسود، ويقول فيها بوشكين، ان نابليون بونابارت سأل مرة من هم هؤلاء، وهل صحيح فعلا انهم لا يخشون قواتنا وقوانا؟ وهي قصيدة تمجّد شجاعة سكان الجبل الاسود. ومن الطريف الاشارة هنا، الى ان جمهور واسع من سكان العاصمة بودغوريتسا (بما فيهم مسؤولون كبار) يجتمعون عند هذا النصب يوم (6) حزيران من كل عام للاحتفال بيوم ميلاد بوشكين، وكذلك للاحتفال باليوم العالمي للغة الروسية، والذي اعلنته الحكومة الروسية رسميا في يوم ميلاد بوشكين بالذات، ولم يأت هذا الاعلان طبعا بشكل عفوي، اذ ان بوشكين - كما هو معروف - يعتبر واضع اسس اللغة الروسية الادبية الحديثة، ويعدّ ابداعه قمة تطور هذه اللغة والنموذج المثالي لها.

تمثال بوشكين وزوجته ناتاليا غانجيروفا في عاصمة جمهورية الجبل الاسود يعدّ واحدا من أجمل تماثيل بوشكين في العالم (انظر مقالتنا بعنوان - تماثيل بوشكين في العالم)، ويؤكد مرة اخرى، ان بوشكين هو رمز روسيا الخالد وممثلها الشعبي امام بلدان العالم كافة.

28- عن سرفانتس وعن بوشكين وعن الجواهري ايضا

كان عنوان هذه المقالة في البداية كما يأتي - تمثال سرفانتس في موسكو مقابل تمثال بوشكين في مدريد)، وكان الحديث فيها يدور حول (صفقة ثقافية!) حدثت فعلا بين الاتحاد السوفيتي واسبانيا العام 1980 في مدريد، لكن ربط الحديث في ختام المقالة مع التمثال النصفي للجواهري في روسيا ومع التمثال النصفي لبوشكين في بغداد قد اضطرني الى تبديل العنوان وجعله كما هو الان. ولنبدأ اولا بالحديث عن هذه الصفقة الثقافية). بطلا هذه الصفقة هما السفير السوفيتي في اسبانيا يوري دوبينين ومحافظ مدينة مدريد، اللذان كانا يعرفان بعضهما البعض، ويلتقيان مع بعض بين فترة واخرى. ويذكر السفير السوفيتي في مقابلة صحفية بموسكو، انهما كانا يتحدثان طويلا في تلك اللقاءات حول العلاقات الروسية - الاسبانية، وقررا عقد هذه الصفقة معا، من اجل القيام بعمل محدد ومتميّز (يبقى من بعدهما) لتعزيز هذه العلاقات بين الجانبين السوفيتي والاسباني خارج نطاق السياسة والسياسيين وألآعيبهم ومخاتلاتهم وخلافاتهم الدائمية واستخدام كل شئ من اجل مصالحهم الذاتية وخير مثال على ذلك ما نراه اليوم في العراق ونحن في نهاية العام 2018)، عمل فنيّ كبيروخالد، ويعكس في نفس الوقت علاقات التعاطف والتناسق والانسجام والمحبة والألفة بين الشعبين الروسي والاسباني طوال مسيرة تلك العلاقات التاريخية.

وهكذا اتفق السفير السوفيتي في اسبانيا مع محافظ مدينة مدريد على اقامة تمثال لبوشكين في مدريد وتمثال لسرفانتس في موسكو، واستطاعا فعلا تنفيذ هذه الفكرة الجميلة والمبتكرة بكل معنى الكلمة، وتم تدشين التمثاليين العام 1981، اذ أهدت محافظة موسكو تمثالا من البرونز لبوشكين الى محافظة مدريد، وأهدت محافظة مدريد الى محافظة موسكو بدورها نسخة طبق الاصل من تمثال سرفانتس الموجود في العاصمة الاسبانية منذ القرن التاسع عشر، وتم افتتاح التمثاليين فعلا في العاصمتين

الروسية والاسبانية في احتفاليتين مهيبتين وجميلتين. لقد تم نصب تمثال بوشكين في متنزه فوينتي ديل بيرو بمدريد، وهو متنزه يضم تماثيل اسبانية واجنبية. ويقول السفير دوبينين في تلك المقابلة الصحفية، انهم اختاروا بوشكين لأنه رمز روسيا طبعا، وكذلك لأنه ايضا (زميل لنا، نحن العاملين في وزارة الخارجية، اذ ان بوشكين كان يعمل في وزارة الخارجية ايضا، بل وان هناك اقاويل تشير، الى انه حتى كان مرشحا للعمل في السفارة الروسية بمدريد). وتم نصب تمثال سرفانتيس في متنزه الصداقة بموسكو. لقد تخلل الاحتفاليتين في موسكو ومدريد فعاليّات ادبية وفنية متنوعة طبعا وكلمات ألقاها مسؤولون (روس واسبان) كبار يرتبطون بتنظيم وترتيب هذا الحدث الثقافي المتميز، وكل ذلك ذكّرني بما قمنا نحن به في مركز البحوث العراقية الروسية في جامعة فارونيش الحكومية عندما تم تدشين التمثال النصفي للجواهري العام 2009 بمدينة فارونيش الروسية، اذ تم افتتاح التمثال سوية من قبل السفير العراقي في موسكو ورئيس جامعة فارونيش وسط تصفيق الحاضرين من عراقيين وعرب وروس وأجانب، كان من بينهم اساتذة الجامعة المذكورة وعمداء كلياتها واداراتها وموظفيها، وكان يحيط هؤلاء المشاركين في تلك الاحتفالية لوحات تشكيلية عراقية جميلة ضمها المعرض الخاص الذي اقيم بهذه المناسبة، وكانت هناك منصة خشبية في وسط القاعة الفسيحة تلك، حيث كان يقف هؤلاء الذين ألقوا كلمات تناولت تلك المناسبة الفريدة في تاريخ تلك الجامعة، والفريدة طبعا في مسيرة العلاقات الثقافية بين العراق وروسيا، والفريدة ايضا في تاريخ الادب العراقي، اذ انها المرة الاولى التي تم بها نصب تمثال للجواهري خارج العراق باعتباره رمز العراق، وقد أعلنت في كلمتي التي ألقيتها باعتباري مدير مركز الدراسات العراقية الروسية في تلك الجامعة (وهو صاحب الاقتراح والمبادرة والتنفيذ)، أعلنت ان هذه الخطوة يجب ان تليها خطوة مكملة لها، وهي اقامة تمثال لبوشكين في جامعة بغداد، وان هذا التمثال يجب ان يكون في كليّة اللغات بالذات، حيث يوجد القسم الذي يدرّس لغة بوشكين، اي قسم اللغة الروسية، وقد تم فعلا، بعد سنتين من الجهود،

افتتاح تمثال بوشكين في حدائق كلية اللغات كما خططنا آنذاك (انظر مقالتنا بعنوان - قصة تمثال بوشكين في جامعة بغداد).

تمثال سرفانتيس بموسكو وتمثال بوشكين في مدريد - هي خطوة تمت ضمن علاقات بين سفير دولة بوزن الاتحاد السوفيتي وبين محافظ العاصمة الاسبانية، وساهم في تحقيقها وتنفيذها الجهاز الاداري الضخم لكلا الجانبين، اما تمثال الجواهري في روسيا وتمثال بوشكين في العراق (وهو حدث ثقافي كبير يوازيه في الاهمية) فقد تم بجهود فردية من قبل مركز الدراسات العراقية - الروسية في جامعة فارونيش والجمعية العراقية لخريجي الجامعات السوفيتية والروسية ليس الا، وقد قال لي صاحبي - لهذا، يجب ان تشعر بالفخر، فقلت له - نعم، أنا أشعر بالفخر وألاسى معا.

29- بوشكين وتولستوي

أجرى معهد استطلاع الرأي العام الروسي مرة استبيانا شاملا حول الادباء الروس الاكثر قراءة بين الروس انفسهم داخل روسيا وخارجها في الوقت الحاضر، وقد جاء بوشكين اولا بنسبة 42% داخل روسيا و38% خارجها، وجاء تولستوي ثانيا بنسبة 27% داخل روسيا و35% خارجها، وتم اجراء هذا الاستطلاع في النصف الثاني من العقد الثاني للقرن الحادي والعشرين. لقد تذكرت - عندما اطلعت على نتائج هذا الاستبيان الطريف - جملة لتولستوي قالها عن بوشكين مرة، وهي كما يأتي - (أنا أتعلّم الكثير من بوشكين، انه أبي، ويجب ان اتعلّم منه...)، وقلت بيني وبين نفسي - ياللدهشة ويا للروعة، فالاب بوشكين (عاش 38 سنة، اذ ولد عام 1799 وتوفي عام 1837) والابن تولستوي (عاش 82 سنة، اذ ولد عام 1828 وتوفي عام 1910) يتصدران الادب الروسي لحد الآن بين القراء الروس، ونحن في نهاية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين!!!

موضوعة بوشكين وتولستوي قديمة في تاريخ النقد الادبي الروسي ومسيرته، وقد ابتدأت واقعيا منذ الثلث الاخير من القرن التاسع عشر، ولا زالت مطروحة (ان صحّ هذا التعبير) لحد الان، ومن الطريف ان نشير هنا، الى ان بعض الباحثين الروس قد وجدوا حتى صلة قرابة بين بوشكين وتولستوي وهم يتابعون (أغصان شجرة!) العائلتين وارتباطاتها وتشعباتها، ولكن أحد أصدقائي علّق على هذا الخبر قائلا، انه لا يمتلك اي اهمية في مجال دراسة الادب، وقال وهو يضحك - (انه كلام نسوان)، فأجبته وأنا أبتسم، ان نابليون قال - ابحثوا عن المرأة، وان الروس لحد الان يستخدمون هذه الجملة كواحد من الامثال السائدة في المجتمع الروسي ويلفظوها بالفرنسية كما ذكرها نابليون - (شيرشي لا فام!)، بل ان أحد المعلقين الروس قال، انهما مثل شجرتين تتشابك جذورهما في الاعماق، ولكن ثمارهما مختلفين. وهناك باحث آخر كتب مقالة يعرض فيها رأيه حولهما، وطرح موضوعا جديدا، وهو كما يأتي - لو ان بوشكين كتب رواية (الحرب والسلم) مثلا، فماذا كان سيكتب عن هجوم نابليون على روسيا العام 1812... الخ... ولكن كل هذه الامثلة الطريفة لا تعني، ان النقد الادبي

الروسي لم يطرح بشكل علمي ودقيق موضوعة بوشكين وتولستوي كواحدة من أبرز قضايا الادب المقارن في اطار الادب القومي الواحد، وهي القضية الاصعب مقارنة بقضايا الادب المقارن بين الآداب القومية المختلفة، ونضرب مثلا على ذلك ما تم كتابته في النقد الادبي الروسي حول حكايات بوشكين وتولستوي. ان دراسة هذه الحكايات الشعبية عند الكاتبين ومقارنتهما مع بعض تشكّل فصلا مهما جدا في مجال الدراسات الفلكلورية الروسية والعالمية ايضا، ويمكن كذلك القول - وبكل تأكيد - ان مقارنة تلك الحكايات عند بوشكين وتولستوي مع مضامين الحكايات العربية، وخصوصا مع الف ليلة وليلة يعدّ موضوعا حيويا كبيرا بالنسبة للدراسات المقارنة بين الادبين الروسي والعربي، وهو موضوع طريف جدا لا زال ينتظر الباحث العربي الشجاع في مجال الادب الروسي - العربي المقارن.

ويشير بعض الباحثين الروس، الى ان تولستوي هو الاقرب بين كبار الادباء الروس في القرن التاسع عشر الى بوشكين، مقارنة بليرمنتوف وغوغول وتورغينيف ودستويفسكي مثلا، ويرون، ان نتاجات تولستوي تتوافق وتنسجم في نهاية المطاف مع تلك الافكار التي طرحها وتحدث عنها بوشكين في نتاجاته، ويجدون - رغم التناقض والتنافر الخارجي - هارمونية داخلية بين يفغيني اونيغين مثلا عند بوشكين وابطال الحرب والسلم او آنّا كارينينا عند تولستوي، او بين الصور الفنية للقوقاز عند بوشكين وتولستوي، فكلاهما انطلقا من النظرة الروسية البحتة للقوقاز، مؤكدين على القيم الانسانية والمشاعر النبيلة...

ختاما لهذه الملاحظات الاولية حول بوشكين وتولستوي نشير الى مقارنة طريفة جاءت عند أحد الباحثين الروس حولهما، ونحن نتفق معها، وملخص تلك المقارنة يعتمد على الصورة الفنية للشمس، اذ يرى الباحث، ان بوشكين يجسّد شروق شمس الادب الروسي وكل الاحاسيس الساطعة والمتفائلة المرتبطة بهذا الشروق وطبيعته، اما تولستوي فانه يجسّد غروب شمس ذلك الادب، الغروب بكل الوانه الساحرة والمتنوعة والمدهشة الجمال. شروق الشمس رائع، لانه بداية سطوع الضياء، وغروب الشمس رائع ايضا، لانه جميل ومدهش، ولكنه - مع ذلك - بداية انحسار الضياء.

30- هل (شبعنا!) من بوشكين فعلا؟

من ضمن التعليقات المتنوعة والمختلفة جدا وردود الفعل على مقالاتي حول الادب الروسي (والتي انشرها منذ سنوات عديدة كما هو معروف)، استلمت تعليقا (طريفا!) جدا من أحد القراء المتابعين على ما يبدو بدقة لمقالاتي فعلا، ويقول هذا القارئ في تعليقه ما يأتي - (لقد شبعنا من بوشكين في مقالاتك!)، ويشير الى انه أحصى هذه المقالات عن بوشكين ووجد انها حوالي الثلاثين مقالة، وذكر بعضها مثلا، وقال ان بوشكين قد ورد ذكره ايضا في مقالات اخرى عن الادب الروسي وذكر امثلة ايضا، وخلص الى تذكيري باستنتاجه هذا، وهو انه (شبع!) من بوشكين، وقد كان هذا القارئ مؤدبا ودبلوماسيا جدا، اذ انه لم يقل لي (بعد تعليقه ذاك) ان اتوقف عن الكتابة عن بوشكين بشكل مباشر وحاسم، وانه آن الاوآن لي ان أجد موضوعا آخر للكتابة غير بوشكين.

اولا، اريد ان اشكر هذا القارئ الصريح على هذه الارقام والاحصائيات الدقيقة حول مقالاتي، والتي لم اكن منتبها لها فعلا، وثانيا، أود أن أذكره، باني لازلت في بداية الطريق ليس الا بالنسبة لبوشكين (شمس الشعر الروسي)، اذ انني احلم واخطط وأدعو الى اعداد مجموعة نقاط مهمة باللغة العربية عن بوشكين، واول هذه النقاط هي اعداد الببلوغرافيا العربية حول بوشكين، وهي خطوة ضرورية جدا للانتقال من مرحلة التناول العشوائي لبوشكين باللغة العربية (كل حسب اجتهاده وامكانياته) الى الخطوة الثانية، وهي التي تتناول بوشكين بشكل علمي وموضوعي وشامل، وتقديمه للقارئ العربي كما يجب، وصولا الى اصدار المؤلفات المختارة (ولا أقول الكاملة) لبوشكين بالعربية، وهذا ما حدث في اللغات الاوربية مثل الانكليزية والفرنسية والالمانية منذ عشرات السنين والى الوقت الحاضر. ان اعداد الببلوغرافيا العربية حول بوشكين تقتضي تأليف لجان متخصصة تشمل البلدان العربية الرئيسية مثل مصر وسوريا ولبنان والعراق وتونس وغيرها من بلداننا العربية، وتحت اشراف اكاديمي دقيق وصارم، لانجاز هذه المهمة العلمية الكبيرة،

ويمكن للتقدم العلمي التقني في عصرنا تحقيق هذه المهمة عن بعد، ولا ضرورة للاجتماعات الدورية المباشرة بين العاملين على انجاز هذه الببلوغرافيا لتبادل المعلومات والتنسيق بينهم حول العمل كما كان الحال سابقا. ان انجاز هذه الببلوغرافيا يعني، ان المتخصصين العرب في ادب بوشكين وابداعه سيعرفون بالضبط ما الذي تم انجازه في هذا المجال، وبالتالي يمكن ان يحددوا ما الذي يجب عليهم انجازه لاحقا، من اجل اتمام وتكملة معرفة العرب بابداع بوشكين، وهكذا، ستبدأ الخطوات اللاحقة الصحيحة والبعيدة عن التخبط او التكرار او الاجتهاد الذاتي البحت، وستكون الاعمال العلمية اللاحقة ذات تخطيط وتمتلك هدفا محددا ومعينا في هذا المجال، وعندها، يمكن ان نقول، اننا بدأنا ب (التهام!) بوشكين، وبعد هذا ال (الالتهام)، ربما سيصل البعض منّا الى حالة (الشبع!)، التي وصل اليها ذلك القارئ، الذي كتب اليّ، انه (شبع!) من بوشكين قبل ان يبدأ اصلا ب (تناول الطعام!).

دعونا نطلع اولا على المجلات العربية كافة وطوال اكثر من قرن ونيّف من الزمان، ونجردها ونلتقط منها ما كتبت عن بوشكين، وهناك الكثير من المواد الدسمة عنه.

ودعونا نطلع على الجرائد العربية في تلك الفترة ايضا، كي نرى، ما الذي نشرته (صحف ابراهيم وموسى) عن هذا الاديب الروسي المتميّز ونأخذه بنظر الاعتبار.

ودعونا نسجل عناوين الكتب التي كتبها الادباء العرب عنه، والكتب التي نشرها الباحثون والمترجمون العرب عنه، ودعونا نطلع حتى على مسوّدات هؤلاء الادباء والباحثين الذين قدموا لنا كتاباتهم عن بوشكين منذ نهاية القرن التاسع عشر وعبر القرن العشرين وصولا الى عصرنا الحالي.

ودعونا نبحث عن هؤلاء الذين كانوا يحيطون بهم ونسألهم، لماذا اختار سامي الدروبي مثلا في خمسينات القرن العشرين ترجمة (ابنة الضابط) لبوشكين قبل ترجمته لدستويفسكي، ولماذا اختار نجاتي صدقي بوشكين

ليكتب عنه كتابه الرائد الموسوم (بوشكين امير شعراء روسيا) في الاربعينات قبل ان يكتب عن تشيخوف، الاقرب اليه تاريخيا، اذ ان نجاتي صدقي وصل الى روسيا ودرس فيها بعد عشرين سنة فقط من وفاة تشيخوف ليس الا.

ودعونا نقوم بكل ذلك قبل ان نبحث عن بوشكين بالعربية في (غوغل)، واؤكد على كلمة (قبل)، وعندها يمكن لنا ان نقارن ونرى الحقيقة الجميلة والساطعة.

لنعمل سوية من اجل تحقيق خطوات علمية في دراسة الادآب الاجنبية، اذ ان ذلك ضروري لنا جميعا.

31- بوشكين وغوغول

بوشكين بالنسبة لغوغول مثل الاستاذ بالنسبة لطالبه، رغم ان الفرق في الاعمار بينهما ليس كبيرا نسبيا، فقد ولد بوشكين عام 1799 بينما ولد غوغول عام 1809. لقد كان غوغول (يلتهم! ان صحّ هذا التعبير) كل ما يصدر عن بوشكين من نتاجات، وكان يعتبره المثل والنموذج الاعلى، وعندما وصل غوغول من اوكرانيا الى بطرسبورغ، وكان ذلك عام 1829، استفسر رأسا عن عنوان شقة بوشكين وتوجه الى هناك دون اي موعد مسبق، وطرق الباب (بعد تردد كبير)، وسأل عن بوشكين، الا ان الخادم الذي فتح له الباب قال له، ان بوشكين لازال نائما، فسأله غوغول (انطلاقا من الصورة الفنية الخاصة جدا التي رسمها غوغول لبوشكين في اعماق روحه وكيانه) - لأنه كان طوال الليل يكتب القصائد؟ فأجابه الخادم - لا، لقد كانوا طوال الليل يلعبون الورق، وقد اصيب غوغول بصدمة من جواب الخادم هذا، لانه كان يتصور بوشكين محاطا دائما باجواء الالهام والابداع الادبي البحت.

اللقاء الاول بين غوغول وبوشكين في بطرسبورغ تم فقط في صيف عام 1831، وذلك في بيت الشاعر والناقد الادبي بليتنيف، وكان غوغول قد أصدر كتابه المتميّز الشهير- (امسيات عند قرية ديكانكا)، الذي اطلع عليه بوشكين طبعا وكتب عنه تقريظا ممتازا واعتبره كتابا مرحا مدهشا، بل ان بوشكين وجد فيه حتى (مقاطع شعرية)، وقد ساعد هذا التقريظ طبعا على التعارف آنذاك ومن ثم التقارب بينهما.

لقد ساند بوشكين - وبقوة وحماس - غوغول، وحاول وبكل طاقته على ان يشغل غوغول مكانة متميّزة في الاوساط الادبية والثقافية، وفتح له مجال النشر في مجلته (المعاصر)، ونشر غوغول فيها فعلا عدة نتاجات من ابداعه، مثل قصته الطويلة المشهورة (الانف)، و(العربة) وغيرها، ونشر هناك ايضا مقالته النقدية بعنوان (عن حركة ادب المجلات في 1834 و1835)، والتي تعدّ لحد الان واحدة من المقالات النقدية المهمة في تراث غوغول. ومن المعروف، ان بوشكين هو الذي أعطى لغوغول

فكرة مسرحيته الشهيرة (المفتش العام)، وكذلك أعطاه فكرة روايته (الارواح الميتة)، وهما طبعا النتاجان الاساسيان والرئيسان في مسيرة غوغول الابداعية، وقد كتب غوغول نفسه عن ذلك بكل صراحة ودقة، وحاول بوشكين ايضا ان يجد مكانا لغوغول للعمل في التدريس بجامعة بطرسبورغ (في قسم التاريخ)، ومن المعروف، ان غوغول ألقى محاضرة (حضرها بوشكين وبعض الشخصيات الفكرية الروسية الاخرى ومن بينهم الشاعر والمترجم الكبير جوكوفسكي) في جامعة بطرسبورغ بعنوان (المأمون) عن الخليفة العباسي (لا زالت لحد الان صورة غوغول معلقة في جامعة بطرسبورغ ضمن صور الاساتذة فيها، وقد شاهدتها انا شخصيا عندما زرت تلك الجامعة عام 2006 مع رئيس جامعة بغداد آنذاك أ.د. موسى الموسوي).

ومحاضرة غوغول عن المأمون معروفة ومنشورة ضمن كتبه ومؤلفاته الكاملة ومترجمة الى العديد من اللغات، وقد ترجمها الزميل كامران قره داغي الى العربية في بغداد بالسبعينات بشكل رائع ونشرها آنذاك، وتناولها الكثير من الباحثين العرب في بحوثهم وترجماتهم عند الكلام عن الموضوعة العربية في الادب الروسي بشكل عام، ولا مجال للتوسع في هذا الموضوع هنا.

سافر غوغول من روسيا بعد عرض مسرحية (المفتش العام) عام 1836 (والتي حضرها قيصر روسيا بنفسه) والضجة الهائلة التي ارتبطت بذلك العرض، وسمع بخبر مقتل بوشكين في مبارزته الشهيرة مع دانتيس الفرنسي وهو في اوربا، وتأثر جدا، بل انه قال (حسب ذكريات احد اصدقائه) انه تأثر عند سماعه بموت بوشكين أكثر مما لو سمع بموت والدته، التي تعد أعز انسان لديه. ولم يستطع غوغول - بسبب الحزن - حتى ان يستمر بالعمل في كتابة روايته (الارواح الميتة) لفترة من الزمن. وكتب غوغول بعد مقتل بوشكين يقول - (...لم أعمل اي شئ دون نصيحته، ولم اكتب دون ان اتصور انه امامي...).

نود ان نشير هنا الى مقالة غوغول الموسومة (بضع كلمات عن بوشكين)، والتي حدد فيها غوغول مكانة بوشكين الحقيقية في تاريخ الادب الروسي، وأطلق عليه تسمية - (شاعر روسيا الوطني الاعظم) لاول مرة في التاريخ الروسي، ومدى تأثير ذلك على مجمل حركة النقد الادبي في روسيا (انظر مقالتنا بعنوان - بعض كلمات غوغول عن بوشكين).

ختاما لهذا العرض عن العلاقات الفكرية المتبادلة بين قطبين من أقطاب الادب الروسي والعالمي ايضا، من الطريف ان نذكر، ان السينما الروسية المعاصرة انتجت فيلما سينمائيا وثائقيا (44 دقيقة) عام 2009 بعنوان - (كيف اصبح بوشكين وغوغول أقرباء)، حيث تزوج ابن اخت غوغول حفيدة بوشكين، ابنة الابن الاكبر لبوشكين، وتم زواجهما عام 1881 في ضواحي موسكو، وهكذا ظهر لهم ابناء يوحدون غوغول وبوشكين، وقد حاز هذا الفيلم على جائزة (الادب والسينما) عام 2010 في روسيا.

32- دستويفسكي وبوشكين

آخر عمل ابداعي قام به دستويفسكي في حياته هو القاء خطابه عن بوشكين، عندما شارك في حفل تدشين تمثال بوشكين بموسكو في حزيران / يونيو 1880 (انظر مقالتنا بعنوان - حول خطاب دستويفسكي عن بوشكين)، ولهذا يسمّي نقاد الادب هذا الخطاب ب (وصيّة) دستويفسكي قبل رحيله الابدي، اذ حدد دستويفسكي في ذلك الخطاب كل مفاهيمه عن الادب ودوره في المجتمع، وعن قيمة بوشكين واهميته لروسيا وشعبها وتاريخ ادبها من وجهة نظره، وليس من باب الصدفة ابدا، ان هتف بعض الشباب الذين كانوا يحيطون به في تلك الاحتفالية ويستمعون اليه وهو يلقي خطابه ذاك قائلين - (ان دستويفسكي نبيّ!)، وهو التعبير المتحمس والمتطرف عند الشباب في الكثير من بقاع العالم.

الا ان الوقائع في حياة دستويفسكي لا تشير الى انه كان يستشهد بنتاجات بوشكين او افكاره ومكانته اثناء مسيرته الابداعية او رسائله الى الآخرين، كما نرى ذلك بوضوح وصراحة عند بعض الادباء الروس الكبار مثل غوغول او تورغينيف او تولستوي...الخ، رغم ان دستويفسكي قد تقبّل خبر مقتل بوشكين في مبارزته الشهيرة برعب وحزن شديدين، وكان عمره آنذاك 16 سنة ليس الا، وتشير بعض المصادر الروسية، الى انه اراد حتى ان يعلن الحداد مع اخوته نتيجة هذا الحدث التراجيدي بالنسبة لهم، وعندما انتقلت عائلة دستويفسكي بعد فترة قصيرة من موسكو الى بطرسبورغ للعيش هناك، فانه كان يتحدث ويرغب فعلا بزيارة تلك الغرفة، التي فارق فيها بوشكين الحياة في تلك المدينة.

ومع ذلك كله، فان موضوعة (دستويفسكي وبوشكين) لازالت تعدّ ولحد الان واحدة من الموضوعات المثيرة والمهمة امام الباحثين في مجال تاريخ الادب الروسي من الروس ومن غير الروس ايضا، اذ لم يسبق لأحد قبل دستويفسكي ان (اكتشف!) مكانة بوشكين وقيمته واهميته في تاريخ الادب الروسي، ولم تتكرر ظاهرة (الاكتشاف) هذه بعد دستويفسكي ايضا في مسيرة الادب الروسي، وفي هذه النقطة بالذات تكمن اهمية هذه الموضوعة

وطرافتها، اذ نجح دستويفسكي بتقريب بوشكين (ان صحّ هذا التعبير) نحو الاتجاهات الفكرية، التي يؤمن بها دستويفسكي نفسه، بما فيها حتى محاولة اثبات ان بوشكين أقرب للنزعة السلافية من النزعة الغربية، حيث كان الصراع وطيسا في الفكر الروسي آنذاك بين النزعتين (وكان دستويفسكي طبعا الى جانب النزعة السلافية). ومن الطريف ان نذكر هنا ما قاله غوركي مرة حول دستويفسكي وبوشكين، اذ أشار غوركي، الى ان دستويفسكي يجسّد (العبقرية الروسية المريضة) أما بوشكين فانه (عبقريتنا السليمة)، وكلمات غوركي تلخّص - بدقّة واضحة جدا - كل الموقف الفكري السوفيتي تجاه موضوعة (دستويفسكي وبوشكين)، وهو الموقف الذي استمر طوال كل الفترة السوفيتية كما هو معروف. هذا، وقد كتب أحد المعلقين حول قول غوركي ما يأتي - نعم، دستويفسكي عبقرية روسيّة مريضة، ولكنه كان يحب بوشكين بصدق واخلاص، لهذا استطاع ان يثبت ما اكتشفه في نتاجات بوشكين بانه مفكّر روسي أصيل وكبير، وانه يجسّد الفكرة الروسية والنموذج الاخلاقي للشعب الروسي كما حددت تلك (العبقرية الروسية المريضة).

ان افكار دستويفسكي حول بوشكين (والتي جاءت في خطابه المذكور) هي الخلاصة النهائية لكل تأملاته حول الادب الروسي والشعب الروسي والفلسفة التي يجب - من وجهة نظره - ان تنطلق وتسود في الحياة الفكرية الروسية (وحقق دستويفسكي كل ذلك ارتباطا ببوشكين واستنادا اليه)، وعلى الرغم من انه انطلق من بعض الافكار التي جاءت عن بوشكين عند بعض الادباء والنقاد الروس قبله مثل بيلينسكي وغوغول (خصوصا عند غوغول، الذي يستشهد في بداية خطابه بكلماته عن بوشكين وكما يأتي - بوشكين هو ظاهرة استثنائية، ومن الممكن ايضا الوحيدة للروح الروسية، واضيف أنا من عندي - تنبؤية)، الا ان دستويفسكي استطاع في خطابه ذاك بلورة افكار جديدة ومتكاملة عن بوشكين، وان يقول كلمة جديدة بكل معنى الكلمة لم يسبقه أحد في اعلانها، ولهذا يشير الباحثون الى ان دستويفسكي (اكتشف) بوشكين، وقد أشار الاديب الروسي أكساكوف بعد ان أنهى دستويفسكي كلمته تلك الى ذلك قائلا، ان هذه الكلمة قد حددت - وبحسم - المكانة الحقيقية لبوشكين في التاريخ الروسي.

ختاما اريد ان اتوقف هنا - وبايجاز - عند موقف شخصي طريف حدث معي مرة حول علاقة دستويفسكي وبوشكين، وذلك في الايام الاولى بعد وصولي الى جامعة باريس لاكمال دراستي العليا هناك في النصف الثاني من ستينات القرن الماضي، اذ كنت واقفا في ممر القسم الروسي مع مجموعة من الطلبة الفرنسيين، وكانت هناك مدرّسة سوفيتية تقف معهم ايضا، وقد سألها أحد الطلبة السؤال الآتي - من هو الكاتب الروسي الذي كتب رواية بالرسائل؟ فقالت انها لا تعرف، وان ذلك يقتضي البحث في المصادر الروسية، ثم توجهت اليّ قائلة - هل يمكن لك ان تساهم معنا في الحديث هذا، فقلت لها مبتسما - عندما كنّا ندرس في روسيا، فاننا كنّا نوصي بعضنا ان نجيب عن اي سؤال لا نعرف الاجابة عنه بدقة، انه على الاغلب بوشكين، ولكني اود هنا ان اقول بدقة، ان دستويفسكي قد كتب رواية بالرسائل، وهي روايته القصيرة (المساكين)، ولكن هناك في مسودات بوشكين توجد ورقة تحمل عنوان - رواية في رسائل، اي ان بوشكين فعلا خطط لذلك، ولكنه لم يحقق خطته. فسألني الطالب الفرنسي - وهل كان دستويفسكي يعرف بذلك ولهذا كتب روايته تلك؟ فقلت له مبتسما - استخدم نفس جملة المدرّسة السوفيتية - لا اعرف، وان ذلك يقتضي البحث في المصادر الروسية.

33- بوشكين وغريبويديف

عاش الكساندر سرغييفيتش غريبويديف 34 سنة (1795 - 1829)، وعاش الكساندر سرغييفيتش بوشكين 38 سنة (1799 - 1837) (كلاهما - ويالللغرابة - بنفس الاسم واسم الاب!!!)، اي ان غريبويديف كان اكبر من بوشكين اربع سنوات فقط عندما كانا على قيد الحياة، وليست هذه الفترة كبيرة بين الاثنين، رغم انها انعكست في بداية مسيرة حياتهما بشكل واضح المعالم، اذ لم يشارك بوشكين في الحرب الفرنسية - الروسية (عندما هجم نابليون على روسيا عام 1812)، فقد كان عمر بوشكين آنذاك 13 سنة ليس الاّ، اما غريبويديف فقد تطوع للمشاركة في الحرب، ولكن كلاهما ذهبا بعدئذ للعمل في وزارة الخارجية الروسية. اصبح غريبويديف سفيرا لروسيا في طهران وهناك قتله المتطرفون الاسلاميون عام 1829 (انظر مقالتنا بعنوان - تمثال غريبويديف في طهران اولا، ثم في موسكو ثانيا)، اما بوشكين فلم يكن ياخذ بنظر الاعتبار عمله في الخارجية، لكنه اصبح مع ذلك (سفيرا في روسيا وفي العالم!) للادب الروسي كما كتب أحد الباحثين الروس وهو يحاول المقارنة بينهما، وتم قتل بوشكين ايضا في مبارزة مع اللاجئ دانتيس عام 1837. اتهمتهما الحكومة الروسية بعد حركة الديسمبريين 1825 بالانتماء الى تلك الحركة، وحقّقت معهما (جرى حتى استدعاء غريبويديف واحتجازه رهن التحقيق لفترة طويلة)، ولكن لم تثبت الحكومة اي شئ ضدهما، وألغت بعدئذ كل الاجراءآت ضدهما بالنسبة لهذه القضية.

لاحظ الباحثون، ان بطل مسرحية غريبويديف الشعرية (ذو العقل يشقى، وهي النتاج المركزي له) كان بعمر بوشكين، وان بطل رواية بوشكين الشعرية (يفغيني اونيغين، وهي النتاج المركزي له ايضا) كان بعمر غريبويديف، ومن المؤكد ان ذلك جاء بمحض الصدفة ليس الا، الا ان ذلك - مع هذا - اصبح موضوعا للتأمل لدى الباحثين الروس الذين يدرسون موضوع المقارنة بين الاديبين وفي كل المجالات المتنوعة وبالتفصيل، اذ أشار بعضهم، الى ان بوشكين اراد ان يكون بطله في روايته الشعرية تلك

(انضج منه، اي من بوشكين نفسه)، وان غريبويديف اراد ان يكون بطله في مسرحيته الشعرية (اصغر منه، اي من غريبويديف نفسه). لكن كل نقاط التشابه والتباين في هذه الدراسات الادبية المقارنة (وما أكثرها طبعا) بين الاثنين لم تؤثر على المحصلة الاخيرة والنهائية، والتي جعلت الباحثين الروس يسمون غريبويديف (موليير روسيا)، ويسمون بوشكين (شكسبير روسيا)، وهناك دراسات واسعة وعميقة بالروسية حول دور غريبويديف ودور بوشكين في تاريخ المسرح الروسي ومسيرته وتطوره.

لقد كانت العلاقات بين غريبويديف وبوشكين علاقة الند للند، بل ان غريبويدف كان يبدو بعض الاحيان حتى أكثر سطوعا من بوشكين بموقعه المتميّز (والذي كان يتقدّم في ذلك الموقع الوظيفي بوضوح) في وزارة الخارجية الروسية، ومعرفته للعديد من اللغات (منها لغتنا العربية قليلا، انظر مقالتنا بعنوان غريبويديف والمتنبي)، رغم ان بوشكين أصبح طبعا في تلك الفترة واحدا من أكبر الاسماء وابرزها في دنيا الادب الروسي شعرا ونثرا ومسرحا وصحافة. ومع كل هذا، فان بوشكين وغريبويديف لم يصبحا صديقين قريبين، رغم انهما كانا يعرفان بعضهما البعض والتقيا عدة مرات معا، ولكن عندما قتلوا غريبويديف في طهران، فان بوشكين كان من ضمن المستقبلين لجثمانه في القوقاز، وقد كتب بوشكين عن ذلك في كتابه (رحلة الى ارضروم) (الذي ترجمه الزميل عبد الله حبه عن الروسية قبل فترة وجيزة وصدر عن دار المدى في بغداد)، وتحدّث بوشكين في ذلك الكتاب عن تاريخ تعارفه بغريبويديف وطبيعة علاقاته معه.

النقطة الاساسية في موضوعة بوشكين وغريبويدف، والتي يركز عليها الباحثون الروس عندما يتناولونها في بحوثهم (وهم على حق)، هي الآراء التي طرحها بوشكين حول مسرحية غريبويدف (ذو العقل يشقى)، هذه الآراء التنبؤية بكل معنى الكلمة، والتي توقع بوشكين فيها ان تتحول الكثير من مقاطع تلك المسرحية الى حكم وامثال روسيّة، وهذا ماتم فعلا. آراء بوشكين حول مسرحية غريبويديف جاءت في عدة رسائل شخصية كتبها بوشكين لاصدقائه ومنهم بيستوجيف وفيازمسكي في اواسط العشرينات من

القرن التاسع عشر، وقد دخلت هذه الرسائل باعتبارها وثائق في مؤلفات بوشكين الكاملة، وكذلك تم نشرها في كتاب بعنوان - (بوشكين عن الادب)، وهو كتاب يضم كل المقالات والملاحظات التي كتبها بوشكين حول الادب والادباء.

موضوعة بوشكين وغريبويديف لازالت مطروحة وحيوية في تاريخ الادب الروسي وفي مسيرة دراسات الادب المقارن (في اطار الادب الروسي نفسه)، ولكن هذه الموضوعة بعيدة عن قضايا الادب الروسي في العالم العربي، اذ لا يعرف القارئ العربي لحد الان النتاج المركزي لغريبويديف - (ذو العقل يشقى)، وبالتالي لا يعرف طبعا اهمية هذا الكاتب وقيمته في مسيرة الادب الروسي كما يجب، اذ لم يتجاسر اي مترجم عربي على ترجمة تلك المسرحية الشعرية لحد الان حسب علمنا المتواضع. دعونا نأمل ان نرى هذه المسرحية الشعرية بالعربية يوما ما...

34- كيف احتفلت روسيا هذا العام بميلاد بوشكين

اكتب هذه السطور في اليوم السادس من حزيران / يونيو عام 2019، والذي تحتفل فيه روسيا بميلاد بوشكين، والذي وحّدت معه يوم اللغة الروسية ايضا، لأن بوشكين واللغة الروسية الادبية المعاصرة صنوان. ولد بوشكين في هذا اليوم قبل 220 سنة، وعندما ذهبت اليوم لشراء الصحف الروسية كالعادة، شاهدت صور بوشكين على الصفحات الاولى وهي معلقة على واجهات الاكشاك. ها هي صحيفة (ليتيراتورنايا غازيتا) وعليها بورتريت بوشكين بشعره المجعّد، او (المكعكل!) كما نقول بلهجتنا العراقية الحلوة، والمانشيت الكبير فوق تلك اللوحة الجميلة هو - (نطير مع بوشكين)، وهي جملة غريبة جدا وغير مفهومة للقارئ بتاتا، ولكن الجملة الاصغر تحتها توضحها، اذ نقرأ ما يأتي - (الان مطار شيرميتوفو الموسكوفي يحمل اسم الكلاسيكي الروسي)، اي ان روسيا قررت في عيد ميلاد بوشكين ان تطلق اسمه على واحد من اكبر مطارات العاصمة الروسية، وهكذا تتوضح جملة المانشيت، اذ ستقلع مئات الطائرات الان من (مطار بوشكين) وستهبط مئات الطائرات في (مطار بوشكين)...، وذلك بعد ان وقّع الرئيس الروسي الامر الاداري الخاص باطلاق تلك التسمية نتيجة لفوز اسم بوشكين في مسابقة (الاسماء العظيمة لروسيا) في التصويت الشعبي الواسع حول تلك الاسماء التي كانت مرشحة لتسمية ذلك المطار الدولي الكبير، وارتباطا بهذه الذكرى يفتتح تمثال لبوشكين في المطار وهو يقف بحجمه الطبيعي يلقي القصائد ويمسك بيده كتابا مفتوحا، والتمثال من ابداع النحات الروسي المعاصر بورغانوف، والذي سبق له ان عمل التمثال الشهير لبوشكين وزوجته في موسكو، وكذلك تمثال بوشكين في واشنطن. يتضمن هذا العدد من صحيفة (ليتراتورنايا غازيتا) ايضا مقالتين تشغل كل واحدة منهما صفحة كاملة، الاولى بعنوان - (الشاعر)، وهي مقاطع من مقالة منشورة في نفس تلك الصحيفة عام 1937، اي عندما احتفلت روسيا السوفيتية بالذكرى المئوية لميلاد بوشكين، وتستعرض المقالة بعض نتاجات بوشكين باسلوب شاعري رقراق، وتقول مثلا عن الحكايات الشعبية له -

(...انها حلمه عن مستقبل الانسانية، حيث البحر يجب ان يكون أزرقا، والاسماك والطيور يجب ان يكونوا من ذهب، وخدود الفتيات يجب ان تكون متوردة...). اما المقالة الثانية فقد كتبها باحث من القوقاز حول ملحمة شعرية عن حوادث وشخوص من تلك المناطق الجبلية بدأ بوشكين بكتابتها عام 1829، ولكنه لم يكملها، ووجدوها ضمن مسوداته الكثيرة، والتي يقول عنها هذا الباحث، انها ذات اهمية رغم ان بوشكين لم يكملها، لانها لازالت تمتلك ارتباطها بواقع القوقاز لحد الان، ولا مجال هنا للتوسع في الكلام عن ذلك اكثر.

اما صحيفة (ليتيراتورنايا راسيّا) فقد نشرت على صفحتها الاولى ايضا لوحة جميلة لبوشكين على خلفية منظر للريف الروسي النموذجي بسعته واشجاره وانهاره، وتحت تلك اللوحة مانشيت كبير يقول - (لقد حكى لروسيا عن روسيا)، وهذا هوعنوان مقالة تشغل حوالي صفحة ونصف من العدد المذكور في تلك الصحيفة، وتتناول موقف بوشكين الفكري العميق من قضية كانت ولازالت ملتهبة - ان جاز التعبير - في روسيا، وتكمن في تحديد موقع روسيا في العالم ومسيرتها اللاحقة، وهل هي اوربية بحتة، ويجب عليها الالتحاق بالركب الاوربي، ام انها تمتلك خصائصها القومية المحددة، والتي تقتضي التركيز على تلك الخصائص وتطوير مسيرتها الخاصة بها، وهي مسألة شطرت الفكر الروسي على مدى اكثر من قرنين من الزمان بين مؤيد للنزعة الاوربية الغربية وآخر يؤيد النزعة السلافية، والمقالة تؤكد طبعا، ان بوشكين كان أقرب (واؤكد على كلمة أقرب هذه) الى افكار النزعة السلافية الخاصة بروسيا، لان بوشكين كان يعبّر عن الروح الروسيّة حسب بيت الشعر البوشكيني الشهير،و الذي ذهب مثلا -

الروح الروسية هناك...

وعبق الروسيا هناك...

ختاما لهذه الملاحظات السريعة عن احتفالات روسيا بميلاد بوشكين، اود ان اشير - ليس الا - الى البرامج الحافلة والمتنوعة في قنوات التلفزيون الروسية العديدة حول بوشكين من علاقته الصعبة والمعقدة مع السلطة (بما

فيهم القيصر الروسي وزوجته)، والى عشقه للنساء من حوله ومغامراته معهنّ، والتي انعكست طبعا في قصائده، والى مبارزته مع دانتيس ومقتله، والى احفاده واحفادهم، والى قصائده المغناة، والى طبعات مؤلفاته المختلفة، والى ترجمات نتاجاته، والى آراء الناس البسطاء حول شعره، والى الافلام السينمائية التي انتجتها روسيا، المقتبسة من نتاجاته الادبية، والى والى والى...

بوشكين في روسيا اكثر من شاعر، انه ظاهرة فذّة في تاريخ الفكر والادب الروسي، وقد تحوّل اسمه الى رمز خالد من رموز روسيا، وبوشكين هو الذي يوحّد الروس جميعا، بغض النظر عن اختلافاتهم وتناقضاتهم...

35- مایاکوفسکي وبوشکین

لم یعترف مایاکوفسکي بالاسماء الکبرى في تاریخ الادب الروسي في بدایة طریقه الادبي، مثل بقیة الادباء الذین کانوا ینتمون الى تیّار أدبي وفني برز في بدایة القرن العشرین بروسیا وهو - (الفوتوریزم)، اي (المستقبلیة)، ولا مجال هنا طبعا للحدیث عن هذا التیّار ومکانته في مسیرة الادب والفن في روسیا. کان مایاکوفسکي متحمسا جدا لتلك الآراء، ومتطرفا کالعادة في مواقفه الحادة، ولهذا فقد رفض حتى بوشکین، انطلاقا من ضرورة التخلص من الماضي، والارتباط مع الحاضر فقط، والانطلاق منه نحو المستقبل. لقد دعى مایاکوفسکي في تلك الفترة المبکرة من مسیرته الابداعیة الى (...اسقاط بوشکین من منصة العصر الحدیث وخلعه والاطاحة به...)، وهذه الکلمات موثّقة ومنشورة في المصادر الروسیة عن مایاکوفسکي وعن تیّار المستقبلیة وأنصارها عموما. وأذکر ان أحد أصدقائي من الطلبة الروس، الذي کان یدرس معي في جامعة موسکو في الستینیات، والذي کان معجبا جدا بمایاکوفسکي، قال لنا مرة، انه قرأ حول تلك الفترة من مسیرة مایاکوفسکي ما معناه، ان مایاکوفسکي کان یرغب ان یقود بوشکین الى جدار ویوقفه عند ذلك الجدار ویعدمه رمیا بالرصاص، ولازلت أتذکر الاشمئزاز والامتعاض والاستهجان الذي ساد عند جمیع الطلبة من الذین کانوا یستمعون الى ذلك الحدیث آنذاك، وقد علّق أحد المستمعین عندها قائلا - طبعا اراد مایاکوفسکي ان یعدم بوشکین لانه کان یرغب ان یخلق اوزانا موسیقیّة جدیدة ومبتکرة من قبله في مسیرة الشعر الروسي، ولکن بوشکین العظیم کان له بالمرصاد، ولم یسمح له بتاتا بذلك، رغم ان بوشکین عاش ومات قبل مایاکوفسکي بقرن کامل من الزمن. وفي تاریخ الادب الروسي توجد حادثة طریفة (سبق لي ان تحدثت عنها تفصیلا في احدى مقالاتي القدیمة ببغداد السبعینات حول مایاکوفسکي)، واعید ملخّصها الان، وهي ان لینین حضر في احدى مؤتمرات الشباب السوفیتي مرة، وسألهم - (هل تقرأون شعر بوشکین؟)، فأجابوه - کلا، نحن لا نقرأ شعر البرجوازي بوشکین، وانما نقرأ شعر البروليتاري مایاکوفسکي، فاجابهم لینین

مبتسما بجملته الشهيرة والواضحة وضوح الشمس كما يقول تعبيرنا العربي الجميل، اذ قال - لكن شعر بوشكين أفضل.

موقف مایاكوفسكي من بوشكين بدأ بالتغيّر تدريجيا، اذ انه صرّح برغبته (الاطاحة!) ببوشكين في عام 1912 (ولد مایاكوفسكي العام 1893)، ومن الواضح تماما، ان مثل هذه (الاقوال!) يطلقها عادة الشباب الغض المتطرف في كل زمان ومكان (قالها عن بوشكين ايضا بازاروف - بطل رواية تورغينيف الآباء والبنون). ان الآراء الفكرية والمواقف المرتبطة بها، مثل كل البشر، تنضج وتتطور وتتغيّر بمرور الايام والشهور والاعوام، وهذا ماحدث طبعا مع مایاكوفسكي، الذي كتب العام 1924، اي بعد 12 سنة من أقواله المتطرفة تلك، كتب قصيدة طويلة جدا وجميلة ومكتوبة طبعا باسلوب مایاكوفسكي وبعنوان - (اليوبيلية)، وهي مكرسّة للذكرى (125) لميلاد بوشكين، وتوجد اشارة في المصادر الروسية الى ان مایاكوفسكي كتب هذه القصيدة وكان الشاعر ماندلشتام يقرأ له رواية بوشكين الشعرية - (يفغيني اونيغين)، رغم ان مایاكوفسكي - كما تشير تلك المصادر نفسها - كان يعرفها عن ظهر قلب تقريبا.

لم يصل مایاكوفسكي طبعا الى قصيدته عن بوشكين تلك رأسا، اذ ان آراء المستقبليين وغيرهم من الشباب المتطرف حول (الاطاحة!) بالتراث الادبي الروسي (بما فيهم تولستوي ودستويفسكي ايضا) اصطدمت واقعيا بموقف الناس الطبيعي والسليم دائما من ذلك التراث العظيم، بل ان موقف لوناتشارسكي، وزير التعليم والثقافة السوفيتي الاول (انظر مقالتنا بعنوان - لوناتشارسكي الفيلسوف والاديب والوزير) من ذلك التراث كان مضادا كليا لتلك الآراء المتطرفة تجاه رفض التراث، وقد بدأ موقف مایاكوفسكي من بوشكين يتغيّر، اذ أعلن انه ضد تحويل بوشكين الى تمثال، اي الى مفهوم (الصنم!) ان صح التعبير، وانما هو (اي مایاكوفسكي) مع التفاعل الحيوي والحياتي بشعر بوشكين، وقد كتب مایاكوفسكي في قصيدته الجميلة تلك كل ما اراد ان يقوله عن بوشكين -

أنا الوحيد / الذي يأسف / لانك لست حيّا /..... احبك / لكن حيّا / وليس مومياء.....

36- تورغينيف وبوشكين

تورغينيف كان المسؤول الاول لتدشين تمثال بوشكين في موسكو العام 1880، التمثال الذي لازال يعدّ النصب الاول لبوشكين في روسيا لحد الان، ولازال يقف شامخا في ساحة بوشكين في مركز موسكو (انظر مقالتنا بعنوان - تماثيل بوشكين في موسكو). لقد ألقى تورغينيف خطابا حول بوشكين اثناء الاحتفال بتدشين ذلك التمثال لا يقل اهمية في تاريخ الادب الروسي عن خطاب دستويفسكي في تلك المناسبة (انظر مقالتنا بعنوان - خطاب دستويفسكي عن بوشكين)، ولازالت المصادر الروسية عن بوشكين تستشهد ببعض المقاطع من هذا الخطاب التاريخي لتورغينيف.

يرى بعض الباحثين، ان عمل تورغينيف ونشاطه الكبير في تنظيم تمثال بوشكين يعدّ رمزا فريدا في تاريخ الادب الروسي، اذ ان تورغينيف توفي عام 1883، اي ان تمثال بوشكين هو آخر عمل كبير قام به، والرمزية في ذلك تكمن، في انه اختتم حياته بعمل يرتبط باسم بوشكين وتخليده بهذه الصورة. والحديث عن رمزية تخليد بوشكين من قبل تورغينيف يرتبط بقصة طريفة جدا (لا يعرفها القارئ العربي على ما نظن ولم يسمع بها بتاتا)، وتدور حول خاتم كان بيد بوشكين عندما توفى، وقد نزعه من يده في تلك اللحظة الشاعر الروسي جوكوفسكي (الذي كان يقف مع مجموعة من أقرب اصدقاء بوشكين حوله وهو يموت) ووضعه في اصبعه، وبقي هذا الخاتم في اصبع جوكوفسكي الى لحظة وفاته، وبعد وفاة جوكوفسكي قرر ابنه ان يهديه الى تورغينيف (لا نعرف لماذا، ولكن على الاغلب ان ذلك كان بتوصية من أبيه، وذلك لان تورغينيف كان آنذاك واحدا من الادباء الروس الكبار)، وقد وضع تورغينيف خاتم بوشكين في اصبعه عندما استلمه من ابن جوكوفسكي، وبعدئذ، اوصى تورغينيف ان يمنحوه بعد وفاته الى تولستوي (...باعتباره أعلى من يمثّل الادب الروسي... وليقرر تولستوي نفسه لمن يمنحه عندما تحلّ نهايته...). عندما توفي تورغينيف في فرنسا، قدّمت بولينا فياردو (حبيبته الفرنسية، والمشهورة

قصة حبهما الغريبة!) الخاتم المذكور الى المتحف التابع لمدرسة (الليتسيه)، التي درس فيها بوشكين، وقد تم - مع الاسف الشديد - سرقة الخاتم المذكور عام 1917، عندما حدثت ثورة اكتوبر. وهكذا ضاع خاتم بوشكين، ولم تتحقق وصية تورغينف بشأن ذلك الخاتم. لهذا نعود ونقول، ان تمثال بوشكين (الذي كان تورغينيف على رأس لجنة تنظيمه) هو الشاهد الوحيد الآن، الذي لازال قائما على الارض الروسيّة ويؤكد على حب تورغينيف لبوشكين وارتباطه الروحي والفكري به.

قصة الدور الكبير الذي لعبه تورغينيف باقامة تمثال بوشكين في موسكو، وقصة الخاتم الذي كان في يد بوشكين ثم انتقل الى يد تورغينيف، هي في الواقع احداث (خارجية) ان صح التعبير، وبالتالي، فانها لا تمتلك ارتباطا بصلب الموضوع الاساسي حول تورغينيف وبوشكين، اذ ان جوهر الموضوع يكمن بالطبع في الحديث عن جوانب انعكاس ابداع بوشكين في مسيرة ابداع تورغينيف، والجواب عن سؤال كبير وهو - هل توجد ملامح بوشكينية او (أنفاس بوشكين!) في نتاجات تورغينيف، وهل يمكن القول ان تورغينيف هو استمرار لخط بوشكين الابداعي في مسيرة الادب الروسي؟ وكيف يمكن اثبات ذلك؟ وتلك هي القضية كما يقولون. يتذكر الباحثون الروس قول غانجيروف عن بوشكين عندما يتناولون موضوع تورغينيف وبوشكين، اذ قال غانجيروف - (...ان بوشكين هو الأب بالنسبة للفن الروسي، مثل لامانوسوف، الذي هو الأب بالنسبة للعلم في روسيا...)، ويتذكرون ما كتبه تورغينيف الى ابنة بوشكين، عندما اختارته لاعداد رسائل والدها الى والدتها، اذ وافق تورغينيف على تنفيذ تلك المهمة بكل سرور وفخر، وكتب اليها يقول، انه يعتبر نفسه (...منذ نعومة أظفاره تلميذا عند والدها... وانه لازال يعتبر نفسه هكذا لحد الان...).

تناول النقد الادبي الروسي منذ القرن التاسع عشر موضوعة تورغينيف وبوشكين، وكتب حتى بيلينسكي (الذي توفي العام 1848) حول نتاجات تورغينيف المبكرة جدا قائلا - (...يجد الكثيرون فيها... محاكاة

بوشكين...)، ومن الطريف ان نذكر هنا، ان الباحثة الروسية المعاصرة دوبينينا قد ناقشت اطروحة دكتوراه فلسفة العام 2011 في جامعة موسكو التربوية بعنوان - (التقاليد البوشكينية في ابداع تورغينيف 1840 - بداية 1850)، وما بين بيلينسكي في النصف الاول من القرن التاسع عشر الى دوبينينا في العقد الاول من القرن الحادي والعشرين توجد عشرات من الكتب والدراسات والبحوث والمقالات والملاحظات، التي تتناول موضوعة تورغينيف وبوشكين، ونختتم مقالتنا بجملة (كنموذج لذلك) وردت في خطاب دستويفسكي التاريخي عن بوشكين، عندما قال عن تتيانا لارينا (بطلة رواية بوشكين الشعرية يفغيني اونيغين)، انها رمز لشخصية المرأة الروسية لم يتكرر بعد بوشكين في مسيرة الادب الروسي عدا ليزا في رواية عش النبلاء لتورغينيف...

37- سينيافسكي وكتابه: نزهة مع بوشكين

(نزهة مع بوشكين) - هو عنوان كتاب صدر في باريس العام 1989 من تأليف الكاتب الروسي المعاصر اندريه دوناتوفيتش سينيافسكي (1925 - 1997). وسينيافسكي اسم شبه مجهول تقريبا للقارئ العربي، ولكنه يكاد ان يكون علما من اعلام الكتّاب الروس في الغرب الاوربي، بعد ان تم اعتقاله مع زميله دانييل في الاتحاد السوفيتي في ستينيات القرن الماضي، وجرت محاكمتهما (المدويّة آنذاك) بسبب كتابات مضادة للايديولوجيا السوفيتية وتوجّهاتها، ارسلوها الى الغرب بشكل سريّ، وتم نشرها هناك باسماء مستعارة بالطبع، وكان الاسم المستعار لسينيافسكي هو ابرام تيرتس (وهو اسم يهودي واضح جدا بالنسبة للروس)، ولكن سينيافسكي كان روسيّا، اي انه حاول ان يتخفى (تحت اسم يهودي مستعار) عن عيون الرقابة السوفيتية الشديدة جدا والصارمة جدا (والتي كان سينيافسكي يعرفها حق المعرفة!)، ولكنه لم يستطع طبعا، اذ ان هذه الرقابة - كما هو معروف للجميع، ولسينيافسكي ايضا وبلا شك - كانت تمتلك عيونا وآذانا عديدة في كل مكان داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه.

سينيافسكي خريج كليّة الفيلولوجيا (اللغات وآدابها) بجامعة موسكو العام 1949، وحاصل على شهادة الكانديدات (دكتوراه فلسفة) في العلوم الفيلولوجية من نفس الكليّة والجامعة العام 1952، وكانت اطروحته بعنوان - (رواية غوركي (كليم سامغين) وتاريخ الفكر الروسي الاجتماعي نهاية القرن 19 وبداية القرن 20)، وهي اطروحة سوفيتية النكهة والمضمون والروح بامتياز، وبعد تخرجه بدأ العمل في معهد الادب العالمي باكاديمية العلوم السوفيتية (وهو الذي كتب الفصل الخاص بغوركي في كتاب الاكاديمية الموسوم (تاريخ الادب الروسي السوفيتي)، واصبح ايضا محاضرا في كلية الصحافة بجامعة موسكو، وعضوا في هيئة تحرير مجلة (نوفي مير) (العالم الجديد) الشهرية، وهي واحدة من أشهر المجلات الادبية السوفيتية آنذاك (ولازالت لحد الان)، والتي كانت هيئة تحريرها برئاسة الشاعر تفاردوفسكي. وباختصار شديد، اصبح

سينيافسكي اسما مرموقا في الاوساط الادبية السوفيتية في النصف الثاني من الخمسينيات فصاعدا باعتباره ناقدا ادبيا وباحثا في مجال الادب الروسي السوفيتي (ويوجد رأي يقول، ان الكتاب الاول الذي اصدرته سفيتلانا ابنة ستالين بعد هروبها من الاتحاد السوفيتي العام 1966 بعنوان - (عشرون رسالة الى صديق) هو سينيافسكي، وعلى الرغم من ان هذا الرأي بقي دون اثبات، الا انه مهم فعلا). ولكن سينيافسكي لم ينشر نتاجاته الابداعية داخل الاتحاد السوفيتي، وتم اعتقاله عام 1965 بتهمة الدعاية المضادة للاتحاد السوفيتي، وحكموه عام 1966 بالسجن لمدة سبع سنوات، ولكن تم اطلاق سراحه عام 1971 (بأمر من اندروبوف رئيس جهاز المخابرات السوفيتية آنذاك، والذي اصبح عام 1984 رئيسا للدولة والحزب بعد وفاة بريجنيف)، فدعته رأسا جامعة السوربون للعمل استاذا للادب الروسي لديها، وهكذا سافرمع عائلته الى هناك، وعاش في باريس وتوفي فيها عام 1997. كان سينيافسكي نجما بارزا في عالم الادب والفكر الروسي واوساطه في باريس آنذاك، بعد اعتقاله ومحاكمته في الاتحاد السوفيتي وكل هذه الاحداث المرتبطة بمسيرته، ونشر في باريس العديد من الدراسات والكتب، ومن جملتها كتابه الموسوم (نزهة مع بوشكين)، والذي نريد ان نتوقف عنده قليلا لتعريف القارئ العربي به.

يقع الكتاب في (201) صفحة من القطع المتوسط، وهو كتاب يرسم صورة بوشكين بشكل مغاير عن تلك الصورة السائدة في مسيرة النقد الادبي الروسي، وقد رسمها سينيافسكي مستندا على معلومات عميقة حول نتاجات بوشكين ومستشهدا بمقاطع دقيقة ومحددة من تلك النتاجات، اضافة الى دراسة تفاصيل شبه منسية من سيرته الحياتية. أثار هذا الكتاب رأسا ردود فعل مختلفة ومتباينة بشكل حاد ولدرجة التناقض بين القراء، ولا زالت هذه الآراء المتنوعة سائدة حول الكتاب لحد الان، وقد اطلعت على رأي كتبه أحد الباحثين الروس عام 2019 يقول ما معناه، ان الموقف تجاه بوشكين كان (شبه مقدّس)، وان كتاب سينيافسكي (نزهة مع بوشكين) قد ساعدنا على التحرر من هذه النظرة غير الموضوعية للامور. اما الرأى الآخر، المضاد لهذا الكتاب، والذي أسماه باحث بانه (المحاكمة

الثانية لسينيافسكي)، مشيرا، الى ان المحاكمة الاولى جرت في موسكو السوفيتية عام 1966 بسبب موقفه تجاه الايديولوجية السوفيتية، اما المحاكمة الثانية فانها بسبب موقفه من بوشكين.

سينيافسكي وكتابه (نزهة مع بوشكين) يستحق النظرة الموضوعية العميقة والهادئة، اذ ان ذلك كله جزء لا يتجزأ من تاريخ الادب الروسي المعاصر، هذا الادب الذي لايزال غير واضح المعالم بالنسبة للقارئ العربي...

38- بوشكين وليرمنتوف وغوغول وبيلينسكي في ندوة تلفزيونية

(الى روح المرحوم الاستاذ خالص عزمي، صاحب الفكرة في ستينيات القرن العشرين، عندما قدّم الرصافي وصحبه في تلفزيون بغداد)...

ض. ن.

غوغول - عندما وصلت الى بطرسبورغ بحثت عن عنوانك يا بوشكين ووجدته، وذهبت رأسا اليك دون موعد مسبق، وعندما طرقت الباب خرج شخص، وقلت له اني اريد ان اقابل بوشكين، فاجابني ان سيده لا زال نائما، اندهشت انا وسألته - هل كان بوشكين ساهرا الليل كله لكتابة القصائد؟ فقال لي - كلا، كانوا يلعبون الورق.

بوشكين (مقهقها) **-** لقد اخبرني بذلك، وسألته من هو؟ فقال لي انه شاب غريب الاطوار ذو انف مقوّس وشعر طويل يكاد يصل الى كتفيه.

غوغول - اصبت بخيبة أمل، ولم اكرر الزيارة ابدا.

ليرمنتوف - ومع ذلك انت محظوظ يا غوغول، لانك تعرفت اخيرا الى بوشكين واصبحت صديقا له، اما انا فقد كنت صغيرا ولم استطع ان أنال هذا الشرف.

بوشكين - ولكنك استخدمت قصتي في المبارزة مع دانتيس للحصول على الشهرة.

ليرمنتوف - لم استخدم قصة مبارزتك للحصول على الشهرة، ولكن موتك صعقني، وعبّرت عن تلك الحالة النفسية بقصيدة (موت الشاعر)، وصدقني بانه لم يخطر ببالي ان ابحث عن الشهرة والمجد ابدا يا بوشكين.

غوغول - لا يوجد أديب لا يبحث عن الشهرة والمجد.

بوشكين - انا لم ابحث عن المجد، (يصمت، ثم يضيف) ولكن المجد جاء اليّ بنفسه.

ليرمنتوف - وانا كذلك.

غوغول - مسكين انت يا بوشكين ومسكين انت يا ليرمنتوف، لأن هذا يعني انكما لم تستمتعا بلذة المجد مثلما استمتعت به انا عندما طرق المجد بابي بعد كفاح رهيب ومرير وطويل.

بيلينسكي (مقاطعا غوغول) - ولكنك أضعته يا غوغول عندما أحرقت الجزء الثاني من روايتك الخالدة (الارواح الميتة)، وعندما نشرت كتابك (مختارات من مراسلات مع الاصدقاء) وقد كتبت لك رسالة حول ذلك.

غوغول (ممتعضا) - هذا رأيك الشخصي يا بيلينسكي ليس الا، وهناك الكثيرون الذين لا يؤيدون ذلك ولا يتفقون معك بتاتا.

بيلينسكي (باستهزاء) - انا لا اعترف بهم.

غوغول (بغضب) - واظن انهم ايضا لا يعترفون بك.

بوشكين - لا تتخاصما، فالتاريخ هو الذي سيحكم وهو الذي سيقول كلمته الحاسمة والاخيرة بشأن هذه القضية.

ليرمنتوف (مندهشا وهو ينظر الى بوشكين) - من هو التاريخ هذا؟

بوشكين (متأملا) - انه ذاك الذي يجلس معنا دائما ويتابعنا، بل ويراقبنا، ويعلن نتائج مراقبته ومتابعته امام الجميع بعد فترات زمنية، قد تقصر او تطول.

غوغول (مؤيدا) - نعم نعم، وقد رأيته عدة مرات في منامي، رغم اني لا انام في الليالي طويلا.

بيلينسكي (مقهقها) - بلُّغه تحياتي يا غوغول عندما تراه في منامك في المرّة القادمة.

غوغول (بحدّة) - سابلغه بسلامك حتما، ولكن ماذا ساقول له اذا سألني من هو بيلينسكي؟

بوشكين (معاتبا غوغول) - لا تتسرع في الاحكام. (بعد لحظات صمت) واذا سألك التاريخ يا غوغول من هو بيلينسكي فقل له انه ذاك الذي كتب عن بوشكين احدى عشرة مقالة نقدية مطولة.

غوغول - (مشيرا الى بيلينسكي) لقد استلهم تلك المقالات من روحية مقالتي (بعض كلمات عن بوشكين) وفحواها، والتي نشرتها في بطرسبورغ عام 1835.

بوشكين - قرأ الكثيرون مقالتك تلك عنِّي، ولكن بيلينسكي الوحيد بينهم الذي استطاع ان يكتب احدى عشرة مقالة، أليس ذلك مدهشا ورائعا؟

غوغول (باستسلام) - صحيح، (بعد لحظات صمت) سأذهب الى الكنيسة للصلاة.

ليرمنتوف - أما انا فساذهب للمشاركة با لمبارزة، والا سيعتقدون باني بدأت اتردد او اني قد جبنت.

بوشكين - (متوجها الى ليرمنتوف) هل تريد ان تكرر مأساة موتي يا عزيزي ليرمنتوف؟

ليرمنتوف - لا اريد تكرار مأساة موتك يا بوشكين ولكني غارق في الحزن والسأم والكآبة.

بوشكين (ينظر الى غوغول) - هل تتذكر عندما قرأت لي مقاطع من روايتك (الارواح الميتة) التي اعطيتك مضمونها؟

غوغول - نعم اتذكر.

بوشكين - وهل تتذكر ماذا قلت لك انا في حينها؟

غوغول - لا أتذكر.

بيلينسكي (مقاطعا) - انا اتذكر، لقد قلت يا بوشكين جملة تشير الى حزن بلادنا روسيا، حزننا الدائم، وقلت عن روسيا بالذات تعبيرا خالدا بقي صحيحا الى حد الآن وهو - (يالها من حزينة!).

ليرمنتوف - (وهو يخرج متمتما) اشعر بالسأم وبالحزن، وليس من أحد أمد له يدي...

39- بوشكين واللغة الروسية

الآداب - شكل من أشكال الفن، وكل شكل من هذه الأشكال يمتلك بالطبع أداة التعبيرالخاصة به، وعلى هذا الأساس، تعد الألوان أداة تعبير الفنون التشكيلية، والأصوات اداة تعبير الموسيقى، والأحجار والخشب والمرمر...الخ أدوات تعبير النحت... الى آخره، أما الآداب فان أداة تعبيرها هي - الكلمة، واللغة المحددة بالتالي باعتبارها مجموع تلك الكلمات المحددة، ولهذا يمكن للفنون التشكيلية والموسيقية والنحت...الخ ان تكون عالمية وقومية في آن واحد حتى عند ولادتها لأن وسائل تعبيرها مفهومة للجميع بغض النظر عن قومية هذا او ذاك من المتلقين لها من البشر.

اما الآداب فإنها ظاهرة قومية بحتة بالضرورة، لأنها ترتبط بأداتها التعبيرية، وهي اللغة القومية لكل شعب، ويمكن بالطبع ان تصبح الآداب القومية ظاهرة عالمية في الفن - مثل بقية الأشكال الأخرى للفن - عندما تتحول الى آداب عالمية، اي عندما تعبر - وبشكل فني رفيع ورائع - عن معاناة الانسان في كل مكان وأحاسيسه وهمومه المشتركة في مسيرة الحياة الإنسانية عموما، وعندما تتم ترجمتها طبعا الى لغات اخرى بمستوى فني رفيع، ولكنها تبقى قبل كل شيء آخر- ظاهرة قومية لارتباطها باللغة القومية لذلك الشعب. وعند معظم الشعوب يوجد اسم أديب او عدة أسماء من الأدباء تمثِّل نموذجية تلك اللغة القومية، وتتجسد مفرداتها وخصائصها في مجمل نتاجاتهم في تاريخ تلك الأمة ولغتها، والكساندر سرغيفيتش بوشكين (1799 - 1837) - هو النموذج الأول بالنسبة للشعب الروسي واللغة الروسية بلا أدنى شك، وليس من باب الصدفة بتاتا ان الدولة الروسية قد حددت يوم السادس من حزيران / يونيو من كل عام يوما عالميا للغة الروسية (يتم فيه الاحتفال الشامل والكبير والإشادة باللغة الروسية داخل روسيا وخارجها) لأنه يوم ميلاد أديبها الكبير بوشكين، وقد حدث ذلك عندما زار الرئيس الروسي - في حينها - دميتري ميدفيديف معهد بوشكين للغة الروسية في موسكو وتحدث مع كبار الاختصاصيين في اللغة الروسية وآدابها حول ذلك، ومن نافل القول الإشارة هنا الى ان هذا الصرح العلمي المشهور على المستوى العالمي وهو - المعهد المركزي لدراسة اللغة الروسية في

العاصمة الروسية موسكو يحمل اسم الشاعر والأديب الروسي الكبير بوشكين نفسه.

لقد أصدرت أكاديمية العلوم السوفيتية في حينها بموسكو في أعوام (1956 - 1960) الطبعة الاولى من كتاب بعنوان - (قاموس لغة بوشكين) ويقع بأربعة أجزاء وبإشراف مباشر من قبل الاكاديمي السوفيتي المعروف فينوغرادوف، والذي يعد واحدا من أكبر المتخصصين في اللغة الروسية، وهو قاموس فريد من نوعه يضم المفردات الروسية التي استخدمها بوشكين في نتاجاته الأدبية المتنوعة في الشعر والنثر، وقد ضم اكثر من 21 الف مفردة روسية، وفي عام 1982 صدر ملحق إضافي لذلك القاموس ضُم 1642 مفردة جديدة اخرى، وتم إصدار الطبعة الثانية لقاموس لغة بوشكين عام 2000 من قبل أكاديمية العلوم الروسية ايضا (اي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في عام 1991) وبالذات بعد الاحتفالات المهيبة التي أقامتها روسيا الاتحادية بالذكرى المئوية الثانية لميلاد بوشكين عام 1999، وهذا مؤشٌر يمتلك دلالة فكرية كبيرة ومهمة جدا في هذا الشأن طبعا، اذ انه يعني - فيما يعنيه - ان الموقف تجاه بوشكين مستمر بنفس ذلك الاتجاه رغم التغيير الجذري الذي حدث في روسيا ومسيرتها، اي باعتبار بوشكين رمزا لروسيا ولغتها. وعلى الرغم من وجود قواميس مشابهة لهذا القاموس بالنسبة لبعض الأدباء الروس الكبار الآخرين، إلا أن عدد تلك المفردات في قاموس لغة بوشكين اكثر واعلى من كل تلك القواميس الاخرى للأدباء الروس، ومن جملة الأشياء التي وقفنا تجاهها مندهشين - عندما كنا طلبة في الجامعات الروسية السوفيتية آنذاك قبل خمسين سنة ونيّف من الآن - ما ذكره لنا في حينها أحد أساتذتنا الروس قائلا، ان عدد المفردات التي استخدمها بوشكين (الذي عاش 38 سنة ليس الا وتقع مؤلفاته الكاملة في احسن الأحوال في حدود عشرين مجلدا لا غير) هي اكثر من عدد المفردات التي استخدمها تولستوي (الذي عاش 82 سنة وبلغ عدد مؤلفاته الكاملة 90 مجلدا)، ولا يرتبط هذا الموضوع بتولستوي فقط، بل بكل الأدباء الروس بشكل عام، ويمكن القول ان الروس - ولحد الآن - عندما يختلفون حول مفردة- ما يحاولون ان يستشهدوا بشعر بوشكين لإثبات صحة آرائهم في اللغة الروسية، وعندها يحسمون تلك الاختلافات اللغوية حول اللغة الروسية، وقد كنت شاهدا على عدة حوادث حول

ذلك، وأريد الإشارة هنا الى ان المصادر الروسية كافة تؤكد دائما ان بوشكين هو من وضع الأساس للغة الروسية المعاصرة اليوم، وانه يجسّد مرحلة جديدة فعلا في مسيرة اللغة الروسية وتاريخها، اذ انه حررها من الأسلوب الجامد القديم وتزمّته المقيت ومنحها حيوية اللغة التي يتكلم بها الشعب الروسي في حياته اليومية الاعتيادية، ومن الطريف ان نشير هنا الى ان هذا الواقع متفق عليه من قبل الروس جميعا رغم الاختلافات الفكرية الكبيرة - وحتى الجذرية - بين مختلف المدارس الايديولوجية الروسية كما هو معروف، وحتى لينين أشار - في احدى مقالاته - الى ضرورة دراسة اللغة الروسية المعاصرة من (بوشكين الى غوركي)، اي معتبرا ان بوشكين هو بداية اللغة الروسية المعاصرة، وذلك موجود ومثبت في المصادر السوفيتية التي درسناها آنذاك في حينها، اما ستالين، الذي اصدر في حينه كتيبا بعنوان - (الماركسية وقضايا علم اللغة)، والمترجم الى اللغة العربية، والذي ذكرته كل المصادر السوفيتية طبعا في حينها وأشادت به ومجدته واعتبرته مصدرا أساسيا في علم اللغة أثناء تلك الفترة الستالينية المعروفة والمشهورة جدا في التاريخ الروسي الحديث (وانعكس ذلك حتى في المصادر العربية حول الماركسية - اللينينية في حينها طبعا)، أشار ايضا الى ان روسيا دمرت النظام الإقطاعي والنظام الرأسمالي وأخذت تبني النظام الاشتراكي، إلا أن اللغة الروسية المعاصرة التي تناولت كل هذه الجوانب المتعددة والمختلفة في مسيرة تلك اللغة وعبّرت عنها لا تتميز او تختلف كثيرا عن اللغة الروسية التي كتب بها بوشكين شعره ونثره، وقد استخدمت مرة، في بغداد، جوهر هذه الفكرة وروحيتها، وقلت في احدى مقالاتي دفاعا عن اللغة الروسية بالعراق في تلك المرحلة (والتي كانت السلطات العراقية في تسعينيات القرن الماضي تنظر اليها على انها لغة شيوعية ليس الا) الى عدم وجود لغة تحمل صفة ايديولوجية ابدا، وان هذا مفهوم خاطئ وساذج وسقيم، وان تسمية اللغة الروسية بانها - (لغة لينين) لا يعني ابدا ان تلك اللغة ليست - في نفس الوقت - (لغة بوشكين) وعشرات، بل والمئات من الأدباء والعلماء والمفكرين الروس الآخرين.

40- ذكرى ميلاد بوشكين في مترو موسكو

احتفلت روسيا بتاريخ 2021/6/6 بيوم اللغة الروسية، والذي وحدّته بالذات مع يوم ميلاد بوشكين، باعتبار اللغة الروسية وبوشكينها (وجهان لعملة واحدة!). وبعد ايام من ذلك التاريخ دخلت انا الى مترو موسكو، فوجدت امرأة (في مرحلة ما بعد التقاعد!) تقف عند المدخل وتوزع مجانا جريدة، وكان المارة يمرون مسرعين من قربها ولا يأخذون منها تلك الجريدة، فاقتربت انا منها، وطلبت منها نسخة، فاعطتني الجريدة وهي تبتسم راضية، فشكرتها، وحاولت ان القى نظرة على الجريدة امامها، كي لا تشعر باني قمت بذلك تعاطفا واشفاقا، فوجدت ان اسم الجريدة (مترو)، وعلى صفحتها الاولى لوحة ملوّنة جميلة وغير اعتيادية تماما لبوشكين، ومكتوب تحتها بخط بارز - (عملنا من بوشكين بطلا لزماننا)، وتعبير (بطل زماننا) هو عنوان رواية ليرمنتوف، العنوان الجميل، الذي ترجمه سامي الدروبي بشكل اجمل، وهو - (بطل من هذا الزمان)، وتذكرت أنا آنذاك المثل العالمي الشهير حول اصطياد عصفورين بحجر واحد، فالعصفور الاول - ابتسامة الرضا من تلك المرأة التي كانت توزع الجريدة، والعصفور الثاني لوحة بوشكين المدهشة تلك، وهكذا اسرعت بالذهاب، بعد او وضعت (العصفور الثاني!) في حقيبتي، كي أتأمّله عند وصولي الى البيت بامعان ودقّة، واحاول ان أجد في تلك اللوحة السمات الجمالية بشكل تفصيلي.

بدأت في البيت بالاطلاع على جريدة (مترو) ذات العشرين صفحة من الحجم الصغير، ووجدتها منوعة ورشيقة جدا، ومن الواضح انها تعتمد على واردات الاعلانات، وتوقفت طبعا عند الصفحة السادسة، التي نشرت خمس لوحات اخرى عن بوشكين بريشة الفنانة الروسية المعاصرة انجيلا جيريخ، التي نظرت الى بوشكين بعيون الواقع الروسي المعاصر، حيث كتبت تقول - (...ما الذي كان سيفعله بوشكين لوكان يعيش الان بيننا في روسيا؟) واجابت عن هذا السؤال بنفسها قائلة - (...كان سيذهب الى المستشفى ويقف في الطابور، وسيذهب الى المخزن للتسوق، والتنزه مع اصحابه...)،

وهكذا رسمت انجيلا لوحاتها عن بوشكين في مستشفى روسي بحت وهو يرتدي الكمامة المضادة لكورونا ويقف عند الجدار بانتظار دوره للدخول الى غرفة الطبيب، او، وهو يخرج من المخزن ويحمل في كلتا يديه الاكياس المليئة بالطعام، او، متنزها في الغابة الروسية بين اشجار البتولا ذات الساق الابيض والاسود، او، وهو يدخن خلسة عند تمثاله، اما اللوحة المنشورة على الصفحة الاولى، فنراه يقف عند شباك شقة روسية نموذجية جدا وشعره مشعّث وهو ينظر بحزن الى جهة اليسار. لوحات انجيلا مرسومة باسلوب يذكّرنا برسومات الاطفال التي غالبا ما نراها في المعارض الفنية. انها لوحات ذات واقعية مباشرة بغض النظر عن تناسق عناصرها، وتحمل كل سمات الفن التشكيلي البدائي (الفطري) وقواعده المتنافرة جدا ومبالغاته الملوّنة الرائعة الجمال وانطلاقات الخيال التي لا تخضع لمنطق الاشياء، وتتناسب تلك اللوحات طبعا مع رشاقة الصحيفة فعلا، وتعكس - بلا شك - المزاج الروسي العام تجاه شاعرهم بوشكين، الذي يتقبله الروس باعتباره رفيقا دائميا - بالسراء والضراء - في مسيرة حياتهم اليومية، بما فيها من مرح وحزن.

تمتعت جدا وانا اتأمّل هذه اللوحات البوشكينة، وتذكرت طبعا، موقع بوشكين (الثانوي!) في حياتنا الثقافية العربية، وتذكرت ايضا، كيف دردشنا مرة في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد عن ذلك، بعد ان اطلعنا على حوار مع عبد الوهاب البياتي في احدى الدوريات، والذي قال البياتي فيه ما معناه، ان بوشكين عند الروس مثل المتنبي عند العرب. كان النقاش اولا، هل كان البياتي يعرف ابداع بوشكين فعلا؟ ووصلنا الى قناعة، ان البياتي لم يكن يعرف ذلك، رغم انه عاش في موسكو عدة سنوات (ولا مجال للحديث هنا عن هذا الواقع المؤلم)، وتناقشنا ثانيا، هل ان اهمية بوشكين عند الروس هي فعلا مثل اهمية المتنبي عند العرب؟ ووصلنا الى قناعة تقول، انهما يختلفان من حيث الاهمية لشعبيهما، فنحن العرب نبحث عند المتنبي عن الحكمة الانسانية الخالدة، اما الروس، فانهم لا يبحثون عند بوشكين عن الحكمة، وانما عن لغتهم الروسية المعاصرة، اذ ان بوشكين (الذي عاش 38 سنة فقط) هو احد الذين صاغوا هذه اللغة، التي يتحدث بها

الروس اليوم، ويكفي الاشارة هنا الى ان (قاموس لغة بوشكين) يتضمن مفردات روسية اكثر بكثير من المفردات التي يضمها (قاموس لغة تولستوي)، صاحب الرقم الاول في عدد مؤلفاته، اذ ان مؤلفات تولستوي الكاملة تبلغ التسعين، علما ان تولستوي عاش اكثر من سبعين سنة بعد وفاة بوشكين، وليس من باب الصدفة ابدا، ان روسيا اعلنت يوم اللغة الروسية في عيد ميلاد بوشكين بالذات كما أشرنا في بداية هذه المقالة.

تحية من القلب الى بوشكين، استاذ السهل الممتنع العميق، والذي تحتفل بلاده بمرور 222 سنة على ميلاده، وشكرا جزيلا للفنانة التشكيلية انجيلا جيريخ، التي أتحفتنا بلوحاتها المدهشة الجمال عن بوشكين وهو يقف بيننا، وشكرا لجريدة (مترو)، التي احتفلت باسلوبها المتميّز بعيد ميلاد بوشكين، والتي أشارت، الى ان بوشكين سيكون سعيدا بهذه اللوحات المرحة والضاحكة، لان بوشكين نفسه كان يعشق المرح والضحك.

41- بوشكين داخل روسيا وخارجها... ملاحظات

هذا موضوع واسع ومتشعّب جدا، لهذا اضفنا الى عنوان المقالة - ملاحظات، اذ لايمكن لمقالة واحدة - او حتى عدة مقالات - ان تحيط بكل ابعاده ولا حتى بالنقاط الاساسية حوله، فبوشكين (الذي توفي عام 1837) لا زال ولحد الان (ونحن في نهاية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين) الاديب رقم واحد - وبلا منافس- في مسيرة الادب الروسي وتاريخه داخل روسيا، ولم يستطع اي اديب روسي آخر ان (ينافسه!) (ان صح هذا التعبير الخشن جدا) في موقعه هذا، او (بتعبير أرق وأدق) ان يحل محله في قلوب الشعب الروسي، ولكن بوشكين لم يشغل هذا الموقع خارج روسيا ابدا لا من قريب ولا من بعيد، بل ان هناك ادباء روس، مثل دستويفسكي وتولستوي، يعتبرونهم (خارج روسيا) اكبر من بوشكين واكثر اهمية وشهرة منه، ويشكّل كل ذلك ظاهرة غريبة حقا في النظرة العامة للادب الروسي، ظاهرة تستحق التأّمل العميق من قبل اي باحث في مسيرة هذا الادب العريق.

لا يمكن طبعا ان نتكلم عن بوشكين خارج روسيا، اذ ان هذا يعني الكلام عنه في كل من اوربا وامريكا وآسيا وحتى بعض بلدان افريقيا الحديثة، وذلك أمر يقتضي جهود مجاميع كبيرة من المتخصصين، الذين يجب ان يجتمعوا مع بعض ضمن مؤتمرات او ندوات خاصة لبلورة تلك الافكار والوقائع والتأملات بشأن هذا الموضوع، ولكننا مع ذلك نرى، ان طرح الموضوع هذا بشكل مكثّف ومختصر، وكتابة ملاحظات عامة عنه من هنا وهناك - يكفي للتذكير به وللتأمل في اهميته بالنسبة لمتابعي الادب الروسي وتاريخه في عالمنا العربي.

بوشكين بالنسبة لروسيا، كما قال عنه مرّة الناقد الادبي الروسي غريغوريف، في محاولة لتعريفه - (بوشكين - انه كل شئ!)، ولم يتغّير هذا الرأي حتى بعد ظهور ادباء - لاحقا - بمستوى تولستوي ودستويفسكي، بل ان تولستوي ودستوبفسكي نفسهما أكّدا هذه الحقيقة، (انظر - مثلا - مقالتنا بعنوان - خطاب دستويفسكي عن بوشكين). وروسيا تمتلك سمات شرقية في بعض صفاتها، ومن بين هذه السمات حبها للتقديس والمبالغة، وانطلاقا من

ذلك وارتباطا بذلك ايضا، فانها - ربما - تبالغ برفع مكانة بوشكين الى الاعالي (انظر- مثلا - مقالتينا بعنوان - (هل بوشكين أعلى من ستالين؟)، والثانية بعنوان - (الشعر أعلى من السياسة).)، ولكن هذه المبالغة لا يمكن - باي حال من الاحوال - ان تجعل الشعب الروسي (يتوّج!!) بوشكين على عرش الادب الروسي، كما حدث ويحدث لحد الآن، ولا يزال بوشكين يحمل في روسيا - ومنذ سنوات طويلة جدا - لقبه المتفرّد الجميل - (شمس الشعر الروسي!).

اما بوشكين خارج روسيا فالامر يختلف طبعا، واذا ما توقفنا - مثلا - في عراقنا، او عالمنا العربي بشكل عام، فاننا نجد، ان الجواهري قد أشار الى اسم تولستوي مرة في احدى قصائده باعتباره رمزا لروسيا، وذلك في قصيدته الشهيرة - (ستالينغراد)، والتي كتبها بعد معركة ستالينغراد، وهي المعركة التي حوّلت - كما هو معروف - مسيرة الحرب العالمية الثانية، والبيت هو -

يا تولستوي ولم تذهب سدى ثورة الفكر ولا طارت هباء

يا ثريا وهب الناس الثراء قم ترى الناس جميعا اثرياء

(ولا مجال هنا للحديث عن رثاء تولستوي من قبل احمد شوقي وحافظ ابراهيم والزهاوي، وردود الفعل الاخرى بعد وفاة تولستوي في العالم العربي)، ولم يخطر في بال الجواهري طبعا ان يستشهد باسم بوشكين هنا، رغم ان بوشكين هو الاقرب من مفهوم (رمز روسيا)، مقارنة مع اسماء الادباء الروس الآخرين، لأن ذلك لم يكن مطروحا في الوعي الاجتماعي العربي لا آنذاك ولا في الوقت الحاضر ايضا. وكذلك الحال خارج العالم العربي، واذا ما أخذنا فرنسا مثلا، وهي التربة الفكرية الاقرب الى روسيا بين كل الدول الاوربية،وليس عبثا ان لجأ اليها الادباء الروس بالاساس بعد ثورة اكتوبر1917، فاننا سنجد ايضا، ان بوشكين لا يشغل الموقع الاول بين الادباء الروس هناك، (رغم انه كتب اول قصيدة له باللغة الفرنسية!)، ومع انه يبقى متميّزا بينهم، ولكن دستويفسكي وتولستوي وحتى تشيخوف يقفون في الساحة الفرنسية الند للند مع بوشكين (ان صح هذا التعبير!)، بل ويبرزون اكثر منه بعض الاحيان، ولا يرتبط الموضوع فقط بطبيعة نتاجات بوشكين،

اذ ان ترجمة الشعر دائما هي الاصعب، لكن هذا الوضع يشمل نثره ايضا. ويمكن تكرار القول بالنسبة لانكلترا ايضا، وعلى الرغم من تباين الظروف السائدة فيها مقارنة مع فرنسا، الا اننا نلاحظ تلك الظاهرة ايضا، ومن الطريف ان نذكر هنا، ان السفير الروسي في لندن قد دعى مرّة المترجم الانكليزي الاول لبوشكين واسمه - (انطوني بريغس) للاحتفال معه بيوم ميلاد بوشكين في السفارة الروسية، وقال له، ان الجميع معجبون بترجماته، وانه (يجعل القارئ الانكليزي يتعرّف على الثقافة الروسية)، وقد اعلن المترجم عندها، انه درس الشعر الفرنسي والاسباني والانكليزي، ويجد ان بوشكين هو أعلى من الجميع... ولكن رأي المترجم هذا شئ، والواقع في انكلترا شئ آخر...

لا يمكن طبعا الاسترسال اكثر والتوقف عند بوشكين في بلدان اخرى كالصين مثلا، او الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من البلدان الكبيرة، ولكن خلاصة كل هذه النظرة السريعة والشاملة تؤكد ما ذكرناه آنفا، وهو ان مكانة بوشكين في بلده تختلف تماما عن مكانته خارج روسيا، وعلى الرغم من طبيعيّة هذا التباين بشكل او بآخر بالنسبة لاي اديب داخل بلاده وخارجها، الا ان هذا التباين الكبير بالنسبة لبوشكين هو امر يستحق الدراسة المعمقة بلا شك.

42- تأملات حول حكاية بوشكين عن الصياد والسمكة

عنوان هذه الحكاية الشعرية التي كتبها بوشكين هو - (حكاية عن الصياد والسمكة)، وقد نشرها عام 1835 (اي قبل وفاته بسنتين فقط)، وكان آنذاك في اوج شهرته ونضجه الفكري، واصبحت هذه الحكاية واحدة من أشهر حكاياته في روسيا، وخارجها ايضا (هي مترجمة الى العديد من اللغات الاجنبية، بما فيها العربية). الحكاية موجودة اصلا باللغة الالمانية عند الاخوين غريم، بل وهناك حتى من يقول عن بوشكين، انه (سرقها!!!) من الالمانية (انظر مقالتنا بعنوان - بوشكين بين الترجمة والاقتباس)، ونحن نقول هنا وبكل ثقة ايضا، هل كان الشاعر الروسي الكبير بوشكين فعلا بحاجة الى (هذه السرقة!) الادبية العلنية، وهو الذي كان يمنح - وبكل طيبة خاطر- للادباء الروس حوله افكارا وموضوعات للكتابة الابداعية، ومنهم غوغول مثلا، الذي أعطاه فكرة (المفتش)، وفكرة (الارواح الميّتة) والتي حوّلهما غوغول بعدئذ الى نتاجات خالدة في الادب الروسي والعالمي.

(حكاية عن الصياد والسمكة) لبوشكين تبدو للوهلة الاولى نتاجا فنيّا يدخل ضمن أدب الاطفال ليس الا، وهي فعلا هكذا في الواقع، بل واصبحت حكاية حبيبة للصغار وقريبة جدا لقلوبهم، ولكن عظمة هذا الأدب تكمن في انه أدب صغار وأدب كبار معا، فالصغار يجدون فيه ما يريدون ان يجدوا من متعة، والكبار يجدون فيه كذلك ما يبحثون عنه من حكمة وافكار عميقة، ولهذا، فان الادباء الذين يكتبون لنا هذا النوع من الادب هم دائما القلّة فقط، او النخبة منهم فقط، من (وزن!!!) بوشكين وأمثاله من القمم الادبية لدى مختلف الشعوب، ونتناول في مقالتنا هنا الجانب (الآخر!) لهذه الحكاية الجميلة، الجانب العميق، الذي يخاطب به بوشكين الكبار في حكايته الطريفة للقراء الصغار، الجانب الذي كان يثير بوشكين في تلك المرحلة من مسيرته الفكرية.

نذكّر القارئ العربي - اولا - بالمضمون العام لتلك الحكاية. هناك صياد سمك يعيش في كوخ متواضع مع زوجته عند ساحل البحر، وهما يقتاتان السمك الذي يصطاده هذا الصياد، وفي يوم من الايام اصطاد سمكة ذهبية، ولكن هذه السمكة قالت له ان يعيدها الى البحر، وانها مقابل ذلك تستطيع ان

تحقق له كل ما يطلب منها، وهكذا اعادها للبحر تلبية لرغبتها دون ان يطلب شيئا، وعاد الى بيته وحكى لزوجته قصة تلك السمكة الذهبية، وبدأت زوجته باجباره على العودة الى السمكة والطلب منها ان تحقق رغباتها، اذ طلبت تغيير المنزل، ثم تحويلها من فلاّحة الى نبيلة، ثم الى قيصرة، وكانت السمكة تحقق كل ما يطلب منها الصياد، ثم طلبت الزوجة من السمكة ان تحولها الى اميرة البحار وان تكون السمكة خادمة لها، فاستمعت السمكة الى ما قاله الصياد لها وغطست في البحر دون اي جواب، وظل الصياد يناديها ويناديها، ولكن السمكة تركته واختفت، فلما عاد الصياد الى بيته، وجد بيته القديم وقد عاد كما كان سابقا، وشاهد زوجته وقد عادت الى وضعها كما كانت في السابق ايضا.

القارئ الصغير يبقى مندهشا وهو يتابع رغبات الزوجة وتحولاتها، ثم يرى عودتها الى حياة البؤس مرة اخرى، ويفهم هذا القارئ بنفسه (او ربما يوضّحون له)، ان طمع الانسان يقتله. والقارئ الكبير يبقى مشدودا الى احداث الحكاية، ويفهم رأسا (كما الصغير) ان الطمع قاتل، وان رغبات الطمّاع بلا انتهاء، ولكن هذا القارئ يبدأ بطرح الاسئلة، المرتبطة باحداث الحكاية وابطالها، ولماذا كتبها بوشكين وهو في ذروة مسيرته الابداعية. ابطال الحكاية هم الصياد وزوجته والسمكة. الصياد رمز الطيبة والبساطة والنقاء، وتسحره الكلمة الطيبة للسمكة، فيطلق سراحها دون ان يطلب اي شئ. زوجته رمز الطمع والجشع والرغبة باخضاع الجميع دون استثناء. السمكة رمز القوة والسلطة، والتي تقدر ان تعمل كل شئ، الا انها - مع ذلك - سقطت في شباك الصياد البسيط. ولكن اين موقع بوشكين بين هذا الثلاثي المتجسّد بالطيبة والجشع والسلطة؟ هنا تكمن نقطة الخلاف بين (المجتهدين!). يرى البعض ان بوشكين أقرب الى الصياد، اي أقرب الى النقاء الذي تسحره الكلمة الطيبة، وان القيصر عندما قابله بعد منفاه، وقال كلمته الشهيرة، في انه سيكون رقيب بوشكين فقط (وهو موقع لم يصله اي شاعر في كل تاريخ روسيا)، اي ان بوشكين، مثل الصياد، سحرته الكلمة الطيبة، وتقبّلها ووثق بها، ولكن لا السمكة ولا القيصر التزما بتلك الكلمة امام رمز النقاء في نهاية المطاف، وهكذا عادا الى حياتهما البائسة مرة اخرى، بغض النظر عن

الاسباب التي أدّت الى تلك النتيجة. لكن البعض الآخر لا يتفق مع هذا الاجتهاد، ويرى، ان بوشكين أقرب للسمكة، التي اصطادها الصياد، فوعدته بتلبية مطالبه من اجل حريتها، وان السمكة فهمت في النهاية، انها يجب ان تختار بين الحرية وبين تلبية تلك المطالب، وانها اختارت الحرية، رغم ان الصياد أصطادها ثم منحها الحرية، اذ ان السمكة كانت آنذاك مضطرة ان تعده بتلبة مطالبه، ولكن الحرية تبقى أغلى من كل شئ وأعلى، وعندما وصلت تلك المطالب الى التخلّي عن حريتها، فانها اختارت الحرية رأسا دون اي تردد بشأن هذا الاختيار، وهذا ما فعله بوشكين ايضا في نهاية المطاف. وبغض النظر عن اختلاف المجتهدين بتفسيرهم لموقف بوشكين الفكري، ولكنهم اتفقوا، ان الشاعر الكبير استخدم تلك الحكاية الشعبية الشائعة للتعبير عن موقفه الفكري العميق تجاه تلك القضايا الكبرى، التي كانت تقف امامه في مجتمعه، وهي قضايا خالدة في مسيرة الانسان في كل مكان.....

43- هل اختفت تتيانا بوشكين ومفاهيمها؟

تتيانا لارينا هي بطلة رواية بوشكين الشعرية - (يفغيني اونيغين)، التي أحبت بطل تلك الرواية يفغيني اونيغين وكتبت له رسالة رقيقة وصريحة ومباشرة تعبّر فيها عن حبها له، وتبتدأ تلك الرسالة هكذا:

أنا التي أكتب اليك، فماذا أكثر،

وماذا أقدر ان أقول أكثر...

ولكن يفغيني اونيغين رفض الاستجابة لحبها آنذاك، ثم عاد بعد سنوات طويلة جدا يطلب حبها، فقالت له (ايضا بصراحة وبشكل مباشر) انها لاتزال تحبه، ولكنها ترفض الان الاستجابه له.

شخصية تتيانا لارينا أثارت ولا تزال تثير الجدال والنقاش بين نقاد الادب الروسي والباحثين في تفصيلات تاريخه الصغيرة والكبيرة على السواء، هؤلاء الذين يدرسون نتاجات الادب الروسي، كي يحددوا سمات الشخصية الروسية وخصائصها في الواقع الحياتي، لانهم يعتبرون الادب هو التعبير الحي والتصوير المتكامل للحياة كما هي، وهم على حق طبعا بشأن ذلك، اذ حتى عندما نتأمل ونحلل بدقّة وعمق اللوحات السريالية (بالمعنى العام للكلمة) في الفن التشكيلي نجد ان تلك اللوحات (غير المفهومة للوهلة الاولى) هي تعبير حي فعلا لواقع الانسان في ذلك المجتمع الذي رسم فيه الفنان التشكيلي لوحاته تلك (لنتذكر الغورنيكا لبيكاسو مثلا)، وذلك لان الفنون في كافة اجناسها واشكالها هي انعكاس للمجتمع الانساني مهما كانت انواعها.

كثيرون من النقاد والادباء الروس كتبوا عن بطلة بوشكين - تتيانا لارينا، ومن هؤلاء النقاد يستشهدون عادة باسماء بيلينسكي وبيساريف من القرن التاسع عشر وافسيانكو - كوليكوفسكي (1853 - 1920) من النقاد الذين ظهروا بعدهم، ومن الادباء باسم دستويفسكي، ونحاول ان نتوقف عند جوهر افكارهم العامة حول هذه البطلة، وموقفهم تجاهها. لقد كان بيلينسكي مناصرا لتتيانا لارينا وبحماس وكذلك افسيانكو - كوليكوفسكي، اما بيساريف فكان مضادا لها كليّا، وكان دستويفسكي يمجّدها، مثلما كان يمجّد بوشكين بشكل

عام، ونحاول في نهاية المقالة توضيح الاجابة - بشكل او بآخر - حول السؤال الذي ثبتناه في عنوان مقالتنا، وهو - هل اختفت فلسفة تتيانا لارينا ومفاهيمها وروحيتها، ام هي موجودة لحد الان في روسيا؟.

كتب بيلينسكي عن بوشكين كثيرا من المقالات المهمة، والتي لازالت تمتلك اهميتها من اجل فهم بوشكين ومكانته في مسيرة الادب الروسي، وقد توقف طبعا عند تتيانا لارينا بطلة روايه بوشكين المركزية - يفغيني اونيغين. تتيانا لارينا كما يراها بيلينسكي - (...استثنائية... عميقة... عاشقة... الحب بالنسبة لها يمكن ان يكون متعة عظمى او معاناة عظمى، ولاشئ وسط...) رغم ان بيلينسكي يرى انها اصبحت ربّة عائلة هادئة، بعد ان ارتضت بتضحيتها لحبها، ويدافع كوليكوفسكي عنها ايضا في كتاباته بعد أكثر من نصف قرن من بيلينسكي، ويعتبرها (أقوى روحيا من اونيغين)، ويقارنها بسلسلة بطلات ظهرن في مسيرة الادب الروسي مثل بطلات تورغينيف وتولستوي، ولكنهن جميعا (لم يجعلننا ننسى تتيانا بوشكين)، ويؤكد انها (ستبقى في أدبنا الى الابد).

اما بيساريف، فقد كان يرى انها - (قروية حمقاء)، وكتب يقول، انها تمتلك (تصوّرات مريضة)، ولهذا، ونتيجة لتلك التصوّرات، كانت تختلق احاسيس ومتطلبات وواجبات مفتعلة، وتصل الى تخطيط برامج لا تتناسق مع الواقع، وتحاول ان تحققها بعناد غريب. وبشكل عام، فان بيساريف صوّرها وكأنها امرأة مريضة، وكان ضدها تماما. بيساريف كان يعتبر بوشكين قد اصبح يمثّل مرحلة انتهت، ولا مجال هنا للحديث عن علاقة بيساريف ببوشكين، الا ان موقف هذا الناقد لم يؤثر على موقع بوشكين واهميته في دنيا الادب الروسي، ولم تتغيّر مكانة تتيانا لارينا نتيجة ذلك لدى القراء الروس ابدا.

اما دستويفسكي، فقد قال عن تتيانا لارينا، انها شخصية قوية، وتقف على تربتها بثبات وصلابة، وانها أعمق من يفغيني اونيغين وأذكى منه، ولهذا، فانها تعرف بدقة اين الحقيقة، وتقدر ان تحددها. ويرى دستويفسكي، ان بوشكين كان يجب ان يسمي روايته تتيانا لارينا وليس يفغيني اونيغين. لانها البطل الحقيقي الاول في تلك الرواية الشعرية.

هناك طبعا آراء اخرى حولها، منها مثلا، رأي نابوكوف، الذي يرى، ان ثورة اكتوبر 1917 قد غيّرت تلك المفاهيم، وان تتيانا لم تعد تلك البطلة النموذجية، ولا مجال لعرض تفصيلي لآراء نابوكوف، الذي (يسيّس) الموضوع انطلاقا من موقفه السياسي طبعا، وهي نظرة نعرفها - نحن العراقيين - نتيجة تجربتنا الحياتية المريرة، وكم يوجد لدينا من هؤلاء الذين (يسيّسون!) كل شئ.

ختاما، اود ان أشير، الى اني شخصيا رأيت كيف يتقبّل الروس هذه البطلة، وكيف ان تلاميذ المدارس الثانوية (وخصوصا التلميذات) يحفظون عن ظهر قلب رسالة تتيانا لارينا الى يفغيني اونيغين، وكيف يتنافسون لالقائها امام الآخرين عندما يطلبون منهم ذلك، وشاهدت كيف كان الطلبة (يتدافعون!) لاقتناء بطاقات لمشاهدة الفلم الذي يعرض الاوبرا حسب رواية بوشكين تلك، واعرف ايضا، ان تتيانا لارينا قد تحولت الى موضوع دائم لمادة (الانشاء) في المدارس الروسية.

تتيانا لارينا وفلسفتها لازالت موجودة في روسيا، ولازالت تتيانا تتمشى في شوارعها، ولازالت تثير التعاطف والحب، لان بوشكين لازال حيّا في روح روسيا وشعابها...

44- بوشكين والنقد الادبي

النقد - حسب تحديد بوشكين - هو (...علم يكتشف الجمال والنواقص في نتاجات الفن والادب...)، ولكن بوشكين يضيف، ان هذا العلم يتطلب (...الحب تجاه هذا الفن... وعندما تحب الفنان، ابحث عن الجمال في ابداعاته...). بوشكين لم يكن ناقدا ادبيا، ولكن مجموعة الآراء التي كتبها هنا وهناك من مقالات وملاحظات ورسائل الى الآخرين تمنحنا الحق ان نتكلم عن بوشكين باعتباره يمتلك نظرة نقدية واضحة المعالم، اذ يكفي ان بوشكين حدّد النقد الادبي بانه (علم)، وحدّد مهمة هذا العلم بانه - (يكتشف الجمال والنواقص)، واستخدم بالذات فعل (يكتشف)، اي ان النقد هو (اكتشاف)، وعملية الاكتشاف هذه لا يقدر ان يمارسها اي شخص، وانما يقوم بها المكتشفون فقط، ووضع بوشكين (شرطا مهمّا) لهذا المكتشف، وهو (الحب!) نحو الفن والفنان، وذلك لأن (من يحب!) لا يمكن (ان يطعن!)، فما أجمل هذا الكلام الدقيق والواضح والحازم، الكلام الذي (يقلّ ويدلّ) حول النقد. وهذا ما تناوله الباحثون الروس حول بوشكين ومنذ زمن بعيد، وهذا ما نحاول ان نتحدث عنه بايجاز في مقالتنا هذه.

توجد العديد جدا من المصادر الروسية حول علاقة بوشكين بالنقد الادبي، وتتفق هذه المصادر(الواسعة والمتباينة جدا) بالاساس على بعض النقاط العامة والمشتركة، واول تلك النقاط المتفق عليها، ان بوشكين لم يساهم في حركة النقد الادبي الروسية بشكل واسع في بداية مسيرته الابداعية، ولكنه في العشر سنوات الاخيرة من عمره تقريبا (منذ نهاية العشرينات في القرن التاسع عشر الى تاريخ نهايته التراجيدية ومقتله في المبارزة عام 1837) ساهم بالكتابة في المجلات الادبية الروسية، بما فيها طبعا المجلة التي اصدرها هو، وهي مجلة (سوفريمنك) (انظر مقالتنا بعنوان - بوشكين صحافيا). النقطة الثانية، التي اتفقت عليها ايضا هذه المصادر، هي ان مجموع كل ما كتبه بوشكين في هذا المجال يبلغ (160) فقرة، مابين مقالات وملاحظات ورسائل واحاديث سجّلها ونشرها الادباء الذين كانوا يحيطون ببوشكين في تلك الفترة، وهذا الرقم الدقيق (والطريف ايضا) جاء نتيجة عمل هائل قام به العديد من الباحثين في تراث بوشكين الادبي، بما فيه دراسة ومتابعة ما كتبه حوله الادباء والاصدقاء الذين

عاصروه، وتبيّن هذه النقطة بوضوح تام، ان هذا التراث البوشكيني حول مفاهيم النقد الادبي قد تم جمعه وترتيبه على مدى سنين طويلة من البحث العلمي، وباشراف متخصصين كبار في ادب بوشكين. ونتيجة لكل هذه الجهود وصل الباحثون الى انه يمكن القول بشكل عام، ان بوشكين كان ايضا ناقدا ادبيا، وقد صدرت فعلا عدة كتب بهذا العنوان بالذات، ومنها كتاب صدر في الاتحاد السوفيتي عام 1933 وكان بمقدمة لوناتشارسكي نفسه (انظر مقالتنا بعنوان - لوناتشارسكي الفيلسوف والاديب والوزير). يرى البعض، ان النظرة العامة في روسيا الى بوشكين مبالغ فيها الى حد ما، وان تسمية بوشكين ناقدا ادبيا جاءت نتيجة لذلك. لقد قال الناقد الروسي في القرن التاسع عشر غريغوريف حول بوشكين، انه (كل شئ)، وأشاد كبار الادباء الروس ببوشكين من غوغول الى تورغينيف ودستويفسكي وتولستوي وتشيخوف وغيرهم، واختصر غوركي هذا الكلام بخلاصة محددة ودقيقة وهي، ان بوشكين هو (بداية كل البدايات). ان بوشكين يستحق فعلا هذا (التكريم والتبجيل) في مسيرة تاريخ روسيا وادبها، وليس عبثا، ان الكثير من الروس يعتبرونه حتى (رمزا لروسيا) كما حدث مرّة في احدى الندوات التلفزيونية عندما أدلى المشاهدون باصواتهم وشغل بوشكين المكان الرابع بعد نيفسكي وستالين وستوليبين، ولكن البعض الآخر - مع ذلك - يرى ان بوشكين (بداية كل البدايات) في الادب الروسي وليس (كل شئ) في هذا الادب.

نعم، بوشكين شاعر روسي عظيم ورائد في كتابة الرواية الشعرية وقاص متميّز وكاتب مسرحي كبير ومؤرّخ وصحافي، ولكنه ليس ناقدا ادبيا، رغم انه أبقى في تراثه الكثير من الآراء العميقة في النقد الادبي، ولهذا نرى، انه من الاصح ان يكون عنوان هذه الدراسات عنه في هذا المجال - (بوشكين والنقد الادبي)، اذ ان هذا العنوان أكثر موضوعية ودقّة من عنوان - (بوشكين ناقدا ادبيا)، وهذا هو عنوان مقالتنا ايضا...

45- بوشكين وزوجته والقيصر وبزيع

كان يمكن لهذه المقالة ان تكون بعنوان آخر، وهو: قراءة في مقاله الشاعر شوقي بزيع حول بوشكين، المنشورة في جريدة الشرق الاوسط بتاريخ 5 كانون ثاني / يناير عام 2022، والتي جاءت تحت عنوان - ناتاليا نيكولايفنا وبوشكين... الجمال والموت على سرير واحد، وعنوان اضافي تحته، وهو - هل كان ارتباطهما الزوجي هو الفخ الذي نصبه القيصر للايقاع بالشاعر؟.

ترجمت هذا العنوان المثير لصديقي الروسي، فاندهش جدا، وركّز خصوصا على جملتين فيه، الجملة الاولى هي - (الجمال والموت على سرير واحد)، والجملة الثانية هي - (الفخ الذي نصبه القيصر للايقاع بالشاعر)، وسألني - هل انت متأكد من ترجمتك هذه؟ قلت له - نعم،نعم، هذه ترجمة حرفية للعنوان، وسألته أنا بدوري - لماذا تشك في ترجمتي لنص عربي امامي من جريدة عربية مشهورة؟ فقال صديقي - لأني لا اتصور بامكانية الكتابة عن بوشكين هكذا ونحن في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، فضحكت أنا وطلبت منه ان يوضح رأيه بشكل دقيق، فقال ببساطة، ان جملة (الجمال والموت على سرير واحد) مرعبة جدا، وغير شاعرية بتاتا، ولا يمكن لشاعرمعاصر في زماننا ان يكتبها عن بوشكين، هذا اولا، وثانيا، كيف يمكن لشاعر معاصر ان يعتقد، ان قيصر الامبراطورية الروسية (ينصب فخا للايقاع بالشاعر)؟ قلت لصديقي، انك تفكر بطريقة مغايرة، ولا تعرف، ان الاسلوب العربي في كتابة العناوين يعتمد على اثارة القارئ العربي ولفت انتباهه لقراءة المقالة. فسألني - هل ان الجمال والموت عندما ينامان معا على سرير واحد يثير القارئ العربي فعلا؟، ثم هل يثير هذا القارئ عندما يقولون له، ان امبراطور روسيا بنفسه (ينصب فخا لشاعر)؟ ثم، هل استشهد شاعركم في مقالته هذه ولو بمقطع من قصائد بوشكين، كي يثبت للقارئ رأيه هذا؟. لم استطع ان اجيبه عن السؤال الاول ولا عن السؤال الثاني، ولكني اجبت فقط عن السؤال الثالث، وقلت له - نعم، هو استشهد بمقطع من قصيدة (النبي) لبوشكين، وكتب امام

هذا المقطع ما يأتي - (أطلق بوشكين عبر قصيدته (النبي) دعوة غير مواربة للاطاحة بنظام الاستبداد الدموي) ثم يذكر المقطع من تلك القصيدة، فقال صديقي الروسي- اقرأ لي رجاء هذا المقطع، اذ ربما سيثبت كاتب المقالة بواسطة هذا المقطع من قصيدة النبي لبوشكين عناصر طريفة وجديدة لم انتبه عليها أنا بشأن دعوة بوشكين (للاطاحة بنظام الاستبداد الدموي!) عندما قرأت انا قصيدة النبي، فقرأت له المقطع الموجود في تلك المقالة، وهو كالآتي، وترجمته الى الروسية -

الا انهض يا رسول روسيا

والتفّ بهذه الحلة المنسوجة من العار

وتقدم والحبل يشدّ على عنقك

امام القاتل الكريه.

قال صديقي، انه لا يحفظ قصيدة النبي لبوشكين عن ظهر قلب، لهذا دعنا نرجع الى قصيدة النبي في ديوان بوشكين بالروسية، ونجد المقطع. وهكذا رجع الى ديوان بوشكين، وبحث في الفهرس عن القصيدة ووجدها، وقال لي، ترجم المقطع الى الروسية، كي اجده في النص الروسي، قلت له ضاحكا، لقد ترجمت هذه القصيدة قبل اكثر من عشرين سنة، فقال - حسنا، ارجع الى كتابك الموسوم (ثمان وثلاثون مقالة عن بوشكين)، وانا أذكر مقالتك في ذلك الكتاب بعنوان (قصيدة النبي لبوشكين بثلاث ترجمات)، وهكذا وجدت الكتاب، وأخذ صديقي يقرأ النص الروسي للقصيدة حسب مقاطعها، وانا اقرأ الترجمة العربية، ولكننا لم نجد ذلك المقطع الذي استشهد به كاتب تلك المقالة بتاتا، بل لم نجد حتى ولا اي شئ شبيه به او مقاربا له من حيث المعنى. فقال صديقي وهو يضحك - انشر نص قصيدة النبي كاملا مرة اخرى، كي يقتنع القارئ العربي بما نقول، فقلت له - سانشره حتما، وها هو النص -

(ظمأ الروح اضناني / وانا في عتمة البيداء وحدي / اجرّ بالكاد اقدامي،/ وفي مفترق الطرق / الملاك سيرافيم - المعلّى الاثير / ذو الاجنحة الستة /

ظهر امامي، / وكالحلم، وباناملـه الرقيقة / لمس مقلتيّ، / فانفتحت المقلتان المتنبئتان، / كما تفعل انثى النسر المرتعبة. / لمس الملاك اذنيّ / وملأهما بالضجيج والرنين، / واصغيت انا لارتعاش السماء، / وتحليق ملائكة الجنان، / ومسير الاحياء في عمق البحار، / وخمول الكروم في الوديان. / انحنى الملاك على شفتيّ / واجتث لساني الآثم / والماكر والثرثار، / ووضع بيمناه التي يقطّر منها الدم / لسان حيّة حكيمة / في ثغري الاصم، / وشجّ صدري بسيفه / وانتزع القلب المرتعب / وغمد في جوفه / جمرة تلتهب. / استلقيت كالجثة في البيداء / وصوت الرب ناداني - / قم، ايها النبي، وابصر / وانصت،/ ونفّذ ارادتي، / واجّج بالكلمات قلوب البشر / وانت تجوب البّر والبحر.

46- رسالة بوشكينية الى الشاعر شوقي بزيع

اطلعت - طبعا - على ردك الغاضب بشأن مقالتي (غير الغاضبة!) حول بوشكين، وقرأت ما قلته لي، وباني لن أكون أرخميدس، وابتسمت ليس الا وقلت الحمد لله، اذ اني اعيش في اجواء روسيا وثلوجها الرهيبة، ولهذا لا يمكن لي ان أخرج مثلما خرج أرخميدس، حتى لو اني (وجدتها!)، اذ انني عندها سأتجمّد، وقلت ايضا، بيني وبين نفسي، ان الشعراء يقولون ما لا يفعلون، (وهي نفس الجملة التي قلناها لصديقنا الحبيب وزميلنا في الدراسة بموسكو في الستينيات حسب الشيخ جعفر عندما اطلعنا على كتابه الرومانتيكي الجميل رماد الدرويش الذي أصدره في بغداد). لقد اكتشفت - في ثنايا ردك الغاضب - الكثير من المواقف المشتركة معا، والتي يمكن - قبل كل شئ - ان توحّد بيننا، واولها هو هذا الحب الكبير لشمس الشعر الروسي بوشكين، واظن، ان حبنا البوشكيني المشترك هذا هو الذي يمكن ان (يزيل، او في الاقل، يخفف!) من كل هذا التوتر في بداية تعارفنا معا، واتمنى ان نحقق بعد سوء الفهم هذا روح القول الشهير عن الوئام بعد الخصام، فانا اعشق الشعر واعتبره موسيقى الابداع الانساني، وطبعا احترم الشعراء، الذين يعزفون لنا هذه الموسيقى المدهشة الجمال (وانت واحد منهم بلا ادنى شك)، احترمهم واسامحهم حتى عندما يغضبوا...، ولهذا ايضا فاني اسامح صديقي الحبيب الشاعر حسب الشيخ جعفر (وانت تعرف ماذا اقصد، والمعنى في قلب الشاعر!)... ولكني أود ان اتوقف قليلا عند موضوع آخر، يرتبط طبعا بصلب هذه الرسالة، وهو نظرتنا، نحن العرب، الى الادب عبر السياسة. لقد اقمنا في روسيا تمثالا نصفيا للجواهري بجامعة فارونش الروسية، باقتراح من مركز الدراسات الروسية - العراقية، الذي أسسته وكنت مديرا له آنذاك، وتم افتتاح هذا التمثال فعلا عام 2009، وكان هذا العمل (ولا يزال) رائدا وفريدا في مسيرة العلاقات الثقافية العراقية - الروسية، وهو اول تمثال للجواهري خارج العراق لحد الان، ولكني اصطدمت آنذاك باراء مضادة بين بعض الزملاء العراقيين حولي، الذين (لامون!)، لاني قمت بهذا العمل، وقالوا لي، انني أقمت تمثالا لشاعر مدح الملوك، وذكروني بقصيدته - ته يا ربيع بزهرك

العطر الندي...، فقلت لهم، ما أجمل تلك الصورة الفنيّة التي رسمها الجواهري، هذا اولا، وثانيا، انه قال بعدئذ - خلفت غاشية الخنوع ورائي، فقالوا، انه كرر هذه المواقف مع الآخرين. لم ارغب بالاستمرار في هذا النقاش معهم، وقلت لهم - لقد أقمت تمثالا لعلم من اعلام الفكر العراقي في القرن العشرين، والجواهري رمز للعراق، وهو يقف الان في جامعة فارونش الروسية، وان تمثال الجواهري هذا قد خلق فكرة اقامة تمثال مقابل له في العراق لرمز روسيا، وهو بوشكين، وهكذا تم اقامة تمثال نصفي لبوشكين في حدائق كلية اللغات بجامعة بغداد، وبمبادرة وتنفيذ من قبل مركز الدراسات الروسية - العراقية بجامعة فارونش والجمعية العراقية لخريجي الجامعات الروسي. وتمثال بوشكين هذا هو ايضا اول تمثال له في العراق، وأثار تمثال بوشكين ايضا في بغداد كلام هؤلاء الذين ينظرون بعيون سياسية الى كل ظواهر الادب والفكر، وقال فلان كذا وقال فستان كي. لقد انعكس اقامة تمثال الجواهري في روسيا وتمثال بوشكين في العراق بشكل واضح في وسائل الاعلام الروسي، الا انه لم ينعكس هكذا في وسائل الاعلام العراقي، وهذا هو الفرق الجوهري والكبير بين وسائل الاعلام عندنا وعندهم، اذ ان وسائل الاعلام عندهم قد تحررت من تلك النظرة السياسية الى كل شئ، كما كان الامر سابقا، وهي نظرة احادية طبعا، وذلك الان شئ واضح المعالم لكل متابع في الشؤون الفكرية الروسية، أما عندنا، فليس الامر هكذا بتاتا، ولا اريد الخوض في التفاصيل، ولكني اريد فقط ان نحترم ارآء الروس لنظرتهم الى ادبهم الروسي، وان لا نقول لهم، ان... فرائص القيصر الروسي واتباعه ترتعد من مواقف بوشكين المناهضة للطغيان... اذ ان ذلك يتنافى مع الحقائق.

47- بيت بوشكين في اكاديمية العلوم الروسية

ولد بوشكين عام 1799، وقد احتفلت الامبراطورية الروسية عام 1899 بالذكرى المئوية الاولى لميلاده، وفي تلك الاحتفالات المتنوعة في روسيا ظهرت فكرة تأسيس (بيت بوشكين)، او، حسب الترجمة الحرفية - (البيت البوشكيني)، اعتزازا بابداعه وحفاظا على قيمة هذا الابداع ومكانته واهميته في تاريخ الفكر الروسي عموما، وقد حظيت الفكرة بعدئذ بدعم وتأييد الدولة الروسية ورعايتها، ووصل الامر الى صدور موافقة تحريرية (وأمر اداري تفصيلي بشأن تنفيذها وتحقيقها وتمويلها) من قبل القيصر الروسي نيقولاي الثاني نفسه (آخر قياصرة الامبراطورية الروسيّة كما هو معروف).

الفكرة بدأت عندما تمّ جمع اكثر من (700) مادة متحفية ثمينة ماديّا ومعنويّا، وترتبط (بشكل مباشر او غير مباشر) ببوشكين ومسيرة حياته وابداعه، وذلك لغرض تنظيم معرض خاص بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده، وبدأ الحديث آنذاك عن ضرورة اقامة تمثال جديد لبوشكين في هذه المناسبة، وقد اقترح رئيس اكاديمية العلوم الروسية عندئذ تشكيل لجنة خاصة من المثقفين الروس الكبار لمناقشة موضوع التمثال، واثناء سير المناقشات وتشعباتها في جلسات تلك اللجنة ولدت فكرة جديدة كليّا، وهي تاسيس (بيت بوشكين) بمثابة متحف او مركز ادبي يجمع كل المواد الارشيفية المرتبطة ببوشكين (وبقية ادباء روسيا في القرن التاسع عشر)، وذلك تخليدا لهم وحفاظا على تلك المواد الثمينة من الضياع والتلف اولا، ولدراستها وتحليلها من قبل المتخصصين ثانيا نظرا لاهمية تلك المواد لتدوين تاريخ ومسيرة الادب الروسي، وحدث ذلك يوم 15 ديسمبر/ كانون الاول عام 1905، ولهذا تم اعتبار هذا اليوم - تاريخ تأسيس (بيت بوشكين) منذ ذلك الحين والى يومنا الحالي، وقد وافق القيصر عام 1907 على تمويل هذا المشروع المهم من قبل الدولة الروسية كليّا، بما فيها - جمع كل ما له علاقة بحياة بوشكين وابداعه وحفظها هناك، وكذلك جمع كل ما له علاقة بحياة وابداع الادباء الروس الكبار الآخرين لنفس الغرض

النبيل هذا. وكانت مكتبة بوشكين طبعا اول خطوة تطبيقية في هذا المجال، وتم شراء هذه المكتبة فعلا باكملها من قبل الدولة،وتمّ وضعها في (بيت بوشكين)، كبداية لتأسيس مكتبة عامة في ذلك (البيت!)، واعقبت تلك الخطوة التخطيط لشراء مكتبة اخرى اسسها أحد المواطنين الروس، الذي كان معجبا جدا بابداع بوشكين لدرجة انه أطلق على نفسه لقب (اونيغين)، اي مثل لقب بطل الرواية الشعرية لبوشكين (يفغيني اونيغين)، وقد هاجر هذا المواطن الروسي في حينها للعيش في باريس، وهناك أقام متحف لبوشكين في شقته الباريسية، وهو أول متحف لبوشكين بشكل عام، والذي عرض فيه كل ما حصل عليه حول بوشكين، واهمها طبعا الكتب التي نشرها بوشكين نفسه وكل المؤلفات حوله، والتي جمعها طوال حياته، وتمّ فعلا شراء كل محتويات ذلك المتحف وحسب الشرط الذي وضعه اونيغين نفسه، وينص هذا الشرط على استلام كل تلك الكتب بعد وفاته، وقد توفي اونيغين عام 1925، وتمّ نقل تلك المكتبة الثمينة عام 1928 من ذلك المتحف في باريس الى بيت بوشكين في روسيا، وتوسّع مشروع (بيت بوشكين) هذا، وضمّ بعدئذ مكتبات ومخطوطات ومسودات كل من تورغينيف وليرمنتوف ونكراسوف وتولستوي ودستويفسكي، وقررت الدولة السوفيتية تحويّل بيت بوشكين عام 1930 الى (معهد الادب الروسي) في اكاديمية العلوم، مع الاحتفاظ بالاسم التاريخي له، وهو بيت بوشكين، وهكذا اصبح يسمّى منذ ذلك التاريخ ولحد الان - معهد الادب الروسي (بيت بوشكين) في اكاديمية العلوم الروسية.

معهد الادب الروسي (بيت بوشكين) في اكاديمية العلوم الروسية يقع في مدينة بطرسبورغ الروسية، وهو معهد بحوث ودراسات تابع لوزارة العلوم والتعليم العالي الروسية، ويحتوي هذا المعهد على اقسام علمية - بحثية عديدة، وتوجد فيه مراكز علمية ومجاميع متنوعة وعدة مختبرات، ومتحف أدبي فريد من نوعه، وقسم فخم للمخطوطات والتسجيلات (بما فيها تسجيلات فولكلورية لشعوب العالم)، وقد أصدر هذا المعهد الكثير من الكتب والمصادر الاكاديمية في الادب الروسي، منها مثلا (وليس حصرا) - مجلة فصلية تصدر منذ عام 1958 ولحد الان دون انقطاع (اي طوال 64

سنة)، واسم المجلة - الادب الروسي، وتعد هذه المجلة واحدة من أشهر المجلات الاكاديمية العلمية المعتمدة بروسيا في مجال دراسات الادب الروسي بمراحله كافة (من الادب الروسي القديم الى الادب الروسي المعاصر)، وتشترك في هذه المجلة معظم اقسام اللغة الروسية وآدابها في الجامعات العالمية، وأصدر المعهد (62) مجلّدا من أعمال قسم الادب الروسي القديم، و(33) مجلّدا للفلكلور الروسي، و(40) مجلّدا بعنوان بوشكين ومعاصروه... و... و... و...، ولا مجال هنا لذكر الندوات والؤتمرات العلمية العديدة جدا، التي قام هذا المعهد بتنظيمها حول الادب الروسي طوال كل هذه السنين...

معهد الادب الروسي (بيت بوشكين) في اكاديمية العلوم الروسية - مثل رائع يُحتذى به عالميا، ولكل الشعوب، لدراسة آدابها وتوثيقه، وما أحوج أدبنا العربي العملاق الى مؤسسات أكاديمية مماثلة.....

48- بوشكين والجواهري

تابعت قبل ايام قليلة اخبار وصور افتتاح بيت الجواهري وتحويله الى متحف ادبي رشيق، وهو البيت المتواضع الذي يقع بمحلّة القادسية في بغداد، والذي كنت عدة مرّات في ضيافته واعرفه حق المعرفة، وكم فرحت بتلك الاخبار (رغم اننا جميعا غارقون في بحر الاحزان)، وقد ذكّرتني هذه الاخبار بحدثين اثنين في مسيرة حياتي، يرتبطان بالجواهري وبوشكين معا، وعلى الرغم من انها بسيطة جدا، الا ان بعض الاصدقاء (الذين يعرفون تفاصيلها) قالوا لي، ان هذه الاحداث الطريفة تستحق ان تكون ضمن الوثائق الكثيرة عن الجواهري والادب الروسي خصوصا، وروسيا عموما، وها انا ذا اسجّلها واهديها لهم، وكذلك اهديها لكل من يرى، ان الجواهري هو بوشكين العراق من حيث المكانة الطليعية في قمة الشعر ببلديهما، ومن حيث الاهمية الفكرية وقيمتها في تاريخ الادب الروسي والعربي، رغم كل الخصائص والسمات الفنية المتباينة جدا لكليهما والاختلافات الجوهرية الهائلة بينهما.

الحدث الاول جرى في بداية سبعينيات القرن العشرين ببغداد، اذ وصل آنذاك وفد سوفيتي كبير برئاسة نائب رئيس حمهورية ارمينيا السوفيتية، وكان الوفد يضمّ عشرات الفنانين والفنانات والمستشرقين السوفيت، وقد طلبت منيّ وزارة الثقافة والاعلام ان اكون مترجما للوفد، فوافقت بكل سرور، وكان في برنامج الزيارة حفل ضخم في السفارة السوفيتية ببغداد، وكان الجواهري من جملة الشخصيات العراقية البارزة المدعوة لذلك الحفل، وقد حضر الجواهري باناقته المعروفة الجميلة، و(عرقجينه!) الكردستاني المتميّز على رأسه، وخصلات شعره الاشيب وهي (تتطاير!) يمينا ويسارا، واستقبله السفير السوفيتي بحفاوة كبيرة، وطلب منه - بعد فترة - ان يلقي للضيوف بعض اشعاره، وهكذا وقف الجواهري بقامته الرشيقة شامخا - كعادته - في القاعة، وألقى (بصوته الرخيم وطريقته الفنية وحركات يديه) بعض الابيات من قصيدته المشهورة عن سواستبول -

يا سواسبول سلام... لا ينل مجدك ذام... يذهب الدهر ويبقى... من تفانيك نظام...الخ...الخ

وصفّق له الحاضرون (من عراقيين وسوفيت) باعجاب وحماس كبيرين، وطلبوا منيّ، باعتباري المترجم للوفد، ان (اترجم!!) لهم القصيدة، فوقفت امامهم وطرحت عليهم سؤالا بالروسية، وهو - لو ان بوشكين يلقي قصيدة له امامكم، فهل يقدر المترجم ان يترجمها الى لغة اخرى بشكل فوري كما تطلبون منّي الان؟ ضحك الجميع وهم يقولون - طبعا لا يقدر، فقلت لهم، وانا ايضا لا اقدر ان اترجم قصيدة الجواهري، فهو بوشكين العراق والعالم العربي، وانما استطيع ان احدثكم عن مواضيعها ومضامينها وبعض صورها الفنية ليس الا، وهذا ما حدث، ثم ذهبت الى الجواهري وهمست في اذنه بايجاز حول ذلك، وقلت له، انني أسميته - بوشكين العراق والعالم العربي، فانتعش الجواهري جدا لهذه التسمية (مثل الطاووس، كما اخبرني فيما بعد احد الحاضرين في الحفل آنذاك)، خصوصا ان الجواهري كان محاطا بالفنانات الروسيات، وهي مسألة حسّاسة جدا (لبوشكين العراق!) ونقطة ضعفه...

الحدث الثاني كان في مدينة فارونش الروسية عام 2009، عندما قام مركز الدراسات العراقية - الروسية في جامعة فارونش الحكومية بافتتاح التمثال النصفي للجواهري، والذي كان ولايزال التمثال الوحيد خارج العراق للجواهري، وقد ذكرت في كلمتي، التي القيتها في حفل الافتتاح، باعتباري مدير المركز المذكور (المركز الذي اقترح فكرة اقامة التمثال وحققها فعلا رغم كل الصعوبات)، ان هذا التمثال هدية من رئيس دولة العراق (وكان آنذاك جلال الطالباني) الى جامعة فارونش الروسية، لأن الجواهري هو رمز العراق، وان الاعراف الدبلوماسية حول المعاملة بالمثل تقتضي الان، ان يقدّم رئيس دولة روسيا الاتحادية بالمقابل هدية لتمثال بوشكين الى جامعة بغداد، لان بوشكين رمز روسيا، مثلما الجواهري رمز العراق، وقد استطاع مركز الدراسات العراقية - الروسية في جامعة فارونش (وبالتعاون مع الجمعية العراقية لخريجي الجامعات الروسية،

والتي كانت عندها برئاسة المرحوم ضياء العكيلي) من تحقيق هذا المقترح فعلا، وتم افتتاح تمثال بوشكين في حدائق كلية اللغات بجامعة بغداد. ان التمثال النصفي للجواهري في جامعة فارونش والتمثال النصفي لبوشكين في جامعة بغداد - هو الاعتراف الرسمي والعلني الصريح، بان الجواهري يجسّد الادب في العراق امام العالم، وان بوشكين يجسّد الادب في روسيا امام العالم، وهذا يعني، ان بوشكين والجواهري يقفان الان جنبا لجنب.

ما احوجنا الى تأمّل ابداع هذين الشاعرين الكبيرين، وما احوجنا الى القيام بدراسات مقارنة بين نتاجاتهما...

49- الطريق نحو بوشكين

(الطريق نحو بوشكين) - عنوان مقالة تشغل نصف صفحة تقريبا، رأيتها بجريدة (ليتيراتورنايا غازيتا) الاسبوعية في عددها الصادر بتاريخ 7 - 13 ايلول / سبتمبر 2022، وقد أثارهذا العنوان عن بوشكين اهتمامي رأسا، اذ اني ظننت، ان هذه المقالة تتناول بالتحليل تلك الاسماء الادبية اللامعة في تاريخ الادب الروسي، التي سبقت ظهور بوشكين في مسيرة الشعر الروسي، وبالذات في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، مثل لامانوسوف وديرجافين وجوكوفسكي وغيرهم، وكيف ان بوشكين قرأ واستوعب - وهو في مرحلة الصبا - كل نتاجاتهم الابداعية في مجال الشعر، واستطاع - بعبقريته ومهارته الذاتية - بعدئذ ان يبلّور لغته الشعرية الرائدة الخاصة به، وان يؤدّي هذا الدور الكبير في وضع اسس اللغة الروسية المعاصرة ويصبح مصدرا لها في مسيرة لغة امته ولحد الان لدرجة، ان روسيا الاتحادية وحّدت يوم ميلاد بوشكين مع اليوم العالمي للغة الروسية لأنهما عنصران لا ينفصمان عن بعضهما عضويا، وهو موضوع كبير ومهّم جدا في تاريخ الادب الروسي لم يتناوله الباحثون العرب كما يجب بشكل عام، وبالتالي، فانه لا يزال شبه مجهول للقارئ العربي، ولكني عندما بدأت بقراءة المقالة المذكورة، فوجئت جدا بمسألة اخرى تختلف عن ذلك جذريا (حتى من السطر الاول لتلك المقالة!!!)، اذ اني اكتشفت شيئا آخر نهائيا، شيئا لم يخطرعلى البال للوهلة الاولى، واود في هذه السطور ان اتحدث عن هذا (الشئ!) الغريب وغير المتوقع، الذي وجدته في تلك المقالة، لأني اعتقد جازما، ان هذا الشئ (الذي يرتبط طبعا ببوشكين وموقعه ومكانته في قلوب الروس كافة وفي الوعي الاجتماعي الروسي بشكل عام) يستحق فعلا ان نتحدث عنه للقارئ العربي بتفصيل، وان نشيد به ايضا، اذ انه يرسم لوحة جميلة وجديدة ومبتكرة تماما عن موقف الشعب الروسي من بوشكين.

تبتدأ السطور الاولى من المقالة المذكورة باعلان عن افتتاح معرض شخصي في موسكو بتاريخ 7 ايلول / سبتمبر بقاعة (ارتيفاكت) وتحت هذه

التسمية (اي الطريق الى بوشكين) لفنان تشكيلي اسمه بوريس ديودوروف، ويعرّفه كاتب المقالة، بانه يحمل تسمية (فنان الشعب)، وهي تسمية متميّزة يتم منحها - وبشكل رسمي من قبل الدولة - للفنانين البارزين في روسيا تقييما ودعما لدورهم المتميّز في مسيرة الفنون الروسية، ويشير كاتب المقالة الى ان هذا الفنان التشكيلي حاصل ايضا على جائزة رئيس دولة روسيا الاتحادية. لم افهم للوهلة الاولى ما هو المقصود من هذا الاعلان، وما هي العلاقة بين هذا المعرض الفني و(الطريق نحو بوشكين)، وحتى ظننت للوهلة الاولى، ان هناك خطأ مطبعي في هذه المقالة ليس الا، وتعجبت من حدوث هذا الخطأ المطبعي في عصرنا وبصحيفة بمستوى ليتيراتونايا غازيتا، حيث التقنية الحديثة الالكترونية تتفادى وتعالج رأسا مثل هذه المظاهر (العتيقة)، التي كانت غالبا ما تحدث (أيام زمان!)، خصوصا عندنا وفي صحافتنا ومطبوعاتنا، الا ان الاستمرار بقراءة المقالة قد اوضح لي، بعدم وجود اي خطأ مطبعي، كما ظننت اول الامر، اذ تبين، ان هذا الفنان التشكيلي الروسي قد كرّس نفسه طوال حياته لرسم لوحات خاصة لكتب بوشكين، لوحات تجسّد تلك المواضيع التي يتناولها بوشكين في نتاجاته المختلفة المتنوعة، وتنشر دور النشر تلك اللوحات على صفحات كتب بوشكين، وقد بلغت اعداد هذه اللوحات رقما مذهلا، وهو (3000) لوحة فنية، وقد قرر هذا الفنان التشكيلي ان يعرض هذه اللوحات في متحف خاص أقامه في مدينته الروسية الصغيرة، (وأخذ هذا الفنان على عاتقه تكاليف تنظيم هذا المتحف)، وأيّدت الفكرة وتنفيذها بهذا الشكل مجموعة من مثقفي تلك المدينة، وتم تشكيل لجنة تضم العشرات من هؤلاء المثقفين المتطوعيين للاشراف على هذا المتحف المتميّز فعلا، والذي أطلقوا عليه تسمية - (الطريق نحو بوشكين)، لأن تلك اللوحات تجذب المشاهد نحو نتاجات بوشكين، وتجعله يعود لقراءة تلك النتاجات مرة اخرى واخرى كي يفهم عمق تلك اللوحات المرتبطة بابداع بوشكين، اي ان تلك اللوحات تشكّل فعلا (الطريق نحو بوشكين)، فما أجمل هذه الفكرة وما أجمل هذا المتحف الفريد من نوعه في روسيا. وحفاظا وتطويرا لهذه الفكرة، والتي تم تنفيذها فعلا في تلك المدينة الصغيرة، توجهت اللجنة

المشرفة بنداء الى الدولة الروسية لتبني هذا المتحف، وجعله تحت اشراف الدولة، الا انهم لم يستلموا جوابا ايجابيا من الجهات الرسمية، التي فاتحوها، ولهذا قرروا الكتابة في وسائل الاعلام الروسية عن متحفهم هذا، واضافوا، انهم مستعدون ان يستمروا بعملهم، حتى اذا لم تستجب الدولة لهم، وانهم مستعدون ان يقوموا بحملة تبرعات من كل الذين يؤيدون هذه الفكرة، كي يستطيعوا الاستمرار بتمويلها.

بعد ان انتهيت من قراءة تلك المقالة، قررت رأسا الكتابة للقارئ العربي عن هذه الفكرة الرائدة والمدهشة، وذلك تأييدا لهذه المبادرات الابداعية الشخصية، وتمنيّت لو يبرز شخص بيننا، ليعمل الشئ نفسه للفنان التشكيلي العظيم يحيى الواسطي ولوحاته لمقامات الحريري، كي يكون عندنا متحف (الطريق نحو لوحات الواسطي ومقامات الحريري)، لكني اعرف، ليس بالتمنيات وحدها يحيا الانسان...

50- شئ عن (القصائد الشرقية) لبوشكين

اكتب هذه السطور لأني اتابع الترجمات العربية لقصائد بوشكين، واحلم ان أرى يوما بالعربية (الديوان الكامل او مختارات شبه متكاملة في الاقل) لقصائد هذا الشاعر، والذي حاز على تسمية فريدة بين شعراء العالم كافة، وهي (شمس الشعر الروسي)، وبوشكين جدير بهذه التسمية بلا شك، واود ان اتحدث قليلا في هذه السطور عن الترجمات العربية لقصائد هذا الشاعر الروسي الكبير.

شعر بوشكين أكبر من ان يكون له اسم مترجم عربي واحد بارز، كما نقول - مثلا - ان سامي الدروبي مترجم دستويفسكي، او ان ابو بكر يوسف مترجم تشيخوف (رغم العديد من المترجمين العرب الآخرين الذين ترجموا تشيخوف قبله وبعده)، او ان فؤاد مرعي (خصوصا في الفترة الاخيرة) الذي يحاول - وبنجاح - ان يكون المترجم العربي الاول للاعمال القصصية والروائية لبوشكين، ولهذا، فعندما نتكلم عن ترجمات قصائد بوشكين الى العربية يجب (ونؤكد على كلمة يجب) ان نتذكر اسماء كوكبة رائعة من المترجمين المبدعين العرب، مثل - حياة شرارة وحسب الشيخ جعفر وجميل نصيف التكريتي وبرهان شاوي وابراهيم استنبولي وايمن ابو الشعر وثائر زين الدين ونزار محمود كنعان وطارق مردود ومكارم الغمري ورفعت سلام و... و... و... ومن المؤكد، ان هناك اسماء عربية اخرى من هؤلاء المترجمين المبدعين، اذ ان هذه (المهمّة!) تحتاج حتما الى جهود لجان عربية واسعة متخصصة في الادب الروسي وحركة ترجماته الى العربية منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وطوال القرن العشرين، والقرن الحادي والعشرين ايضا (رغم اننا في عقده الثالث ليس الا)... ولكن مع ذلك، اود ان اكتب بعض انطباعاتي (الذاتيّة!) عن بعض ترجمات بوشكين الشعرية من قبل بعض هؤلاء المترجمين، واريد ان اتوقف حصرا عند كتاب (القصائد الشرقية) بترجمة طارق مردود.

واسرع بالقول - قبل كل شئ - انه لا يوجد عند بوشكين كتاب بعنوان (القصائد الشرقية)، ولكن المترجم طارق مردود هو الذي حدد لنا هذا

العنوان، لانه جمع فيه قصائد بوشكين عن الشعوب الشرقية في الامبراطورية الروسية، التي كانت (ولازالت) متعددة القوميات والاعراق والاجناس والاديان (وحسب آخر احصائية رسمية، فقد بلغ عدد القوميات الان في روسيا الاتحادية 194 قومية). وهذا يعني، ان تسمية (القصائد الشرقية) هي اجتهاد المترجم العربي. اجتهاد المترجم طارق مردود افضل كثيرا من التسميات العديدة الموجودة في الكثير من الدراسات والبحوث العربية حول بوشكين، والتي تتحدث عن التأثيرات والمؤثرات (الدينية!) عند الشاعر الروسي، وخصوصا في السنين الاخيرة، حيث ازداد بشكل واضح (طوفان تلك التيارات!!!) في كل شعاب عالمنا العربي ودهاليزه، واذكر مرة، ان احد الباحثين (وكان مندوب الجامعة الاسلامية في احدى الجمهوريات ضمن روسيا الاتحادية) قال في احدى المؤتمرات الادبية، ان بوشكين (اكثر الادباء الروس اسلاميّة)، ولم يتقبل المؤتمرون هذا (الاستنتاج!) وابتسموا ليس الا، ولا مجال في اطار مقالتنا للتوسع اكثر حول هذه النقطة (الملتهبة!) في عالمنا اليوم. المترجم طارق مردود حسم هذه (المشكلة العربية!) بشكل ذكي جدا، وأطلق على تلك القصائد تسمية (القصائد الشرقية)، وترجم لنا قصائد بوشكين المرتبطة (حسب مفاهيمنا نحن العرب) بالشرق، اذ ان الروس لا ينظرون - بتاتا - الى تلك القصائد على انها مرتبطة بالشرق العربي او الاسلامي، فهي بالنسبة لهم انعكاس لثقافة شعوب تقطن بشكل دائمي على الارض الروسية وتتعايش معا في كل شئ، وخصوصا في المجال الثقافي، ولهذا، فان بوشكين باعتباره (شمس الشعر الروسي) تناول في ابداعه ثقافات كل تلك القوميات، وقد أشار بوشكين نفسه الى هذه الظاهرة في قصيدته (التمثال)، حيث قال، ان تلك القوميات ستبقى تتذكره، وحتى قصيدة بوشكين الشهيرة (النبي) يعتبرها الروس (...من وحي الاديان كافة...)، ولا يذكرون ابدا انها ترتبط بالدين الاسلامي فقط. ان هؤلاء الباحثين العرب، الذين يطرحون موضوع (قصائد بوشكين ذات الطابع الديني!) يتناسون، ان روسيا كانت ولازالت بلد اوربي وآسيوي معا، والتي تسمى (اورآسيا) حسب المصطلح المعروف، وبالتالي، فان ثقافة روسيا هي مزيج حيوي ومتجانس من ثقافات تلك القارتين معا.

يقع كتاب (القصائد الشرقية) في 266 صفحة، وهو مترجم عن الروسية، مع مقدمة تفصيلية عن ادب بوشكين وحياته، ويضم العديد من قصائد بوشكين الشهيرة، وتأتي في المقدمة طبعا قصيدة (محاكاة القران)، والتي جاءت هناك بعنوانها (المحوّر عربيا!) - قبسات من القران، وقصائد اخرى مثل النبي، وسعدي، وكليوباترا...الخ، ويضم الكتاب ايضا مجموعة من القصص الشعرية لبوشكين مثل أسير القوقاز، ونافورة بقجة سراي، والغجر.

==========

==========

==========

==========